THE ART OF LOVE POETRY IN THE POEMS OF HAFIZ CHIROMA KABARA: A LITERARY CRITICAL STUDY.

BY

MUHAMMAD ALIYU (B.A. (A.B.U. 1994)

M.A. (A.B.U 2009)

PhD/ARTS/5014/2009 – 2010

DEPARTMENT OF ARABIC
AHMADU BELLO UNIVERSITY ZARIA, NIGERIA.

AUGUST, 2014

THE ART OF LOVE POETRY IN THE POEMS OF HAFIZ CHIROMA KABARA: A LITERARY CRITICAL STUDY.

BY

MUHAMMAD ALIYU (B.A. (A.B.U. 1994)

M.A. (A.B.U 2009)

PhD/ARTS/5014/2009 – 2010

THE DISSERTATION SUBMITTED TO THE POSTGRADUATE SCHOOL, AHMADU BELLO UNIVERSITY, ZARIA NIGERIA IN FULFILMENT FOR THE AWARD OF P.hD ARABIC IN DEPARTMENT OF ARABIC AHMADU BELLO UNIVERSITY ZARIA.

AUGUST, 2014

DECLARATION

I declare that the work in the thesis entitled *"The Art Of Love Poetry In The Poems Of Hafiz Chiroma Kabara Literary Critical Study"* has been solely exclusively done by me, in the Department of Arabic Language,

All the information extracted from the literature has been accordingly ascertained in the text and a list of relevant references provided. This research is my exclusive endavour and hence neither the part nor the whole of it was presented previously for diploma or degree project at any University.

Muhammad Aliyu _____ Date: 18th August, 2014

Sign

CERTIFICATION

This thesis entitled "THE ART OF LOVE POETRY IN THE POEMS OF HAFIZ CHIROMA KABARA LITERARY CRITICAL STUDY" by Mal. Muhammad Aliyu fulfils the conditions/requirements leading to the award of P.hD Arabic in Department of Arabic Ahmadu Bello University, Zaria and is approved on account of its contribution to knowledge and literary presentation.

1. Prof. Muhammad Auwal Abubakar _____
   Internal Examiner

2. Dr. Ahmad Ja'afar Abdulmalik _____
   Internal Examiner

3. Dr. Bashir Hassan Abubakar _____
   Internal Examiner

4. Prof. Garba Dan Tsoho Zaria _____
   Head of Department

5. Prof. A. A. Joshua _____
   Dean School of Post Graduate Studies

ACKNOWLEDGEMENT

I express a profound gratitude and appreciation to my first supervisor, and Head of Department Prof. Garba Dan Tsoho Zaria who principally assisted me in reading through the manuscript, identifying errors and making valuable corrections of the thesis.

I consider it imperative to express my gratitude to my instructor.

Dr. Iliyas Abbas who performed virtually the same role in seeing that the thesis saw the light of day.

I also consider it imperative to express my gratitude to my instructor Dr. Adamu Sa'id Khalid for the pain he took in correctong errors in the manuscript with promtness.

I must acknowledge the constructive role of my Head of Department Prof. Garba Dan Tsoho in the preparation of thesis. I am equally indebted to my instructor who taught me (throughout the postgraduate programme) for quite a long time.

Worthy of commendation and gratitude are the coordinator, Dr Ahmad Ja'afar Abdulmalik the coordinator and my internal examiner. Dr. Yahuza Suleiman Imam, Dr. Bashir Abubakar Hassan and also my internal examiner. Dr. M.A. Imam the External Examiner, whose have been my instructors and whose contribution made this thesis a success.

My endless gratitude goes to the former Head of Department and the Dean of Faculty Prof. Lawal Amin and instructor for their intellectual stimulation.

I acknowledge the contribution of my daughter Aisha Muhammad Aliyu for typing all the thesis, may Almighty Allah reward her and make good futer for her life.

I feel greatly indebted to Hafiz Chiroma Kabara for having availed me with the poets manuscripts and other useful details.

I am indebted to who both devoted their precious time to give me their contribution for the success of this thesis.

To all I say "May Allah reward you in advance".

ABSTRACT

This work is an attempt to Study and Criticism the Love Poems of Hafiz Chiroma Kabara in order to expose it's literary style and show its relevence to the world of poetry. The first chapter is introduction. The second chapter studies the life history of the poet. The third chapter presents the poetry of the scholar and study criticism its thematic features, the fourth chapter explain the experimental love poetry for the poet, while chapter five analyses the beauty and relevance of the poems to the literary world, this is followed by conclusion of the thesis which comprises summary, and recommendations given by the researcher.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول: المقدمة:

الحمد لله الذى جعل اللغة العربية لغة الفصاحة والبيان، واختارها من بين اللغات وأنزل بها القرآن, بلسان عربي مبين, فوصفه تعالى بأبلغ ما يوصف به الكلام: "قرآنا عربيا غير ذي عوج"[1]

والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، الرسول العربي سيدنا محمد الذي أعطاه ربه مفاتيح البيان، أعرب العرب وأفصحهم لسانا، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإن العالم اليوم كله يعاني من الكراهية والحروب والانتحارات، ويتجرع نتائج الأحقاد والتناحر، ويكابد التعب والنصب، ويعيش في شقاء وعناء، وقد تختلف هذه المعاناة من شخص إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، ومن بلد إلى بلد.

فلا يعيش العالم في هدوء وهناء بدون الحب، لأنه من مقتضيات الحياة السعيدة، فما أحوج العالم اليوم إلى زرع ظلال المحبة والمودة في قلبه، ونحن في أمس الحاجة إليها، كحاجتنا إلى الطعام والشراب، ليلذ لنا طعم الحياة، وتصفو لنا مشاربها، ويبتسم لنا الوجود.

والمرأة كنز الحب والمودة، ومنبع الرحمة، وموضع السكن، ولوحة السعادة، وكان لهذا الحب مكانته وقدره في ديننا، وهو حقيقة إنسانية واقعية، ولا أدل على هذا من قوله عليه الصلاة والسلام في شأن سيدتنا خديجة رضي الله عنها: "إني قد رزقت حبُّها"[2].

والشعر الغزلي يتحدث عن موضوع الحب والمودة، وهو موضوع شيق وقريب من النفوس، وهو من لوازم الحياة، فمن الذي لا يحب؟ ولهذه الأسباب وغيرها أراد الشاعر حافظ شُرُومَا كَبَرَ أن يساهم في هذا الميدان، ويقدم للعالم قصائده الغزلية، تطمئن إليها القلوب، وترتاح بها النفوس، وتسكن بها الجوارح، وهذا مما جعل الباحث يقوم بدراسة هذه القصائد، ليساعد القارئ على فهم فحواها شكلا ومضمونا.

---

1. سورة الزمر : 68.
2. راجع: مسلم بن الحجاج (القشيري)، صحيح مسلم، (رقم الحديث: 2435) بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، 1419هـ - 1998م، الرياض – المملكة العربية السعودية. ص: 988.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك دواعي كثيرة, وأسباب جمّة, التى دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع, ومن أهمِّها ما يلي:

- شدّةُ اشتياق الباحث إلى دراسة الشعر العربي، وإدراكه أنه من الجدير أن يتابع هذا الإنتاج الأدبي الحديث بالدراسة والنقد إحياء للتراث العربي النيجيري.
- لأنها قصائد أدبية ذات قيم فنية يحسن دراستها والاستفادة منها.

أهداف البحث:

ومن الأهداف الأساسيّة التى يسعى هذا البحث إلى تحقيقها ما يأتي:

- دراسة هذه القصائد دراسة أدبيّة نقديّة وتوضيحها شكلاً ومضمونًا وذلك بتحليل الصور الفنية والموسقي الشعرية فيها.

-تعريف النشئ هذا الجهد الذي قام به هؤلاء الأدباء علّه يسير على دربه ويتّبع منواله, بالدراسة والتحليل.

وأخيرًا إن البحث في مثل هذا المجال, يمثّل الاحتفاظ بتراث الأدب العربي النيجيري, ذي الطابع الثقافي تارة والديني تارة أخرى.

أهمية البحث:

- لهذا البحث أهمية كبيرة وفوائد جليلة, لكونه يتعلّق بجانب من جوانب الشعر العربي النيجيري، الذي قلما تقرقه الباحثون فى هذه البلاد بالدراسة الأكاديمية.
- ولكونه يعرّف على جهود الشعراء النيجيريين في الشعر العربي النيجيري.
- إنها مساهمة فعّالة في بحث علمي أكاديميّ لخدمة االلغة العربية وآدابها في الأدب العربي النيجيري.
- ومن أهمية هذه الدراسة أنها تساعد على توسيع النطاق حول الأصالة والتجديد في تراث الشعر العربي النيجيري.

حدود البحث:

حد هذا البحث ينحصر في الغزل لحافظ ثروما كبر الذى يتكوّن من سبعة قصائد التي تحتوي على مائة واثنين وثلاثين بيتًا (132). وهذه القصائد هي:

- القصيدة الأولى: قصيدة قالها الشاعر عن مخطوبته: (هاجر بنت سليمان يَاكَسَيْ) وهي تحتوي على ستة وعشرين بيتًا (26).
- القصيدة الثانية: "روضة النصائح". وهي تحتوي على ستة عشر بيتًا (16).
- القصيدة الثالثة: "الروض العاشق". وهي تحتوي على أربعة عشر بيتًا (14).
- القصيدة الرابعة: "الداء عند الحبيب". وهي تحتوي على عشرين بيتًا (20).
- القصيدة الخامسة: "مرادي زواجك". وهي تحتوي على خمسة وعشرين بيتًا (25).
- القصيدة السادسة: "على هل من مبلغ الثقلين". وهي تحتوي على خمسة عشر بيتًا (15).
- القصيدة السابعة: "هـــــذه ورقتـــــــي". وهي تحتوي على ستة عشر بيتًا (16).

وفيها يقتصر الباحث على دراسته دراسة أدبـــيّـــــة نـــــقديّـــة.

إشكاليّة البحث:

لا يمكن للبحث من يكون خاليا عن إشكالية, وخصوصًا إذا كان يتعلّق بالمجهودات العلمية, والانجازات الأدبيّة, ومن المشاكل التى اعتبرها الباحث ولاحظها في هذا البحث:

- من هو هذا الشاعر؟ وما هى إسهاماته الشعرية؟
- ما هى العوامل التى ساعدت على تكوين شخصية الشاعر؟
- كيف عالج الشاعر فنّ الغزل أكثر من أي غرض آخر بعبقرية فائقة.
- ما هي قيمة هذه القصائد في ميزان التقليد والتجديد؟
- ما القيمة الفكرية، والعاطفة الروحية، والخيالات الفياضة الموجودة في هذه القصائد؟
- هل أحسن الشاعر اختيار الكلمات، التى تلائم قصائده الغزلية وتؤدي دورها؟

منهج البحث:

يتّبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي كوسيلة إلى مراجعة نصوص هذه القصيدة, ثم يعرضها عرضًا وصفيًا, ويدرسها دراسة أدبيّة نقديّة, يقوم بتحليلها من ناحية المضمون والشكل, مبيّنًا ما تضمّنته هذه القصائد من المزايا الفنّية, والروائع البيانيّة, والتشكيلات البديعيّة, والمساهمات الأدبية.

الدراسات السابقة:

تناول الباحث بعض الكتب التى تمتّ بحبل الصلة إلى موضوع بحثه بالدراسة؛ من المصادر الأدبية ومن الكتب النقديّة والبلاغيّة والعروضيّة, ومن كلّ ما وصلت إليه يداه من الكتب التى لها علاقة متينة بهذا الموضوع.

أما في مجال البحوث العلميّه الأكاديميّة التى قام بها الطلاب في مستوى الماجستير والدكتوراة، طاف الباحث في بعض الجامعات كجامعة أحمد بلو زاريا، وجامعة بايرو كنو، وجامعة عثمان بن فودي بصكتو، وجامعة ولاية كدونا، ولم يجد بحثا أكاديميا مستقلا بفن الغزل والنسيب. اللهم إلا ما كان في جامعة بايرو بكنو من:

بحث قدمه الطالب ثاني عمر عبد الله، إلى كلية الأداب والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو – كنو، نيجيريا عام 1994م. للحصول على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها. بعنوان: "شعر الغزل لبعض علماء مدينة كنو من سنة 1973 إلى سنة 1993م. قام الباحث بتقسيم بحثه إلى ثمانية عناصر على النحو الآتي:

الإهداء – الشكر والاعتراف – المقددمة – التمهيد – صلب البحث – الخاتمة – الملاحق – المراجع.

إختار الباحث بعضًا من قصائد بعض علماء كنو الغزلية ودرسها في بحثه، ومن بينها قصيدتين لحافظ ثروما كبر أولاها: قصيدته المسمى: "الروض العاشق".

تكلم عنها وعن عدد أبياتها قائلا: "وهي في أحد عشر بيتًا"[1] والحق أنها تحتوي على أربعة عشر بيتًا (14) كما أنه لم يذكر عنوان القصيدة.

---

[1] راجع: ثاني عمر عبد الله، شعر الغزل لبعض علماء مدينة كنو من سنة 1973 إلى سنة 1993م، البحث المقدم إلى كلية الأداب والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو، نيجيريا، عام 1994م للحصول على شهادة الليسانس. ص: 34.

وثانيها: قصيدته المسمى: "الداء عند الحبيب" تكلم عنها أيضا وذكر عدد أبياتها قائلاً: "وعدد أبياتها اثنا عشر بيتًا"[1] (12)، بيد أنها تحتوي على عشرين بيتًا (20) كما لم يذكر عن ذكر عنوان القصيدة أيضا.

أتى الباحث بترجمة وجيزة عن الشاعر، ذكر فيها مولده ونشأته، تعلمه ووظيفته، ثم زواجه وأولاده.

أما بالنسبة للقصيدتين المدروستين لدى الباحث أتى بكل منها على حدة، وعرّفها مبينا بحرها وقافيتها، ثم ألقى لكل واحدة منهما نظرة عامة لم تتجاوز صفحة واحدة.

هذا البحث يختلف عن الموضوع الذى يريد أن يعالجه الباحث في هذه الرسالة, وإن اتفقا في بحثهما حول شخصية واحدة؛ وهو: المعلم حافظ ثروماكبر كنو فى شعره الغزلي، لكن ذلك الباحث تحدث عن قصيدتين للشاعر حافظ ثروما فقط، وأتى بهما ناقصتين، وبدون ذكر عنوانهما، بيد أن هذا البحث يتحدث عن سبعة قصائد غزلية للشاعر بتعريفها وبيان عدد أبياتها، والمناسبة االتي قيل فيها ودراستها دراسة أدبية نقدية.

- البحث الذى قدّمه عبد القادر سعيد أوجولودو إلى كلية الآداب والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو – نيجيريا، عام2012م/1433هـ لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية بعنوان: " الغزل عند امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة دراسة أدبية موازنة".

قام هذا الباحث بتقسيم بحثه إلى أربعة فصول وخاتمة على النحو التالى:

الفصل الأول: المقدمة, أتى بمقدمة وجيزة ذكر فيها تاريخ فنّ الغزل منذ عصر الجاهلي, ثم أردف بالدوافع والأهداف والإشكالية وغيرها.

الفصل الثاني: فهو عبارة عن نبذة تاريخية عن حياة الشاعرين.

الفصل الثالث: وفيه قام الباحث بالعرض والتحليل لبعض قصائد الشاعرين الغزلية.

---

[1] المرجع السابق نفسه. ص: 26

أما في الفصل الرابع: قام الباحث بدراسة الموازنة بين قصائد الشاعرين الغزلية شكلاً ومضمونًا.

وأخيرًا: ذكر الباحث خاتمة بحثه وأتبعها بالمصادر والمراجع[1].

- البحث الذى قدّمه محمد آدم أبو بكر إلى كلية الآداب والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو – نيجيريا، عام1995م لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية بعنوان: "مظاهر تأثير قصيدة البردة في الحياة الأدبيّة والروحيّة لدى بعض علماء مدينة كانو – نيجيريا".

قام هذا الباحث بتقسيم بحثه إلى ستة أبواب على النحو التالى:

- الباب الأول: التمهيد: وفيه نظرة في نشأة فن المديح وتطوره؛ في الأدب العالمي والعربي.

- الباب الثانى: التعريف بالإمام البوصيرى صاحب قصيدة البردة ويحتوى هذا الباب على نظرة سريعة عن تاريخ الإمام من حيث اسمه ونسبه, ومولده، ونشأته, ولقبه، ووفاته, وبيئته، وثقافته, وتلامذته, وصفاته، وأخلاقه, ثم مذهبه الدينى.

- الباب الثالث: (قصيدة البردة) وتحت هذا العنوان, قد تناول الباحث الحديث عن معنى كلمة البردة, وسبب نظمها وانتشارها, وأسلوبها ومحتوياتها, وموقفها لدى علماء هوسا.

- الباب الرابع: تحدّث عن مظاهر تأثير قصيدة البردة في الحياة الأدبيّة لدى بعض علماء مدينة كنو. وقبل الخوض في هذا الموضوع فقد تناول الحديث عن موقف البردة لدى علماء هوسا, ثم أثر البردة في العالم الإسلامى, وأثرها في التأليف, وفي التدريس والدراسات, وفي الشعر والشعراء. ثم بعد ذلك تطرق إلى الحديث عن الشعر العربي لدى علماء هوسا.

وأخيرًا أخذ الباحث قصائد بعض العلماء واستخرج ما فيها من مظاهر التأثير مع تعليق بسيط عليها.

- وفي الباب الخامس: تحدّث عن مظاهر تاثير البردة في الحياة الروحيّة لدى بعض علماء مدينة كنو.

---

[1]- عبد القادر سعيد أوجولودو, الغزل عند امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة دراسة أدبية موازنة, بحث مقدّم لقسم اللغة العربية, بجامعة بايرو كنو- نيجيريا عام: 2012م/ 1433هـ لنيل درجة الماجستير.

ومن مقدمة القصائد التى تناولها الباحث بالحديث عن أثر البردة في الناحية الاعتقاديّة والطبّية والاقتصاديّة؛ قصيدة حافظ ثروماكبر الرائية, التى سمّاها: "مائة أبيات في مدح خير المخلوقات". حيث قام بدراسة القصيدة وشرحها والمقارنة بينها وبين (البردة).

بيّن الباجث أنه من الانصاف؛ أن هذه القصيدة تشمل في طيّاتها على ما يجعلها في طبقة راقية من حيث شكلها ومضمونها. ثم بيّن أنّها تمتاز بقوة الأسلوب وسلامته, وجودة المعانى وجزالتها, وسهولة الألفاظ ومتانتها. قائلا: " ويبدو أن كلّ من اطلع على هذه القصيدة يفهم أنّ صاحبها قد استنبط معانيها ومحتوياتها وبعض ألفاظها من بردة المديح". إلى أن قال في نهاية دراسته لتلك القصيدة: "لا يسعنا إلاّ أن نشير إلى تقديرنا بمجهود الأستاذ حافظ شِرُومَ الكنوي الأدبي. . . . فالأستاذ مولع بالأدب, معجب بالشعر المتين"

- الباب السادس: وهو عبارة عن خاتمة البحث, وفيها خلاصة البحث ونتائجه[1].

هذا البحث يختلف كلّ الاختلاف عن الموضوع الذى يريد أن يعالجه الباحث في هذه الرسالة, وإن اتفقا في بحثهما حول شخصية واحدة؛ وهو: المعلم حافظ ثروماكبر كنو.

[1]- محمد آدم أبوبكر, مظامر تأثير قصيدة البردة في الحياة الأدبية والرّوحية لدى بعض العلماء مدينة كنو- نيجيريا, بحث مقدّم لقسم اللغة العربية, بجامعة بايرو كنو- نيجيريا عام: 1995م/1416هـــ لنيل درجة الماجستير.

الفصل الثاني: خلفيّة تاريخيّة عن حياة الشاعر وبيئته الثقافيّة

المبحث الأول: التعريف بالشاعر[1]:

إسم الشاعر:

هو محمد حافظ شِرُومَا (Chiroma) كَبَرَ بن آدم بن طاهر بن عبدالله بن محمد هقري- الجدّ الأعلى للشاعر الذي جاء من غُوبِرْ (Gobir).

وأمه هاجر بنت أحمد- من زوجته فاطمة بنت شمس كَبَرَ- بن سيوطي الأخ الشقيق للشيخ المعروف بـــــــ مالم نَظُغُني (Malam Natsugune) الذي كان هو المربّي الحقيقي للشيخ ناصر كَبَرَ. وبناءً على ذلك كان الشاعر كَبَرِيًّا لأب ولأم.

ولد الشاعر محمد حافظ شِرُومَا كبر سنة 1957م بمدينة كنو في حارة تسمى كَبَرَ (Kabara).

كان الشاعر حافظ شروما كبر يلقب بـ بَرْدَنْ هَوَا (Bardan Hawa) لقد وجد هذا اللقب من أمير كنو الحالي الحاج آدُو بايَرُو (Alhaji Ado Bayaro).

كنيته:

وكان هذا الشاعر يكنّى بـأبى رحمة, وهى أولى وليدة له. وفيها يقول في قصيدة مطلعها:[2]

"أقرة عين قد رزقت بنظرها":

---

[1]- وما ذكره الباحث عن خلفيّة تاريخيّة عن حياة الشاعر وثقافته في هذا الفصل عبارة عن لقاءات متعددة معه, ومقابلات شخصية متنوعة, واتصلات هاتفية متكرّرة, التى كانت أكبر قائد وأهم مرشد في كتابة هذه السطور.

[2]- هى قصيدة هائية تحتوى على عشرين بيتًا, قالها الشاعر يوم الخميس 14 من جمادى الأولى عام 1404هـ 16\2\1984م عندما حملها ورآها وهى تبتسم {مأخوذ من تعليق الشاعر على القصيدة}.

فسميتها رحمه رجاءً لرحمه * فما الناس إلا من يرجى نزولها

كان الشاعر من أصل غُوبِرْ نسبا؛ لأن آباءه وأجداده من بلاد (Gobir) أصلاً ومنشأً. انتقلوا منها إلى مدينة كنو (Kano) مع علماء الجهاد، وذلك عندما أتى أميرها سليمان إلى المجدد؛ الشيخ عثمان بن فودي- رحمه الله للبيعة وأخذ الراية. وعندما تمّت البيعة, وأراد الأمير أن يعود إلى بلاده, صاحبه جدّ الشاعر الأول المسمى بمحمد هَقُري (Muhammad Hakuri) إلى مدينة كنو ليساعد الأمير في تقويم دعائم الدين.

وفي قول: إن الشيخ المجدّد؛ عثمان بن فودي- تغمده الله برحمته- هو الذي أرسل جدّ الشاعر محمد هَقُري إلى مدينة كانو أيام أميرها سليمان لمساعدته في تقويم دعائم الدين الإسلامي لكونه رجلا شجاعًا, وعندما وصل إلى المدينة أكرمه الأمير وأحسن ضيافته, وأسكنه دارًا خاصاً, وما زالت هذه العائلة تسكن هذه الدار إلى اليوم هذا[1].

وهكذا ظل محمد هقري يقوم بدوره الفعّال, في مساعدة الأمير في تقويم أمور الإسلام إلى أن توفي – رحمه الله.

وبعد وفاة الأمير سليمان تولّى أمارة كنو أمير دَابُو (Dabo), ولم يكن اهتمامه بهذا الشجاع أقلّ ممن سبقه, ولم يزل محمد هقري قائمًا بهذه المسؤولية خير قيام.

وعندما شاهد الأمير سليمان بلاءه ودوره الفعّال فيما أنيط بعاتقه؛ أراد أن يعيّنه حاكمًا لإحدى أقاليم هذه الولاية كنو. ولكنّه رفض الطلب وأبى كل إباءة, مبيّنًا رغبته أن يكون بجانب الأمير دائمًا, ليؤدي مسؤوليّته الأوّليّة, وأفصح قائلاً:- "أريد أن أكون معك, أريد أن أساعدك"!

[1]- مقابلة شخصية مع الشاعر محمد حافظ شروما كبر, في مركز بَافَرَوَا لتحفيظ القرآن الكريم, سكتو من الساعة الواحدة إلى الثانية, ثم من الساعة الرابعة إلى السادسة مساء, بتاريخ: 2011/3/4م

فلما أدرك الأمير تصميمه وصدق طويّته؛ قبل عذره ورضي بقوله, فقال له حين ذاك:- "من اليوم أنت أمير هوا[1] بحيث لا يركب الأمير جوادًا في يوم العيد إلا إذا ركبه أمير هوا, وهو المعروف بـسَرْكِنْ هَوَا (Sarkin Hawa) . وهو جد الشاعر الأول.[2]

ومن تلك الأيام أصبحت تلك العائلة من أعوان الأمير إلى يومنا هذا, فالشاعر يتولّى اليوم منصب؛ بَرْدَنْ هَوَا. ووالده هو شِرُومَنْ هَوَا, وجده وجد أبيه كل منهما قد تولّى منصب سَرْكِنْ هَوَا. بعد محمد هقري.

نشأته:

نشأ شاعرنا حافظ شروما كبر وترعرع في بيت تعتمد حياته على التجارة, رغم كونه من أعوان أمير كنو, ويتّجر أهل البيت بالخيول يشترونها ويبيعونها ولهم ثروة طائلة من أجل ذلك.

وكان والده تاجرًا محظوظًا مولعًا بحبّ العلم والعلماء, ويتمنّى دائمًا أن يجد من بين أبنائه من يحفظ القرآن الكريم. فلما وهبه الله هذا الشاعر, لم يصرفه إلى التجارة وسمّاه حافظًا رجاء أن يكون حافظًا لكتاب الله تعالى.

وعندما شبّ أرسله إلى جدّه المعلم أحمد بن شمس الدين ليعلمه كتاب الله تعالى, وكان الوالد يشجّع ولده دائمًا على طلب علوم الدين, ولا يريد أن يلحقه بالمدارس الإنجليزية. وظل الشاعر عند جدّه المعلم أحمد حتى ختم القرآن الكريم.

وأراد جده أن يوجّهه للتجارة بعد أن ختم القرآن ولكن الوالد رفض ذلك الطلب منه.[3]

أهله وأولاده:

---

[1]- يطلق هذا اللقب على احدى حاشية الأمير, وتعني: الشجاع الذي لا يركب الأمير جواده إلا بعد ركوبه.

[2]- مقابلة شخصية مع الشاعر محمد حافظ شروما كبر, المرجع السابق , بتاريخ: 2011/3/4م

[3]- المرجع السابق.

وكان الشاعر حافظ ثروما كبر متزوجا بثلاثة أزواج, ورزق باثنين وعشرين ولدا منهم عشرة ذكورًا, واثنا عشر إناثا, وهم:

1. الرحمة.
2. عائشة.
3. محمد المصلح.
4. سودة.
5. آدم.
6. هاجر.
7. عبد الله.
8. أبوبكر.
9. أسماء.
10. محمد غالي.
11. فاطمة.
12. مريم.
13. حسنة.
14. حسينة.
15. سعدية.
16. إبراهيم.
17. محمد.
18. أحمد.
19. محمد الهادي.
20. إبراهيم.
21. صفية.
22. نسيبة

ثقافته العلمية:

كان من طموحات والد حافظ؛ أن يأتي يوم وتقرّ عيناه برؤية ابنه حافظًا للقرآن الكريم من بين أولاده, وعالما فقيها بالشريعة الإسلامية. وفي هذه المناسبة يقول الشاعر: "وكان دائما يشجّعنا على طلب العلم, ولا يريد أن نلتحق بالمدارس الحكومية الإنجليزية".

وكان حافظ ثروما كبر شديد الرغبة في العلم مولعًا به وأن يحقّق رجاء والده, فاستأذن منه بكل أدب؛ أن يسامحه بالالتحاق بمدرسة أساس الإسلام بشاهُوثِى (Shahuci) سنة 1970م وهى مدرسة ابتدائية. فأذن له بالالتحاق بها وهو ابن الثالث عشر من عمره, وقضى فيها سنتين بدلاً من أربع سنوات. لكونه بدأ الدراسة فيها من الفصل الثالث، نظرا لما تحصل عليه من العلوم.

وفي سنة 1973م التحق شاعرنا حافظ شروما بمدرسة الدروس الإسلامية العالية بشاهوثي, حيث قضى فيها أربع سنوات, وتخرج فيها بشهادة الدراسات الإسلامية العالية بدرجة التفوق في عام1977م، على خلاف ما ذكره ثاني عمر عبد الله[1].

وفي سنة 1979م وجد القبول في جامعة بايرو كنو, ليدرس الدبلوم وتخرج منها بدرجة الامتياز في سنة 1982م.

وفي سنة 1984م واصل دراسته الجامعية بقسم اللغة العربية في الجامعة نفسها, متخصّصا في اللغة العربية وآدابها, وحصل على شهادة الليسانيس بالدرجة الثانية العليا سنة 1987.

وأتيحت له الفرصة بمواصلة دراسة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في سنة 1990م, وحصل على درجة الماجستير في سنة 1993م.

علمائه:

و كان هذا الشاعر منذ أن كان في عنفوان حياته, يطوف بمجالس العلماء الأجلاء, يأكل من كل ثمرة, ويأخذ من كل بستان زهرة, رجاء أن يخرج لأمّته عسلاً مصفًا سائغًا للشاربين.

ومن العلماء الذين أخذ منهم, وشرب من مواردهم مالم شيخ الملقب بـــــــــ مالم مَيْ تُرَاري (Malam mai Turare) الذي درس عنده الكتب الفقهية؛

---

[1]- مقابلة شخصية مع الشاعر محمد حافظ شروما كبر, المرجع السابق بتاريخ: 2011/3/4م هناك بعض الاختلافات فى بعض تواريخ التى ذكرها ثاني عمر عبد الله في بحثه عن الشاعر.

راجع: ثاني عمر عبد الله، شعر الغزل لبعض علماء مدينة كنو من سنة 1973 إلى سنة 1993م، البحث المقدم إلى كلية
الأداب والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو، نيجيريا، عام 1994م للحصول على شهادة الليسانس. ص: 32-33.

وكما أخذ طريقه إلى مجلس الشيخ مالم شمس كَبَرَ[1] وفيه درس التفسير عند الشيخ محمد المدني بن شمس الدين الكبري وأخذ عنده كتاب مختصر الخليل, وتوفي الشيخ قبل أن يكمّل التفسير والجزء الثانى من كتاب مختصر الخليل عنده, وفي ذلك يقول شاعر:

بدأت قراءة التفسير لكن * فطمتُ وما استحقتُ من الفطام[2]

وأخذ الشاعر النحو, واللغة, والبلاغة, عند كثير من العلماء منهم:

1- المعلم أُبَا حمزة كَبَرَ.
2- والمعلم هادي.
3- والشيخ محمد أول طَنْ يَلْوَا (Dan Yalwa).

وكثير من العلماء العرب وخاصة الذين أرسلوا من جامعة الأزهر إلى نيجيريا, أمثال:

1- الشيخ محمد محمد مشهور.
2- الشيخ مصطفى أبو الحمراء.
3- الشيخ محمد إدريس الأفراوي.
4- الشيخ رجب محمود أحمد.

ومن علمائه في مدرسة أساس الإسلام:

---

[1]- وهذا المجلس مشهور ومعروف من بين المجالس العلمية في المدينة.

[2]- وهى قصيدة ميمية تحتوي على 42 بيتًا, قالها الشاعر في رثاء الشيخ محمد المدنى بن شمس الدين كبر المتوفي يوم الاثنين 23 ربيع الأول 1409هـ الموافق 24/ 10/ 1988م. ومطلعها:-

حياة الدهر حين الموت يومًا * وأيام المعيشة كاحتلام

1- الشيخ كمال الدين آدم نمعجي (Nama'aji), أخذ منه المطالعة والحساب.

2- الشيخ عثمان سليمان, أخذ منه المطالعة والنحو.

3- الشيخ ثاني علي كور (Kura), أخذ منه الفقه.

4- الشيخ عثمان إسحاق, أخذ منه القرآن والنحو.

5- الشيخ بلا طن يرباو (Bala dan yarbawa), أخذ منه اللغة الإنجليزية.

ومن علمائه في جامعة بايرو كنو:

1- البروفيسور علي نائبي سويد, أخذ منه النحو والصرف

2- الدكتور عبادي المصري, أخذ منه القصة والرواية.

3- الدكتور شيخو كبر, أخذ منه الأدب.

4- الأستاذ محمد ثاني خامس, أخذ منه المكتبة العربية.

5- الدكتور طاهر ميغري (Maigari).

6- الدكتور فتح الأزهر.

7- الأستاذ سركي إبراهيم.

8- الأستاذ محمد أول أبوبكر.

9- الدكتور مختار أتمة.

وكما هو من عادته أن يطوف بين المجالس العلمية ويستمع إلى علمائها إتمامًا للفوائد.

تلاميذه:

1- محمد ثاني عاشر, المحاضر بكلية أمين كنو.

2- محمد أحمد مدني, المحاضر بكلية التربية الفدرالية.

3- أبوبكر نوح فندا (Fanda), المحاضر بجامعة بايرو كنو.

4- الدكتور مسلم إبراهيم, نائب إمام قرو (Kiru).

5- المعلم إبراهيم طن كنو (Dan Kano).

6- المعلم جعفر لادن كور (Ladan Kura).

وظائفه والمناصب التى تولاها الشاعر:

قضى الشاعر جلّ حياته في مهنة التدريس بداية من المدرس في المدرسة الابتدائيّة إلى أن صار عميدًا لبعض المدارس الثانويّة وتفصيل ذلك كالآتي:

من سنة 1978-1979 تولى مهنة التدريس في المدرسة الابتدائيّة, بعد تخرّجه من مدرسة الدروس الإسلامية العالية.

وفي سنة 1982- 1984 كان مدرسًا عاديًا للغة العربية بالمدرسة الثانويّة العامة بغولي(Govt sec school). بعد أن كمّل دراسة دبلوما بجامعة بايروا.

وفي سنة 1988- 1990 كان مدرسًا بمدرسة الدروس الإسلامية العالية, بعد حصوله على شهادة الليسانس في اللغة العربيّة, وقد تولى منصب المسؤول عن الامتحانات. ثم رئيس قسم الدراسات الإسلاميّة.

وفي سنة 1991- 1994 بعد أن كمّل دراسة الماجستير وقبل أن يكتب الرسالة طُلب منه من قبل الوزارة التربية والتعليم أن يرجع ليتولّى مهنة الموجّه الفنّي في المكتب الإسلامي التربوي كمفتّش.

وفي سنة 1994 أُرسل إلى مدرسة العلوم العربيّة كانوا (S.A.S) رئيسًا قسم الدراسات الإسلاميّة, ثم انتقل من قسم الدراسات الإسلاميّة إلى قسم المعلمين رئيسا في نفس الكلية.

انتقل إلى كليّة علوم القرآن التى غير اسمها إلى كليّة عبد الله بايروا لعلوم القرآن كنائب عميد, ومكث هناك ما لا يقلّ عن عامين.

ثم أرسل إلى كلية معلمي اللغة العربيّة بغولي (Gwale) كنائب العميد الإدارى.

وفي سنة 1998 أعيد إلى كليّة عبد الله بايروا لعلوم القرآن. وفيها قضى المعلم حافظ جلّ حياته التدريسيّة, مكث فيها إحدى عشر سنة, وهو عميد لها. 1997- 2008.

وفي سنة 2011/2008 انتقل من كليّة عبد الله بايروا لعلوم القرآن, إلى مدرسة دروس الإسلام العالية- المدرسة التى تخرّج منها- كعميد.

وفي سنة 2011م عيّن عميدًا لمدرسة العلوم العربيّة ولا يزال عميدًا لها إلى كتابة هذه السطور.

أوّلية الشعر عند الشاعر وأسبابه:

وفي سنة 1975 بدأ الشاعر حياته الأدبيّة، حيث كان في الصف الثاني مع زملائه في مدرسة الدروس الإسلامية العالية بشهوثي(Shahuci). وقد كانوا مولعين بحبِّ اللغة العربيّة وآدابها, ولكن لسوء حظّهم ليس عندهم وقتئذ أساتذة أكفاء ما عدا الشيخ محمد أوّل طَنْ يَلْوَا الأزهري.

وفي يوم من الأيام؛ كان الشاعر حافظ شروما في الفصل مع زملائه الطلبة, فجرى بينهم مناقشة أدبيّة وعلميّة, وفي النهاية أدركوا ما هم فيه من الضعف في الفن الأدبي. فأنشأوا مجلسًا أدبيًّا يذاكرون فيه دروسهم في كل مساء مذاكرة جدّية. ثم خصّصوا يوم الجمعة من العاشرة إلى الواحدة لطرح الأسئلة على أنفسهم في جميع المواد الأدبية والإجابة عنها. فالذي أجاب عن الأسئلة إجابة صحيحة يطلق عليه شيخًا. ومن رسب فيها يقال له: في هذا الأسبوع لست شيخًا.[1]

وهذه المناقشة والمذاكرة هى التي أثّرت في نفس الشاعر إلى أن قال أوّل بيت في الشعر بعد أن أجاب جميع الأسئلة إجابة صحيحة, وهو:

[1]- مقابلة شخصية مع حافظ شروما كبر, المرجع السابق بتاريخ: 2011/3/4م

محمد حافظ شيخ كبير * ولا بد من أنه الأزهري

وأتى زميله المسمى بتجاني محمد طَنْ طَا فقال له من أنت؟ وكيف تقول ذلك؟

فأجابه قائلاً:

وما طَنْ طَا وقوّته بشىء * فكان يتوب في الوقت الشديد

وهكذا استمرّوا إلى نهاية دراستهم في تلك المدرسة وتخرّج شاعرنا بدرجة الامتياز, وبدأت حياته الأدبيّة منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا.

المبحث الثاني: شخصية الشاعر باعتبار انتاجاته الأدبية وإسهاماته العلمية.

أ- إنتاجاته الشعرية:

لم يخرج الشاعر حافظ ثروماكبر من فنون الشعر المعروفة الموروثة من الشعر العربي بل طرق معظمها, وهي:

1- الغزل:

وله سبعة قصائد في الغزل تحتوي على مائة وإثني وثلاثين بيتًا (132), وهو موضوع البحث لهذه الرسالة.

2- الرثاء:

وللشاعر في هذا المجال ثلاث قصائد في الرثاء, تحتوي على سبع ومائة بيتًا (107) تناول الشاعر في رثائه المعاني التي تناولها الشعراء القدامى, التي ظلت في مقدمتها متوارثة جيلاً بعد جيل, فذهب على مذهبهم من البكاء على فقد الميّت, وإظهار التحسّر والحزن واللوعة, ومن الإشارة إلى محاسنه بوصفه بالعلم والتقوى والزهد والورع والجود والكرم والشجاعة وما إلى ذلك من الأوصاف الحميدة.

وها هو يقول في رثاء شيخه محمد المدني, المعروف بِمَالّم بَبَا ابن شمس الدين كَبَرَ, الأخ الشقيق للشيخ مالم إِنُوَا- الذي توفي 23 ربيع الأول/ 1409هـ 1088/10/24م:

يحقّ لنا البكـاء على فقيد * سعى فورًا إلـــــــى الدار النعيـــــم

فذاك محمد المدنيّ شيخـي * كـــــــــريم إبنـــــــه إبـــــــن الكـــــرام

وقوع الخبر يوم وفاة شيخي * أشدّ علي من ضرب الحســـــام

بقيت لموته جسدًا وروحًـا * هموم القلب تسري في عظامي[1]

ثم يشرع في تعدّد محاسن الميّت, بدقة التعبير, وروعة التشبيه, وحلاوة الموسيقي, مما يقرّ بتمكّن الشاعر في هذا الغرض الشعري؛ إسمعوه يقول:

بدأتُ قراءة التفسير لكن * فطمتُ وما استحقّتُ من الفطام

متى نأتي إليه يقول سهلا * يجيب علـــــــى الســـــــؤال بلا ســـــــآم

وفاتك لم تكن بتًّا علينـا * عـــــلومك عندنـــــــا خيـــــــر الطعـــــام

وبنفس هذا الأسلوب نراه يرثي أستاذه؛ البروفيسور علي نائبي سويد المتوفي يوم السبت 16/ذو القعدة/ 1418هـ - 14/مارس/1998م:

إن زال عيشك يا عليّ كما أرى * والله دهرك يـــــا سويد طويـــــل

بكت العيون لفقده حتى جرى * بعد الدموع دمًا فكان يسيل

ما دام علم النحو يدرس دائمًا * في الجامعات فحقّك التبجيل[2]

ولم يكن الشاعر قاصرًا على تقليد القدامى في هذا الغرض بل استطاع أن يبدع ويأتي بجديد, حيث يجعل الكون والمخترعات تبكي ببكائه على فقد فقيده, ويظهر ذلك جليًّا في رثائه للشيخ الفاضل: محمد إنُوَا بن شمس الدين كَبَرَ, المتوفي يوم الأربعاء 5/المحرم/1409هـ - 1988/8/17م.

---

[1]- هذه القصيدة تحتوي على اثني وأربعين بيتًا قالها الشاعر بمناسبة رثاء شيخه المذكور.

[2]- إنها قصيدة لامية تحتوي على ثلاثين بيتًا, قالها الشاعر في رثاء أستاذه البروفيسور علي نائبي سويد.

استمعوا إليه قائلاً:[1]

لو يفتدى نفس بنفس يا تُرى * إن المعلّم يستحــق فـــــــداء

بكت السماء لفقدة مدرارًا * والكهرباء عديمة الأضـــواء

وغدا الجدار لحزنه متساقطا * والناس من أحزانهم شهداء

3- المدح:

إن كان أبو الطيب المتنبي يتقلّب في البلاد, ويطوف حول قصور الملوك والأمراء, يطلب المجد والرفعة. ويمدح أجناس الأمم المختلفة بصفات وحسنات, ويعدّدلهم أمجادًا وأفعالاً, لا إعجابًا بأصلهم, ولا بتلك الصفات والحسنات, ولا استغرابًا منه بمثل تلك الأمجاد والأفعال. لكنّه مدح لينال أوّلاً, وليصل إلى هدفه ثانيًا, ويعتبر نفسه نبت رُبًا وممدوحه غمامًا, ويمدح كافورًا لأنه مبسوط اليد في الهبات والصدقات.

فشاعرنا لا يمدح لهذا الهدف أو ذاك, فمدحه يكون على الحبيب المصطفي, - صلوات ربي وسلامه عليه- يخرج من أعماق قلبه كلمات صادقة, وألفاظ طاهرة, وعبارات رائعة, بشعور حسّاسة.

وله في ذلك قصيدة واحدة, في مدح الحبيب المصطفي, صلوات ربيّ وسلامه عليه, ويذكر فيها خصوصيّاته ومعجزاته, وبيان عموميّة رسالته, والدفاع عن هذا الحبيب, وما أعدّ الله تعالى له من النعم الجسام لأتباعه, وخذل أعدائه.

سلك فيها نهج البردة, وسمّاها:"مائة أبيات في مدح خير المخلوقات". وهي قصيدة رائيّة, مبنيّة على رموز:"وصلى الله تعالى على سيدنا ونبينا ورسولنا وشفيعنا محمد بن عبد الله القرشي

[1]- إنها قصيدة تحتوى على خمسة وثلاثين بيتًا

الهاشمي وعلى آله وأصحابه الطاهرين وسلم تسليمًا". فقد أجاد فيها وأحسن؛ ومما جاء فيها قوله:

هو الرسول الذي ختم الإله به* نبوّةً مـــــع إرسال مدى الدهـــــر

عليه أنـــــزل قـــرآن فكـــان لـــــه * حلاوة اللفظ والأسلوب كالسكر

ساد القريش بقول الله معجزة * لا بالكهانة أو بالشعر والسحر

نور تخـــــرج من نور فصاحبـه * نـــور وطهّـــره نـــور مـــن الـــــوزر[1]

4- الهجاء:

فإذا هجا يكون هجاءه هجاءً لاذعًا ومما قاله- تذكارًا للنشاطات التى يقدّمونها في المدرسة الثانوية أيام أن كانوا طلابًا- في هجاء زملائه: كبير عمر زَنْغُو, وتجاني محمد طَنْطَا, وبشير محمد فغي:

وإن كان لي من حساد كثير * يقولون لـى حافظ الكبـــرى

ومن ضمنهم أســود أقصـــر * وذاك الطويل الـذى جائـري

وثالثهم لا يـــساوى بشـــيء * كما كان مـن قبل لا يـدري

عجيبًا لذاك الرُجيل القصيـر * لإنكـاره حـافظ الأزهـــــــري

[1]- بدأ الشاعر هذه القصيدة يوم السبت 29 من محرم/1409هـ الموافق 1988/9/15م.

وذاك النحيـــــل لا روح فيـــــه * فيـا ليتـــــه كـــــــان فـــــــي قبـــــر[1]

5- الشكوى:

فالشاعر في هذا الغرض شاعر اجتماعي يعالج قضايا مجتمعه, ويشكو من صروف الدهر وعجائبه, كيف يرفع وغدًا ويضع حليمًا, ويتألم من ظهور الفساد في البر والبحر, وشدّة حرص المجتمع على جمع الأموال بأيّ وسيلة كانت, حتى أصبح الفقير ليس له قيمة في أمثال هذه المجتمعات, ولا يكون له شأن يُذكر, وكان نتيجة ذلك انتشار الفاحشة, وكثرة الرشا. ومن كان عفيفًا مكتفيًا بكسبه وراتبه يعيش في فوضى وضيق العيش, وعندما يبلغ من الكبر عتيًّا, فأولاده لا يعرفون له من الرحمة سبيلاً!

اسمعوه قائلاً:

أفي النوم عشت اليوم أو عشت يقظة * كفاني صرف الدهر من كل جانب

كفي الدهر شرًّا أن ترى الناس كلهم * يحوضون في الفوضى ونيل المراتـــــب

بـــــــرغبة كـــــــل أن يـــكون مـــــــلونيـــــا * بمال الرشا أو مـــــن خبيث المكاســب

ومن يتّكل يالعيش في جدّ عملـــــه * مصيبته الأقوى تكن في الرواتـــــب[2]

وله في الشكوى قصيدة أخرى, يشكو فيها إلى الله بثّه وحزنه, وينتصر من الواحد القهّار ممن ظلمه, راجيًا من الجبّار المتعال أن يأخذ له بالثأر ويريه عاقبة الظالمين, وهى قصيدة تكتب بالقلم الأحمر, كما سمّاها الشاعر, وفيها يقول:

---

[1]- هذه القصيد تحتوى على ستة عشر بيتًا قالها الشاعر بتاريخ 1981/2/25م.

[2]- هذه القصيدة سمّاها الشاعر (أين نحن من هذا الزمان) وهى تحتوى على إحدى وثلاثين بيتًا, كتبها يوم الأربعاء 2010/4/19م.

إلهي قد شكوت إليك بثّي * لأنى كنت مظلومًا إلهـــــي

إلهي قد ظلمت بغير حق * فخذ من ظالمي ثأرا إلهي

إلهي لا أبوح بسرِّ قلبـــــي * لمخلوق سوى ربي إلهـــي[1]

6- العتاب:

ومن الأغراض التى عالجها الشاعر قصيدته في العتاب التى وجّهها إلى صديق له (تجاني محمد طَنْطا) يعاتبه على تحوله عن دراسات اللغة العربيّة بالمستوى الجامعي, وتخصّصه في الدراسات الإسلاميّة ولغة الهوسا. فعاتبه على هذا التحول واعتبره جبانا, وأن الدين لا يفهم فهمًا صحيحًا بغير الإلمام بحقائق اللغة العربيّة وأن لغة الهوسا لا تليق دراستها لمثله في هذا المستوى, سيّما أنها قد أحبّته اللغة العربيّة وأحبّها فلماذا الهجران؟

وفي ذلك يقول:

يـــــأيها الخنّاس عـــــن عربيّـــــة * طَنْطا أظنّك لم تكن بجهـول

كانت تحبّك حب أم للولد * فلغيرها أبديت كـــل ميـــــــول

إنّي عرفتك قبل من أحبابها * ففعلـــــــت فعلاً ذمّـــــه بدليـــــل

ماالهوسا إلا لـــــغة عجميـــــــة * علّمتنـا زمنا مـــــــــع الأطفـــــال[2]

وقصيدة أخرى في العتاب كتبها وأرسل بها إلى صديق له, قيل إنه قد كان متلبِّسا بجريمة اللواط- والعياذ بالله- فعاتبه على اتباع

---

[1]- سمّها الشاعر: (قصيدة المظلوم تكتب بالأحمر من الأقلام) كتبها يوم ثلثاء 4شعبان/1408هـ الموافق 1988/3/22م.

[2]- قال هذه القصيدة يوم الاثنين/25/محرم/1404هـ - الموافق: 1982/10/31م.

غرور الشيطان وأن ممارسة هذه العملية لا تليق إلا بالبهائم, فإن أصرّ على ذلك فليعلم علم اليقين بانقطاع العلاقة بينهما, فإن تاب فالبشرى له؛ بأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ اسمعوه قائلاً:

بلغت بأن السيل قد بلغ الزبى * وأن كبيـــــرًا لا يخـــــاف المقـــــارح

أغرّبه الشيطـــان يـــــاليت أنـــــه * أساء إلـــيه ما أطـــــاع الجـــــوارح

خلقت كإنسان ولست بهيمة * فكاد عليك العكس أن يترّجح

فإن لم تفارقها فإنّي كما ترى * حرمّت على نفسي بأن نتصافح[1]

7- الاعتذار:

كان شاعرنا عند ما يحوض بحر الاعتذار يخرج من التهمة خروج السهم من الرميّة أو السيف من الجلاء, وتظهر الحقائق ظهور البدر من الظلماء, ويكون عنها بريئًا براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

وله قصيدة في هذا الغرض, يردّ فيها على ماتهمه أصدقاؤه, من أنه كان يؤيّد أرآء جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة. ومن بينهم: موسى القَاسِيُونِي ابن الشيخ محمد ناصر كَبَرَ. وأمين آدم قُوفَرْ وَمْبَي, وفيها يقول

بلّـغ تحيّتى إلى التِجانِـــــــي * فقل له حافظ ليس بجانـي

ليس كما يزعمه زميلـــــــي * أمين آدم مـــــع قَاسِيُونِـــــي

[1]- كتب هذه القصيدة بتاريخ: 22/رجب/1409هـ - الموافق: 1989/2/27م.

من أنني أيدت فرق إزالـة * فالله مـــــن شرّهما كفانـــــــي

لكنّني أعرف أنّ الحكمـة * ثمر كـــــل المؤمنين الدانـــــي

فأينما شهدت هذا الثمـر * أذهب فـورًا فهناك أجنـــي[1]

8- التعزي:

قال الشاعر القصيدة التالية بمناسبة ما حدث لصديقه (يهوذا أحمد زاريا) عند ما أجبر على إعادة سنة دراسيّة في الجامعة لتهمته بالتدليس في شهادته الثانويّة. فكتب إليه هذا التعزي قائلاً:

سهام الشرّ من رمي اليهـــود * أصابـت روح صاحبنا يـــهوذا

فما قطعوك حقًّا يا صديقي * بلـــــى قطعـــوا رؤسهم لهـــــــذا

جـــــزاك الله إذ ظلمـــوا بحكم * فـــــلا نـــــدري بنـاؤهم لمـــــــاذا

فإن فعلـــــوا لكونهـــــم كبـــــارًا * فكـــــن بالله خـالقنـــا ليـــــاذا

ومن يصبر على الأقدار حقًّا * يـرى من أكله عجلاً حنيـذا[2]

9- الحنين إلى الأهل:

ومما قاله يحنّ إلى أهله لما حمل بنته الأولى ورآها تبتسم:

---

[1]- كتب هذه القصيدة بتاريخ 1409/1/1هـ الموافق: 1988/8/23م.

[2]- وهى قصيدة تحتوى على خمسة عشر بيتًا, كتبها بتاريخ 1988/1/28م المافق 8/جمادى الثاني/1408هـ.

أقـــــــــرّة عيـــــــن قد رزقت بنظـــــــرهـــا * بعـــون إلهـــــــــي لا بقوّة والـــــدها

فسمّيتهـــــا رحمـــــــه رجـــــــاء لـرحمـــــــــة * فما الناس إلا من يرجّى نزولها

تحـــــاكـــــــي أبـــــــاها هيبـــــة وفطانـــــــــة * وأما بياض الوجه كان لأمهـــــا

سأبذل جهدي حينما سترعرعت * وأسأل ربّـــــي أن يربّي عقلهـــــا

10- الشعر المذهبي:

وللشاعر في هذا الغرض قصيدة واحدة قالها بمناسبة تلقينه الأوراد التيجانيّة.

ومنها قوله:

الحـــــمد لله رب العالمـــــــــين علـــــــى * ما نلته اليـــــــوم مـــــن أوراد تجانـــــي

ثم الصلاة علـــــى خيـــــر البريّـــــة إذ * به يغاث الضعيف المذنب الجاني

وبعد هذا فإنـــى اليـــــــوم فزت بمـــــا * لا يشتـــــراه بـــــأمـــــــوال وأثمـــــــان

أخذت ذا الورد عند الشيخ محمود * ابـــــــــــــن مطيع لنور الحق منانـــــي[1]

ب- ديوان الشاعر:

ومنها ديوانه الذي سماه: "متن الديوان الأصغر, للشيخ الأزهر" وكان يشمل على كثير من أغراضه الشعرية.

---

[1]- قالها في يوم الجمعة 21/محرم/1409هـ - الموافق: 1988/9/2م. وهى تحتوي على خمس وعشرين بيتا.

ج- **إسهاماته العلمية:**

لم يكن لهذا الشاعر كتاب مؤلف إلا مذكرات كان يكتبها لطلاب بعض المدارس ومنها:

1- مذكرات في الأدب العربي لطلاب الدراسات التأهيليّة, وكانت مقرّرة في المدارس التأهيليّة 1992.

2- وله مذكرات كثيرة في الأدب العربي تستعمل في مدارس شتى.

3- حوّل بعض الكتب النثريّة إلى الشعريّة, وما زالت تلك الكتب غير مطبوعة؛ مثل:

أ- كتاب الشيخ علي كماش- العالم المشهور بكانو- المسمى:"بمورد الظمآن".

ب- كتاب "إيداع النصوص مما أخذت من الشيوخ". للشيخ عبد الله بن فودي أعاده الشاعر نظمًا وهو غير مطبوع[1].

[1]- مقابلة شخصية مع الشاعر حافظ ثروماكبر, المرجع السابق بتاريخ: 2011/3/4م

المبحث الثالث: العوامل التى ساعدت على نبوغ هذا الشاعر

التمهيد:

"فالفنّ الشعري غالبًا يستمد حياته ومقوّمات وجوده من البيئة وحتميّاتها, وما يمكن أن توفّره من أسبابٍ ودواعٍ"[1], تصاحب ميلاد التجارب الشعريّة. لأن الإنسان ابن بيئته ومن الصعب بمكان أن نتعامل مع شاعر من الشعراء ثم نجده معزولا عن بيئته لأنها من العوامل التي تساعده في تشكيل أبعاده الشعرية.

والنقاد – قديمًا وحديثًا- قسموا تاريخ الشعر العربي إلى تقسيمات عدة, تبعًا لأحوال البيئات, أو مراعاة لطبيعة الموضوع والغرض. فنظروا إلى أدب بيئة ما قبل الإسلام؛ فسمّوه: عصرًا جاهليًا, فلما انبثق نور الإسلام وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم, وأخذت البيئة تتغيّر شيئًا فشيئًا, وأخذ الأدب العربي يتلوّن بلونها, ويتشكّل بشكلها, إلى أن أنجبت البيئة الأدب الإسلامي أدبًا متميزًا في تجاهه وأغراضه, وتهذيب ألفاظه, وأخذ الشعراء ينظمون قصائدً, في نشر عقائد الدين الجديد, والتحريض على الجهاد, والترغيب في نيل الشهادة.

وعندما نظر الأدباء إلى هذه البيئة الثقافية الجديدة, وتأثيرها في الأدب العربي, أدركوا أنها أنجبت أدبًا جديدًا يختلف بعض الاختلاف عن الثقافة السابقة, فاتفقوا على تسميته بـــــــ"أدب صدر الإسلام والدولة الأموية".

وكلّما حدثَ حدثٌ وغيّر البيئة وأحوالها, تلوّن الأدب بشكلها, وسمَّى النقاد أدب ذلك العصر باسم جديد, إلى أن جاء عصرنا الراهن فسمّوه بـ"أدب عصر النهضة الحديثة"[2].

---

[1]- محمود عباس عبدالواحد (دكتور), فن الإعتذار الشعري تاريخ واتجاه, دار الهداية للطبعة والنشر والتوزيع. بدون ذكر التاريخ والدولة وعدد الطبعة, ص:27

[2]- أن مرجع فكرة هذا الفقرات والتقسيمات مستنبطة من النص القائل: "ولم يكن عاريا عن القصد أن يعنى هؤلاء النقاد في تاريخ الشعر العربي بتقسيمه تبعًا لأحوال البيئات".
راجع: محمد عباس عبدالواحد (الدكتور), فن الإعتذار الشعري تاريخ واتجاه, المرجع السابق, ص:38

ولم تأت هذه التقسيمات المختلفة عفوًا, ولم تك هذه التسميّات المتباينة وليدة الصدفة, بل جاءت تبعًا لأحوال البيئات.

يقول ابن قتيبة: "وللشعر دواعٍ تحثّ البطيءَ, وتبعث المتكلّفَ؛ منها: الطمعُ, ومنها الشوقُ, ومنها الغضبُ. وقيل للحطيئة: أي الناس أشعر؟ فأخرج لسانًا دقيقًا كأنه لسان حيّةٍ فقال: هذا إذا طمع"[1]

"فإذا تهيّأت في بيئة من البيئات, أو عصر من العصور, تلك العوامل التى يستدعيها فنّ من فنون الشعر, أو غرض من أغراضه, دفعت به تلقائيًا إلى ارحام التجارب الشعرية, ليفصل إلى الوجود الخارجى وليدًا يهتف بلسان البيئة, ويستروح أنفاسه النديّة من أنفاسها"[2].

وإنا لنقرأ في تاريخ الشعر العربي عن فنّ من الفنون الشعرية توفرت لها الأسباب في عصر من العصور, فازدهرت واكتمل نضجها, حتى إذا انقطعت عنها أسباب البقاء في عصر آخر ذبُلت وماتت, أو ضعفت واستكانت.

فالشاعر في العصر الجاهلي كان يفتخر بنفسه وقومه وقبيلته "ويتخذ بحسن بلائهم ومكارمهم, وكرم عنصرهم ووفرة قبيلتهم, ورفعة حسبهم ونسبهم, وشهرة شجاعتهم"[3].

وعندما جاء الإسلام ورسخت تعاليمه رسوخ الجبال, وتمكّنت في القلوب تمكّن النقوش على الأحجار, سرعان ما حوّلت البيئة المسلمة مجرى أفكار الشعراء المؤمنين, عن بعض فنون الشعر وأغراضه المنحرفة عن سنن الشرف كالمغازلة الماجنة, " وأما الفخر فقد اصطبغ في صدر الإسلام بصبغة الحماسة الدينية, وكان

---

[1]- ابن قتيبة, الشعر والشعراء, دار الحديث, القاهرة. (بدون ذكر عدد الطبع). سنة الطبع 1423هـ - 2003م, ص: 79

[2]- محمود عباس عبدالواحد (الدكتور), فن الإعتذار الشعري تاريخ واتجاه, المرجع السابق, ص:39

[3]- أحمد الاسكندري ومصطفي عناني (الشيخ) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه. الطبعة السادسة عشر, 1916 القاهرة. ص:47.

حافلاً بعزة النصر وحياة الايمان"[1]. وكل ذلك يدل على تأثير البيئة في ميول الشاعر والتجاهاته.

ومن الدراسات السابقة ندرك جليًّا؛ أن للبيئة دور كبير في ميول الشاعر وإنتاج بنات أفكاره. وقد تكون هذه العوامل ثقافيَّة أو اجتماعيَّة أو اقتصاديَّة, أو سياسيَّة.

وبطبيعة الحال؛ أن بعض هذه العوامل البيئيّة قد أسهمت على نبوغ شاعرنا حافظ ثروماكبر بقسط غير قليل, التى يمكن مناقشتها على النحو التالي:

العامل الأول: البيئة الثقافيّة والاجتماعيّة:

لقد انتشر الإسلام إنتشارًا سريعًا وعظيمًا في غرب القارة الإفريقيّة, وفي حركةٍ سريعةٍ أذهلت المؤرّخين, واعتنقه الأهالي في تلك البلاد بسرعة فاقت تصوّر المؤرّخين, "دخل الإسلام أرض الهوسا, ومن الصعب على الباحث أن يحدّد بدايةً لدخول الإسلام إلى هذه المناطق, لكنه كان بلا ريب قبل القرن الخامس عشر الميلادي"[2]

وكان لمدينة كنو عهد قديم بالإسلام, وليس من السهل يمكان تحديد تاريخ دحوله فيها، وقد أشار شيخو أحمد سعيد غلادنثى إلى ذلك بقوله:- "ومن الصعب جدًا تحديد تاريخ دخول الإسلام إلى كنو".[3]

ولعل السرّ في ذلك؛ أن الإسلام قد تسلّل وتغلغل في البلاد عن طريق الشعب, لأن إعتناق غالبيّة الشعوب الإفريقية للإسلام لم يتم عن طريق حملة عسكرية, ليؤرخ له بسقوط دولةٍ ما, أو هزيمة

---

[1]- حنّا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي, سنة الطبع: 1426هـ - 2005م, دار الجيل- بيروت. (بدون ذكر عدد الطبع). ص:397/1

[2]- عبد السلام أبو سعد (الأستاذ) {مخاضرة بعنوان: العلاقات الثقافية بين الشعوب الافريقية, وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسخها}. أعمال ندوة التواصل الثقافي واالإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانب الصحراء, كلية الدعوة الاسلامية, الجماهرية العظمى- طرابلس. الطبعة الأولى 1999 ص:22

[3]- شيخو أحمد سعيد غلادنثى (الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا, المكتبة الإفريقية (بدون ذكر الدولة). الطبعة الثانية 1414هـ- 1993م ص:39

جيوش معادية للمسلمين في واقعةٍ ما, وقيام حكم الإسلام على أنقاضها.

وأضف إلى ذلك: عدم اعتناء كثير من الشيوخ بكتابة تاريخ هذه البلاد, واشتغالهم بعلوم الدين, واكتفائهم بالسيرة النبوية.

ومن الباحثين من يرى: أنه "يعدّ كتاب إنفاق الميسور أول كتاب تاريخي جمع أخبار بلاد السودان الشرقي, والسودان الغربي, وحوى سير العلماء والسلاطين, وما جرى فيها من الوقائع".[1]

ولهذه الأسباب وغيرها؛ كان تاريخ دخول الإسلام إلى مدينة كنو بالتحديد, يحفّه بعض الغموض حقًا, لكنّه كان بلا ريب قبل القرن الخامس عشر الميلادي, لأن سلطان كنو المعروف بـــــ علي ياجي (Ali Dan Tsamiya) الملك الحادي عشر, هو أول من أسلم من ملوك كنو, وذلك في النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي, كما تشير إلى ذلك بعض المصادر.

وفي عهده "وفد على بلاد الهوسا حوالى أربعين عالما من الماليين, وكان يتزعّمهم الشيخ عبد الرحمان بن زيد, فرحب بهم السلطان وأكرم وفادتهم, وبفضل جهود هؤلاء العلماء استقامت الدعوة الإسلامية في كنو"[2] فإسلام الملك لا يكون بدايةً للإسلام في البلاد, وقد يكون الشعب مسلمًا, والدولة غير مسلمة.

ومنذ القرن الخامس عشر ميلادي, بدأت بلاد هوسا تحظى باهتمام علماء الشمال الإفريقي؛ ويروى: "أن عالما كبيرًا قدم من مصر مع تلاميذه إلى أرض (الهوسا) لنشر العلم بين الطلاب والراغبين في التعليم, وكان يحمل معه كتاب مختصر خليل بن

---

[1]- (هذا مما كتبه الشيخ أبوبكر غمي قاضي قضاة شمال نيجيريا عن كتاب إنفاق الميسور وحياة مؤلفه). راجع: محمدبلّو بن عثمان بن فودي, إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, طبع على نفقة الحاج محمد طن إغبى,(Tsamiyar yaro) صكتو- نيجيريا. (بدون التاريخ والمطبع).ص:29

[2]- عبد الرحمان عمر الماحي (الدكتور), الدعوة الإسلامية في إفريقية الواقع والمستقبل, منشورات كلية الدعوة الإسلامية, الجماهرية العظمى- طرابلس. 1999 ص:91

إسحاق في الفقه المالكي وما أن سمع به طلاب العلم حتى التفّوا حوله لسماعه ونقله عنه"[1]

ويرى الباحث: أن هذه الرواية نفسها؛ تشير إلى أن الإسلام قد استقرّ في هذه البلاد قبل حدوث هذه الحادثة بزمن بعيد!

وذلك لأسباب منها ما يلي:

أ- ما الذى جعل طلاب العلم يقبلون هذا الإقبال السريع على هذا الكتاب(مختصر الخليل) لو لم يكونوا سمعوا عنه من قبل.

ب- إن إقبالهم على هذا الكتاب واهتمامهم به ونقله عن الشيخ, فيه دلالة واضحة على أنهم عرفوا غيره من كتب الفقه قبل أن يعرفوه.

ج- أمن الممكن للمسلم الجديد الذي يتعلم مبادئ العلم, ويناسبه في مستواه أن يتعلم الحروف الهجائية, أن ينقل علومه الدينية من مثل هذا الكتاب! الكتاب الذي ليس من السهل إدراك فحواه للمبتدي, فضلا عن المسلم الجديد, الكتاب الذي يعتبره غالبيّة علماء هذه البلاد سدرة المنتهى في الفقه المالكي, فإن هذا أمر يكاد يكون مستحيلاً!

ومنذ ذلك الحين ما زالت مدينة كنو تشاهد كبار العلماء الذين أبلوا بلاءً حسنًا, في نشر تعاليم الإسلام واللغة العربية, التى كان لها تأثير واضح في هذه البيئة وثقافتها.

ومن العلماء القدامى الذين قاموا بدور فعّال في مثل هذا الميدان:

1- الشيخ فتح الله بن محمد؛ الملقب ببوراس وهو من علماء القرن الثامن والتاسع الهجري, ولد بالقيروان, ثم انتقل إلى بلاد السودان, ومات في كنو, وقبره مشهور بجنب أكمّة داله (Dala).[2]

---

[1]- عبدالسلام أبو سعد (الأستاذ), أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي, المرجع السابق. ص:22

[2]- قريب الله بن محمد ناصر الكبري (الخليفة), الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة (صوكوتو), لعاصمة العلمية, دار الآن- قبرص. منشورات المكتبة القادرية, بكنو- نيجيريا. (بدون ذكر التاريخ, ولا عدد الطبعة) ص:37-38

2- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني, وهو من علماء القرن التاسع الهجري, زار كنو, وترك فيها أثرًا بالغًا في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية.

اتخذه سلطان كنو محمد رنفا (Muhammad Runfa) صديقًا أمينًا, وشيخًا هاديًا, ومستشارًا خاصًّا, ساعده الشيخ بكل ما أمكنه لدفع عجلة الثقافة الإسلامية واللغة العربية, كما أعانه بأفكار سليمة قادت سفينته إلى شاطئ الأمن والسلام.

وأضف إلى ذلك ما استفاده مجموعة من طلاب علوم العربية وعلوم الشريعة من علمه الغزير.[1]

3- الشيخ محمد زهرة مَيْكَرْغُو (mai kargo) وهو من علماء التاسع والعاشر الهجري, وقد عاش أيام أمير كنو, الملقب بـ قيسوكي (kesoka), وكان أمينًا له وفريد عصره في علوم الحديث, وقبره الآن في كنو بجنب أكمّة غَوْرَنْدُوظي (Gwauran Dutse)[2]

4- الشيخ عبد الله ثقة, هو من علماء القرن الحادى عشر قدم من مالي. وقد عاصر سلطان كنو كَوْكَوْنَا (Kwakwana). وسلطان محمد جَنْ هَزُو (Jan hazo) وسلطان دَاطِن الله (Dadin Allah). وكلهم من أصحابه الذين أخذوا عنه. وألقى عصاه بمدينة كنو وقبره الآن بحارة غَولي (Gwale).[3]

5- وكما زار المدينة عدد غير قليل من العلماء الأجّلاء وساهموا على نشر اللغة العربية وثقافتها. ومنهم الشيخ عبد الرحمان الزناتي,

---

[1]- أ- قريب الله محمد ناصر الكبري, الرسالة الجلية، المرجع السابق.ص:38

ب- شيخو أحمد سعيد غلادنثي, حركة اللغة العربية والآدابها في نيجيريا: المرجع السابق. ص:42/41

هـ- الطيب الوزاني (الأستاذ) مخاضرة بعنوان: "مقوّمات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب إفريقية والمغرب الأقصى" أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي, المرجع السابق. ص:489

د- آدم عبد الله الإلورى, موجز تاريخ نيجيريا, مكتبة الحياة 1960 بيروت. (بدون ذكر عدد الطبعة) ص:82

[2]- قريب الله محمد ناصر الكبري, الرسالة الجلية, المرجع السابق. ص:39 - 40

[3]- أ- المرجع السابق. ص:41- 42

ب- محمد بلّو بن عثمان بن فودي, إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. المرجع السابق:
ص:50-51

وجلال الدين السيوطي, الذي ألف كتابًا عن الحياة الاقتصاديّة والثقافيّة والاجتماعيّة في أرض التكرور خاصّة ومن ضمنها بلاد هوسا. وسفير الثقافة الاسلامية والعربية؛ الشيخ بابا التنبكتي.[1]

وأضف إلى ذلك دور الونغراويّين تحت قيادة زعيمهم عبد الرحمان الزيتي الذين ساعدوا في تكوين الإسلام كدين دولة ونشروا الثقافة العربية الإسلامية في المدينة.[2]

ومن الجدير أن نذكر نشاط الشيخ عثمان بن فودي وتلاميذه ودورهم الفعّال في تأسيس مراكز علمية لإشاعة اللغة العربية ونشر التعاليم والثقافة الإسلامية في مدينة كنو, وفي جميع المناطق الشمالية من جمهورية نيجيريا الاتحادية.[3]

المدارس الإسلامية:[4]

ومما أسهم بكثير في هذه الناحية تأسيس المدارس الإسلامية, وتعتبر المدرسة العربية التى أسسها المعلّم موسى وزير؛ القاضي موسى بن وزير المعروف بالقاضي ابن وزير كنو محمد غِطَاطُوْ (Muhammad Gidado). هي أول مدرسة عربيّة إسلاميّة أنشأت في مدينة كنو.

---

[1]- أ- آدم عبد الله الالوري, موجز تاريخ نيجيريا. المرجع السابق. ص:112
ب- عبد السلام أبو سعد (الأستاذ) أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي. المرجع السابق. ص:22

[2]- أ- آدم عبد الله الألوري, الإسلام في نيجيريا, الطبعة الثالثة: 1398 – 1978م. (بدون ذكر دولة). ص:32
ب- شيخو أحمد سعيد غلادنثي, حركة اللغة. المرجع السابق ص:40

[3]- أ- مصطفي الغديرى (الدكتور) محاضرة بعنوان:"أسرة آل فودي ودورها في ترسيخ العقيدة الاسلامية, ونشر اللغة العربية بشمال نيجيريا" أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي. المرجع السابق ص:280
ب- محمد بلّو بن عثمان بن فودي, إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. المرجع السابق. ص:147- 148

[4]- جل تاريخ تأسيس المدارس الإسلامية في مدينة كنو في هذا البحث مأخوذ من كتاب:-
Husaini Sufi alkali, Malam Aminu Kano mafarin Makarantun islamiya a Kano kuma jagoran NEPU. Littafi na farko wanda ya wallafa. ولم يذكر المؤلف: (تاريخ الطباعة ولا المطبع ولا العدد). وما زال في قيد الحياة عند كتابة هذه السطور.

وكان المعلم موسى وزير من طلاب المدرسة الشريعة الصغرى بشَاهُوتِي سنة: 1931 (Shahuci Judicial School). ثم في مدرسة الشريعة الكبرى- التى فتحت عام 1934م.(Law school) وتخرج منها سنة 1945. وبعد تخرّجه رفض الاشتغال بالوظائف الحكومية, وأنشأ مدرسة إسلامية للشباب في دهليزه.

وحينما كثر الطلاب وضاق المكان, اقترح المعلم موسى إلى بعض طلابه بأن يستأذنوا من أمير كنو الحاج عبد الله بايرو؛ بأن يسامح لهم باستعمال فصل من فصول إحدى المدارس الحكومية, وعلى وجه الخصوص: المدرسة الإبتدائية (Elementary School) التى تقع بالقرب من دار مَكَمَا (Makaman Kano), ولكن الأمير رفض الطلب أولاً- لكونهم جميعًا شبانًا- خوفًا منه من أن يشعلوا نار الفتنة, ولكنه رضى أخيرًا, بعد تدخّل والي كنو محمد بشير في الأمر قائلاً:- "ما داموا يقومون بتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي, فلا بأس بأن يسامح لهم معالي الأمير بأن يبدأوا, فإن شاهدنا ملامح إثارة الفتنة في أمرهم, نمنعهم عن التقدّم في التدريس".[1]

وهكذا بدأت الدراسة في هذه المدرسة, ويمكن القول بأنها هى البذرة الأولى للمدارس الإسلامية في مدينة كنو, وإن كان نشاطها محدودًا في زاوية ضيّقة, وهى المعروفة فيما بعد بـــــــ"مدرسة محو الأمية بدار مَكَامَا".

"Makarantar yaki da Jahilci na Gidan Makama"

ومن طلاب هذه المدرسة آنذاك:

1- الشيخ ثِغَرِي, المعروف بـ (Cigari Dan haya) الذي أصبح إمامًا- فيما بعد- في دار أمير كنو.

2- الحاج عمر مَيْكَجِي (Mai kaji)

3- سَرْكِي طَنْ مَيْقَسَا (Sarki Dan mai-kasa)

---

[1] - Husaini Sufi alkali, Malam Aminu Kano mafarin Makarantun islamiya a Kano kuma jagoran NEPU.

المرجع السابق:25

4- الحاج طَنْ بَشَرِي, المعروف بـــــ (kyaftin Dan bashari)

5- أمَدُ كَتَاكُو (Amadu katako)

وغيرهم.

وفي نهاية 1947م ألقى مالم أمين كنو محاضرة قيمة- في قاعة المكتبة القديمة(Tsohuwar laburari)بعد رجوعه من لندن, يحث على تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي ويوضح أهميّة العلم؛ ومما جاء في خطابه:

" kafin ku saka "ya"yanku a Makarantar boko, kamata ya yi ku fara koya masu karatun Arabiya, sai ya zama masu "wukar gindi" Saboda idan Arabiya ta ratsasu daga baya ko Rasha suka tafi, ba za su raina addinin su da al'adunsu na gida ba[1]"

الترجمة:

"قبل أن ترسلوا أولادكم إلى مدرسة انجليزية, ينبغي أن تبدأوا بتعليمهم اللغة العربية والدين الإسلامي, ليكون ذلك لهم وقاية, فإذا تمكّنوا من هذه الناحيّة, فلا يضرّهم أين يجدون أنفسهم, ولو كانوا في روسيا فسيحتفظون بعقائدهم وتقاليدهم".

وبعد أشهر من إلقاء هذه المحاضرة, جاء الشيخ السيّد بن عمار من عين ماضي إلى مدينة كنو زائرًا 1948. فوجد اختلافًا شديدًا بين أتباع الطريقة التجانيّة والقادريّة, فحاول الشيخ جاهدًا على إنهاء هذه الأزمة وتوحيد الكلمة.

فاجتمع الشيخ مع شيوخ كلا الطرفين ونصحهم قائلاً:

"ينبغي لهم أن يوحدوا كلمتهم وأن يكونوا يدًا واحدةً, وينشأوا مدرسة إسلامية غير حكومية, تجمع أبناء الطرفين, فيكون ذلك سببًا لدرء الفتنة من جزورها, ودرعًا لمنع تسلل الأعداء إلى صفوفنا ".[2]

---

[1]- Sufi Husaini Aminu Kano mafarin makarantun islamiya a Kano. P:9

المرجع السابق. ص:9

1-Sufi Husaini Aminu Kano mafarin makarantun islamiya a Kano.P:1 – 13 المرجع السابق: ص:10- 13

وفي نهاية المطاف رفض البعض هذا الاقتراح, فأمر الشيخ أهل طريقته بتأسيس مدرسة إسلامية بأنفسهم. فأدّى ذلك دورًا فعّالاً في انتشار المدارس العربية والإسلامية في المدينة.

وفي سنة 1948م اجتمع بعض القادة والمفكرين الغيورين لهذه الأمة في مدينة زاريا, وأسسوا جمعيةً, فسمّوها:

"جمعية مساعدة شمال نيجيريا" "Kungiyar taimakon arewa"

وكان الهدف الرئيسي لإنشاء هذه الجمعية يتمثّل في النقاط التالية:

1- جمع التبرّعات المالية لمساعدة الطلاب في شمال نيجيريا.

2- رفع مستواهم التعليميّ, وخاصّة ما يتعلق باللغة العربيّة والتعاليم الاسلاميّة.

3- إنشاء المدارس الإسلاميّة والعربيّة.

4- اندماج الأمراء والسلاطين في الأمر, لأن لهم يدّ لا تنكر ودور مهمّ يقدّمونها في إنجاح هذه الخطّة.

ومن أعضاء هذه الجمعية وقادتها:

1- الحاج دكتور أبوبكر إمام.

2- الشيخ بابا أحمد.

3- الحاج نوح بمّلي (Magajin Garin Zazzau)

4- مَالّمْ أمين كنو.

5- مَالّمْ مَكَامَا طَنْ وزيرن كنو (Makama Dan Wazirin Kano)

6- الدكتور عبد الرحمن مُورَ (Dr. Mora)

7- مَالم سعاد زُنْغُرْ (Mal, Sa'adu Zungur)

8- معالى أمير زرّو جعفر بن إسحاق, كأبٍ لهذه الجمعية.

وكان لهذه الجمعية تأثير بالغ في إنشاء المدارس الاسلاميّة واللغة العربيّة في شمال نيجيريا, وخصوصًا في مدينتي ززّو و كنو.

يقول مُودِي سِفِيكِنْ: (Mudi Speaking)" وبعد رجوع مالم أمين كنو من اجتماعهم في زاريا, أخذ يكتب الرسائل ويرسلني بها إلى كبار علماء مدينة كنو؛ وكانت هذه الرسائل تحتوي على دعوة هؤلاء العلماء الكبار, بالاعتناء بتعليم أبناءهم اللغة العربيّة والدين الإسلامي على غرار نظامٍ جديدٍ.

ثم أخذ يزورهم واحدًا تلو آخر ويقنعهم على هذا المبتدأ, حتى استطاع إقناعهم وعقد اجتماعًا معهم في دار معلم عباس بحي سَابُون سَارَا (Sabon Sara).

وبعد مناقشة عميقة تبنّى الاجتماع تلك الفكرة, وأسّسوا جمعيّة تسعى في إنشاء المدارس الإسلاميّة واللغة العربيّة وفقًا للنظام الجديد.

واختاروا الرؤساء لهذه الجمعية على النحو التالي:

1- الشيخ محمد ثاني كَفَنْغَا (Kafanga) رئيسًا

2- المعلم ثاني دَرْمَا (Darma) كاتبًا.

3- المعلم نائبي سليمان والي.

4- المعلم بفَّا (Baffa yola)

وبعد أن تمت هذه الإجراءات, استأذن مالم أمين كنو لفتح فصل واحد في بيته, فأتيحت هذه الفرصة وتمّ ذلك فعلاً, وسمّاه: "مدرسة نور الحق الإسلامية"(Nurul-Hak islamiya school) وذلك في نهاية عام 1949م. ثم اشتهرت بعد ذلك بـ"مدرسة سُودَاوَا الإسلاميّة(Sudawa Islamiya School)

بدأت المدرسة باحدى عشر طالبًا 11 وهم:

1- القاضي طاهر جنيد

2- حمزنا أبّا (Abba)

3- حواء أمين كنو

4- لَبَرَنْ زَنْغُونْ بَربَرِي (Labaran zangon Barebari)

5- علي حمز دَرْمَا (Darma)

6- أويس طَنْ جَاجِي(Dan jaji)

7- يوسف طَنْ جَاجِي

8- تجاني مَامُودَادُكَاوَا (Mamuda Dakawa)

9- علي سُدَاوا (Sudawa)

10- عبد القادر علي دَرْمَا (Darma)

11- لَبَرَنْ[1]

ثم بدأت المدارس الإسلاميّة والعربيّة تنتشر في جميع أنحاء البلاد؛ أمثال:

1- مدرسة يُولاَوَا الإسلاميّة 1950-1951م.

(Yolawa islamiya school 1950/1951)

2- مدرسة مَيْكَورُو الإسلاميّة 1951م.

(Mai kwaro islamiya school 1951)

3- مدرسة مدينة الأحباب والتلاميذ فَغي 1956.

(Madinatul Ahbab Wattalamiz School Fage)

4- مدرسة حياة الولدان, تُدُنْ وَدَا كنو1960م.

(Hayatul – wildan islamiya school T/wada Kano 1960)

[1] - Husaini Sufi alkali, Malam Aminu Kano mafarin Makarantun islamiya a Kano kuma jagoran NEPU.:p32

المرجع السابق, ص:32

5- حسن غَورْزُو مدرسة تحفيظ القرآن 1977م

(Hasan gwarzo tahfizil Qur'ani school 1977)

وتوسع الأمر فيما بعد؛ حتى أصبحت المدينة من أكثر مدن جمهورية نيجيريا الاتحادية للمدارس الإسلامية وكليات اللغة العربية. وأوّل كلية عربية أسّست في نيجيريا الشمالية كانت في المدينة؛ وهى: "مدرسة العلوم العربية كنو"

وولاية كنو اليوم أكثر عددًا من جميع ولايات نيجيريا للكلّيات العربية والدراسات الإسلامية.

ويبلغ عدد هذه الكلّيات في الولاية إلى إحدى ومائة كلية 141. حسب إحصائات وبيانات صدرت من المجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية , بمعهد التربية, بجامعة أحمد بلّو زاريا.[1] ومنها:

1- كلية معلمي اللغة العربية غولي

(Govt Arabic collage Gwale).

2- كلية منار الإسلام الثانوي لتحفيظ القرآن تُدُنْ مُرْتَضَى (Manarul – Islam Senior Tahfeez Secondry School Tudun Murtada).

3- كلية الصحابة قُـوْفَـرْ رُوَا (Assahaba Collage Kofar Ruwa).

4- مدرسة العلوم العربية كنو (S. A. S Kano).

5- كلية علوم القرآن هَوْسَاوَا (C. Q. S Hausawa).

6- كلية لأمِيْطُو للبنات للدراسات الإسلامية كنو

(Lamido Girls Islamic College Kano).

7- كلية الآداب والدراسات الإسلامية هوساوا مُوْدَلْ

[1]. www.nbais.com.ng

(Hausawa model).

8- كلية الدعوة للدراسات الإسلامية كنو (Da'awa C. I. S)

9- كلية العربية والدراسات الإسلامية هوساوا (KAIS Hausawa).

10- الكلية الحكومية للبنات للدراسات العربية غَوْرَنْ دُوْظِي

(G.G. A. C Gwauran Dutse).

بالإضافة إلى مراكز هامة للدراسات العربية والإسلامية العالية في الكليات والمعاهد الحكومية, التي ساهمت في تكوين الشاعر, ومن أهم هذه المراكز:

1- جامعة بايرو كنو (Bayero University Kano).

2- جامعة ولاية كنو، المسمى بـــ (North West University, Kano).

3- جامعة ولاية كنو للعلوم والتكنولوجيا وُدِلْ

(Kano University of Science And Technology wudil).

4- كلية أمين كنو للشريعة والقانون (Aminu Kano College of Legal Studies).

5- كلية التربية الفدرالية كنو (Federal College of Education).

6- كلية سعادة ريمي (Sa'adatu Rimi College Kumbotso).

7- كلية ولاية كنو للتكنولوجيا (Kano State College of Technology).

وأضف إلى ذلك ما تتمتع به المدينة من الكتاتيب الكثيرة المنتشرة في جميع نواحي البلاد, فلا تخلو حارة من الحارات إلا

وقد وجد فيها هذه الكتاتيب. ويرجع فضل تأسيسها إلى المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام منذ وصوله إلى هذه المدينة في أوّل الأمر.

المراكز والمجالس العلمية:

كما أن هذه المدينة غنيّة بالمراكز والمجالس العلميّة لكبار العلماء منتشرةً فيها, يتعلم فيها الطالب الدراسات الإسلاميّة واللغويّة وسائر الفنون الأدبيّة, وتتمّ هذه الدراسة عن طريق الترجمة, حيث يقوم المعلم بترجمة ما في الكتاب إلى لغة الهوسا.

ومن أهمّ هذه المراكز والمجالس ما يلي:

1- مجلس الشيخ محمد ناصر كَبَرَ

2- مجلس الشيخ شمس كَبَرَ المشهور بدراسة التفسير.

3- مجلس الشيخ ثاني كَفِنْغَا (Kafinga)

4- مجلس الشيخ مالم سَلْغَى (Malam salga)

5- مجلس الشيخ تجاني عثمان زَنْغُونْ بَرِبَرِي (Zangon Barebari)

6- مجلس الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَا (Sanka)

7- مجلس الشيخ مَيْهُولاَ كَونَرْ طِيسُو (Sheikh maihula kwanar diso)

8- مجلس الشيخ أبوبكر رمضان تُدُنْ نُفَاوا(Tudun nufawa)

9- مجلس الشيخ إنُوَ زَاغِي(Inuwa zage)

10- مجلس الشيخ غالي غَبَارِي (Gabari)

11- مجلس الشيخ أويس مَدَابُو (Madabo) [1]

[1]- مقابلة شخصية مع المعلم عمر علي غَنْدُنْ ألْبَسَ (Gandun- Albasa)كنو, التي جرت من الساعة الخامسة إلى السادسة مساء في بيته بتاريخ 2011/4/13.

وقد نشأ الشاعر- حافظ شروما كَبَرَ في هذه المدينة المشهورة بالثقافة العربيّة وآدابها, والحضارة الإسلاميّة وتطورها؛ من بين المدن الواقعة في السودان الغربي منذ القدم, وما زالت حتى يومنا هذا ذائعة الصيت, ممتازة بالشهرة الفائقة, مزدحمة بهذه الثقافة والحضارة.

وقد طاف هذا الشاعر بجميع هذه المراحل التعليميّة, وأخذ منها بقسط كبير, وجنى من هذه الحدائق ثمارًا يانعة, ورتع في بساتين اللغة العربيّة وآدابها, وشرب من سلسبيل أنهارها, وتجمّل بما فيها من ألوان أزهارها اللامعة, الأخّاذة لكل عين ناظرة!

وكانت هذه النهضة العلميّة والأدبيّة المحضة في البيئة- التى انبثقت منذ انبثاق فجر الإسلام وتطوّره في البلاد, على يد الدعاة والتجار والعلماء, وبخاصة بعد الجهاد العثماني عاملاً ومؤثّرًا كبيرًا؛ ساعدت الشاعر على إتقان اللغة العربيّة, والتّذوّق بآدابها, وممارسة قرض الأبيات, وانضمامه إلى ركب الشعراء, ونبوغه في هذا الميدان.

العامل الثاني: العامل الاقتصادي/ التجاري:

كان انتشار الإسلام والثقافة العربية عن طريق القوافل التجارية في غرب إفريقية عامة, وفي مدينة كنو خاصّة.

من المؤكد؛ أن الروابط والصلات التجاريّة بين مدينة كنو والتجار العرب المسلمين, تعود إلى أزمنةٍ تاريخيّةٍ قديمةٍ, وكانت قوافل التجّار تسلك أسهل الطرق الصحراويّة للوصول إليها. وقد أشار الدكتور عبد الرحمان عمر الماحي إلى هذه الطرق فيما يلي:

1. برقة: كانت قوافل المسلمين تغادر برقة بليبيا محملة بالضائع وتتجه صوب "بيلما" حتى تصل منطقة بحيرة تشاد, قد تصل قوافل نفسها بلاد البرنو والهوسا.

2. القيروان: كان التجار المسلمون يغادرون القيروان بتونس بجمالهم المحملة بمنتوجات إفريقيا الشمالية إلى "تكدة" حيث تقع

مناجم النحاس والذهب, ومنها تقصد "كنو" في بلاد الهوسا بنيجيريا الحالية.

3. تلمسان: كانت قوافل التجار المسلمين تنطلق من تلمسان بالجزائر إلى ثنية نهر النيجر, حيث تقع مدينتا تمبكتو وجاو الشهيرتين في الطريق إلى الداخل.

4. طريق لمتونة: وهي الآتية من المغرب الأقصى على امتداد ساحل المحيط الأطلسي إلى حوض نهري السنغال وغاميا. [1]

لم تكن التجارة هدفًا رئيسًا في حدّ ذاتها عند التجّار المسلمين في تلك العصور؛ بقدر ما كانت وسيلة لنشر الإسلام وحضارته.

فقد كان التاجر المسلم الذي جاز الصحراء بقافلته إلى هذه البلاد هو المحرّك الرئيسي في حمل الناس على الدخول في الإسلام, بسبب حسن تصرّفه وأمانته ومحافظته على أمور عقيدته ودينه. وهذه الصفات هى التى حبّبت الجماعات وشجعتهم على اعتناق الإسلام. لأن "التاجر المسلم الذي يدخل أحد البلاد الإفريقيّة للتجارة يدخل ومعه بضاعته وإسلامه". [2]

وهذا من الأسباب الرئيسية التى جعلت الإسلام والثقافة العربية ينتشر في كل مكان وصل إليه تجار المسلمين, في عصر الإسلام الأول, ذلك أن التاجر المسلم كان داعية إلى دينه, إما بممارسة الدعوة, أو بحسن الخلق والصدق في التعامل.

وهكذا كانت هذه القوافل التجاريّة؛ تحمل إلى هذه البلاد ثقافة اللغة العربيّة والحضارة الإسلاميّة, فحيثما نزل التجّار أشرق نور الإسلام, ونما معه التعليم, وانتشرت ثقافته في البيئة, وتأثر بذلك أهلها تأثيرًا واضحًا وجليًّا؛ إذ من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلّم على الأقلّ ما يكفيه لأداء شعائر الله, كإلمامه ببعض الآيات والسور القرآنية والأحكام الشرعيّة. وهذه مقدمة لمعرفة اللغة العربيّة وانتشارها بين المهتدين بل الناس أجمعين.

---

[1]- عبد الرحمان عمر الماحي, الدعوة الاسلامية الواقع والمستقبل, المرجع السابق, ص:86

[2]- شيخو أحمد سعيد غلادنثي (الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المرجع السابق, ص:28

"ونتيجة لهذا الارتباط التجاري, فقد استقرّ عدد من التجّار المسلمين في المدن الإفريقيّة, وكوّنوا لهم أحياء خاصّة بهم, أقاموا فيها المساجد والمدارس مما كان له عظيم الأثر في نشر التعاليم الإسلاميّة"[1]

وكما حظيت مدينة كنو بكثير من أنواع هؤلاء التجّار لكونها مركزًا رئيسيًّا هامًا للتجارة في شمال نيجيريا تستورد المستوردات من داخل البلاد وخارجها ويؤمها التجّار الذين يأتون إليها من كلّ فجٍّ عميق.

ومن الأسواق المشهورة في مدينة كنو حاليا, التي أسسها تجار العرب: سوق كورِي (Kasuwar Kwari/Kanti/14), "حسب تاريخ نشأة هذا السوق؛ إنما هو سوق أسسه التجار العرب الأجانب من لبنان وفلسطين, وكان يلقّب هؤلاء العرب الأجانب آنذاك بـــــ قَوارُورِي (Kwarori). كان هذا السوق متخصصا على تجارة اللباس, يباع فيه أنواع الأقمشة مثل أتَمْفَا (Atamfa) وشَدَّا (Shadda) وغير ذلك. وكانت معاملاتهم مع هوساويين غالبًا, حتى قويت علاقة متينة بينهما, وانتهت إلى المصاهرة وإنجاب أولاد من المولدين.

ثم أخذ الهوساويون يشاركون هؤلاء الأجانب من العرب في هذه التجارة, وبدأ الأجانب ينسحبون عن السوق شيئًا فشيئًا حتى أصبح أكثر التجار في هذا السوق من الهوساويين إلا قليلا من أحفاد هؤلاء الأجانب. ومن أشهر هؤلاء التجار من العرب الأجانب: حيدر, وجَنْغَاشِي (Jangashi) وغيرهم.

وما زال السوق بشهرته وعلاقته بتلك البلاد العربية والبلدان الأخرى كالمملكة العربية السعودية, ودبي, وبلاد أخرى غير العربية كالصين (China) وغيرها.[2]

---

[1]- مصطفي شقران (الدكتور), مخاضرة بعنوان: "دور التجار المسلمين في نشر الاسلام بغرب إفريقية في العصر الوسيط". أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي. المرجع السابق, ص:62

[2]- مقابلة شخصية مع الحاج اسمائيل التاجر الأنواع الأقمشه بسوق كوَري (Kasuwar/Kanti Kwari) وجرت هذه المقابلة في دكانه في السوق من الساعة الثامنة إلى التاسعة صباحا بتاريخ:2013/4/20

وكان لهذا السوق دور كبير في احتكاك أهل كنو مع العرب الأجانب, مما كان له تأثير واضح, وصار عاملا من أهم العوامل التي ساعدت على تكوين حافظ شروما كبر شاعرا.

كما تعتبر مدينة كنو مصدر لتجارة الكتب الدينيّة, والحضارة الإسلاميّة, والثقافة العربيّة في جمهوريّة نيجيريا الاتحاديّة. ولعلّ السرّ في ذلك يرجع إلى تلك العلاقة التجاريّة المتينة المتواصلة التى وقعت قديمًا- وما زالت تجري- بينها وبين التجّار العرب, فكانت هذه العلاقة عاملاً فعّالاً على قيامها بهذا الدور المرموق. وما زالت المدينة بشهرتها بالنشاط التجاري, وما زال أهلها يقومون بنفس الدور الذي قام به التجّار المسلمين الأوائل.

"كان لأهل كنو في هذه الأيام علاقة متينة مع بلاد العرب في تجارة الكتب"[1] وهذه العلاقة "جاوزت حدّ التجارة والصداقة, ووصلت إلى حدّ الإخاء, لكثرة ترددنا إلى بلادهم وزيارتهم إيانا, ومن الصعب أن يمرّ علينا أربعون يومًا؛ إلا وقد سافرت إلى بلد من بلاد العرب لإيراد الكتب وما يتعلق بهذا الأمر, ومن البلاد التى نسافر إليها غالبًا:

1- جمهورية مصر العربية.
2- الجمهورية اللبنانية.
3- الجمهورية السورية
4- المملكة العربية السعودية.
5- جمهورية السودانية الديمقراطية.
6- الجمهورية المغربية

[1]- مقابلة شخصية مع المعلم حمز أبوبكر ريجير ليمو (Rijiyar Lemu) أحد تجار الكتب في سوق كُرْمِي (Kasuwar/Kiniti Kwari) بمدينة كنو, جرت المناقشة في دكانه الساعة حادية عشر إلى الثانية عشر صباحا بتاريخ:2013/4/20

وغير ذلك من البلاد"[1]

كما كان لهؤلاء التجار علاقة ومعاملة وثيقة مع أكثر أصحاب شركات طبع الكتب في العالم العربي والإسلامي, مثل:

1-شركة القدس للتجارة والاستيراد, لصاحبها الحاج حسام النجار

2-شركة دار ابن الهيثم, وراء جامعة الأزهر. لصاحبها: محمد بن الهيثم.

3-شركة دار المصر الجديد لصاحبها. الحاج مصطفى.

4-شركة دار ابن رجب, لصاحبها: الشيخ عبدالرحمان.

5-المكتبة التوحيدية, وراء جامعة القاهرة, لصاحبها: الشيخ محمد عبد الحميد.

6-مكتبة المعارف, الرياض, لصاحبها: سعد بن راشد.

7-مكتبة وهبة, لصاحبها: سلطان عيد. وغيرها.

"وكان بيننا وبينهم التعارف, ولنا معهم علاقة متينة في تجارة الكتب إلى اليوم, ومنهم من يزورونا في هذه المدينة, مثل: حسام النجار, وكان يزورنا كثيرًا, والحاج مصطفى, والهيثم بن الهيثم, وصاحب دار الطلائع, وصاحب مكتبة ابن سيناء"[2].

وقد اشتهر سوق كُرْمِي بتجارة الكتب منذ القدم, "وهو أكبر سوق للكتب في القارة الإفريقية باستثناء جمهورية المصر العربية"[3]. ومن أشهر تجار الكتب القدامى في هذا السوق: [4]

---

[1]- مقابلة شخصية مع المعلم إبراهيم إدريس نتيبو (Nataibo) المعروف بطن نيجر (Dan Niger) أحد تجار الكتب المشهورين في سوق كُرْمِي حاليا، جرت المناقشة في كلية الشريعة لأمين كنو، من الساعة الثالثة إلى الرابعة مساء بتاريخ: 2013/4/20

[2]- مقابلة شخصية مع المعلم بشير محمد صاحب دار السلفية في سوق كُرْمِي، جرت المناقشة في دكانه من الساعة الواحدة إلى الثانية مساء، بتاريخ: 2013/4/20

[3]- مقابلة شخصية مع المعلم حمزة أبوبكر ريجير ليمو (Rijiyar Lemu) المرجع السابق

[4]- مقابلة شخصية مع الأستاذ حمزة أبوبكر ريجير ليمو (Rijiyar Lemu) أحد تجار الكتب. بتاريخ: 2013/4/20

1- عبدالله يسار؛ وقد توفي رحمه الله, وما زال أبناؤه يقومون بتجارة الكتب حتى اليوم.

2- الشيخ شَرُو بَلّا (Sharu bala), ولم يزل الشيخ في قيد الحياة عند كتابة هذه السطور, وقد بلغ من الكبر عتيّا, فأبناؤه هم الذين يقومون بهذه التجارة.

3- المعلم حسن إنُوَ (Inuwa) رحمه الله.

4- المعلم ثاني آدم (Sani Adamu) رحمه الله.

5- المعلم ثاني علي (Sani Aliyu) رحمه الله.

6- المعلم أيوب رحمه الله.

7- المعلم زكريا سَلْغَى (Salga)

هؤلاء هم السابقون في هذه التجارة بسوق كُرْمِي (Kurmi). وما زال أبناؤهم وأحفادهم يلعبون دورًا مهما في هذا الميدان.

أما المعاصرون في تجارة الكتب في هذا السوق فمنهم:

1- الأستاذ إبراهيم إدريس ناتيبو (Nataibo) المعروف بطَنْ نِجَرْ (Dan Nigar) صاحب مكتبة دار الأمة.

2- الأستاذ بشير محمد بشير, صاحب دار السلفية.

3- الأستاذ حمز أبوبكر رِيْجِيَرْ ليمو (Rijiyar Lemu).

4- شريف القاضي بَلاَ (Bala) صاحب مكتبة القاضي بَلاَ.

5- محي الدين عبد اليسار.

6- حسن عبد اليسار.

7- المعلم عبد.

8- الحاج عثمان أيوب.

9- الحاج هادي زكريا سَلْغَى(Salga).

10- المعلم بَرْهَامَ (Barhama)آيوب.

11- عمار عبد الله.

12- آدم آيوب.

ومن الأسواق التي تتمتع به مدينة كنو, التي أدت دورًا فعّالاً من الناحية الاقتصادية والتجارية:

1- سوق كُرْمِي, وهذا السوق مخصوص لاستيراد الكتب وبيعها.

2- سوق كوري (Kasuwar/ Kantin Kwari) وهو مخصوص لبيع الملابس والأقمشة.

3- سوق ريْمِي (Rimi Market) وهو مشهور ببيع ما يتعلق بمعاش الإنسان.

4- سوق دَوانَو (Dawanau) وهو مخصوص لتجارة محصولات الزراعية كالأرز والدخن والفول وغيرها.

5- سوق قُوْفَرْ رُوَا (Kofar Ruwa) فهو مخصوص لتجارة آلات البناء والسيارات.

6- سوق وَمْبَيْ (Wambai) وهو وليد من الأسواق السابقة وأقل منها شأنًا.

فقد نشأ هذا الشاعر حافظ شروما في هذه البيئة التجارية وكان والده تاجرًا, والإنسان ابن بيئته, فأثرت عليه البيئة وما فيها, وتأثربها, فكان ذلك عاملاً فعَّالاً من العوامل التى ساعدت على نبوغه في الشعر.

العامل الثالث: البيئة السياسية:

أكثر المصادر التاريخيّة تقول: إن الإسلام قد دخل إلى مدينة كنو في وقت مبكّر عن طريق التجّار, لكون المدينة مركزًا هامًا للتجّارة. أما متى تسرّب الإسلام إلى المدينة بالتحديد فتلك قضيّة مجهولة.

وأول ملك أسلم من ملوك مدينة كنو حسب المراجع التاريخيّة؛ هو الملك الحادي عشر علي ياجي بن ظَامِيَا (Ali Yaji dan Tsamiya) على أيدى الونغراويّين الذين وفدوا إليها بقيادة زعيمهم عبد الرحمان زيتي.[1]

ومن المعلوم؛ أن الله تعالى يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن, فقد حدث ذلك فعلاً في عصر هذا الملك, لأنه قام بهدم التعاليم الوثنيّة. "وبنى مسجدًا في مكان الشجرة التى كانوا يتخذونها مكانًا لعبادتهم".[2] وأصدر قرارًا- إلى جميع إمارته- بنشر الإسلام والتمسّك بتعاليمه. فأصبح الإسلام- في أيامه- دين دولة وسياسة.

وتعاقبت الملوك إلى أن جاء عهد الملك محمد رنفا (Runfa) 1463- 1499م. وهو أشهر ملوك كنو في تلك القرون. وفي عهده زار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مدينة كنو, وكانت هذه الزيارة مثمرة، وتتمثل نتائجها فيما يلي:

1- اتخذ محمد رنفا هذا الشيخ صديقًا أمينًا, وشيخًا هاديًا.

2- أصبح المغيلي مستشارًا خاصًّا للملك, يستشيره في أمور دينه ودولته.

3- ساعد الشيخ المغيلي الملك على تأسيس دولة إسلاميّة متينة, مبنيّة على الفهم الصحيح.

4- كتب الشيخ المغيلي وصيّةً للملك, تكون له مرجعًا في شئون سياسته, فكانت بمنزلة دستور حكومي دقيق.

---

[1]- شيخو أحمد سعيد غلادنثي (الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المرجع السابق, ص:40.

[2]- نفس المرجع والصفحة.

ونحن ندرك ذلك ظاهرًا؛ عن طريق التأثير الذي مارسه الشيخ المغيلي على سلطان كنو محمد رنفا, الذي ساس قومه وفقًا لما كتبه له الشيخ المغيلي من الوصايا التى تتعلق بشئون الحكم وتنظيم الدولة. "ونتيجة لهذا التأثير مهّد هذا السلطان الطريق إلى إقامة أوّل دولة إسلاميّة في كنو.[1]

"ومن ذلك الوقت نستطيع أن نقول إن ولاية كنو أصبحت ولاية إسلاميّة حقًا. واستمرّ الإسلام يتّسع وينتشر, كما استمرّت الثقافة العربيّة تتسع وتتقدّم في هذه الولاية"[2]

وأضف إلى ذلك سياسة الشيخ عثمان بن فودي وتلاميذه, في إقامة الدولة الإسلامية يسوسها الكتاب والسنة, ودورهم الفعّال في تأسيس مراكز علميّة لإشاعة اللغة العربيّة ونشر التعاليم الإسلاميّة في المناطق الشماليّة من جمهوريّة نيجيريّا.

ويعتبر عصر الشيخ عثمان بن فودي وأسرته عصر الإسلام الذهبي في هذه البلاد. عاش الشيخ أكثر حياته في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي 1177- 1233هـ/ 1754- 1817م في بيئة أقلّ ما يقال عنها- بحسب ما جاء في كتبه وكتب أخيه عبد الله وابنه محمد بلّو- أنها بيئة تفشّت فيها الخرافات, وسوء الفهم لكثير من قضايا العقيدة الإسلاميّة, وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن فودي:

هذي البلاد وجدنا قومها غرقوا * في الجهل نمنعهم أن يفقهوا ديناً[3]

ثم إن كتابه: "إحياء السنة وإخماد البدعة" أكبر شاهد, إذ تناول فيه عادات المجتمع التى إختلطت بالدين الإسلامي. أما في كتاب "إرشاد الأمة إلى تيسير الملة" للشيخ عثمان بن فودي فقد عالج فيه

---

[1]- الطيب الوزاني (الأستاذ), أعمال ندوة للتواصل الثقافي والاجتماعي, (محاضرة لأستاذ الطيب الوزاني, بعنوان: مقوّمات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب إفريقية والمغرب الأقصى معالجة في التركيب). المرجع السابق ص:489

[2]- شيخو أحمد سعيد غلادنثي, حركة اللغة العربية, المرجع السابق, ص:42.

[3]. راجع: عبد الله بن محمد المعروف بابن فودي الشيخ): تزيين الورقات طبع على نفقة الحاج محمد طن أغي ظامير يرو: صوكوتو نيجيريا. (بدون تاريخ ولا مطبعة). ص:31

قضية تيسير الدين. ثم كتابه: "إعداد الداعي الى دين الله للشيخ نفسه, بين فيه منهج الدعوة الإسلاميّة وأسلوب الداعية إلى دين الله تعالى.

فأخذ الشيخ عثمان في بداية سياسته في التركيز على تكوين جيل من الطلبة تكوينًا عقائديًا سليمًا وسياسيًا لتصحيح الأوضاع في بلاده فركز على محاربة الجهل والوثنيّة بالوعظ والإرشاد وإلقاء الدروس في حلقات تعليميّة قبل أن يضطر إلى حمل السلاح لإعلاء كلمة الله بالمقاومة الجهاديّة.

"وفي سنة 1704 أسّس مركز صوكوتو لتحفيظ القرآن ونشر علوم الشريعة الإسلاميّة. وفي الوقت نفسه جعله رباطًا للجهاد وقائدة لبناء دولة إسلامية ينطلق منها بجيوشه التى أنشأها هو وشقيقه عبد الله بن فودي وابنه الشيخ محمد بلّو"[1]

واستطاع الشيخ مع أسرته أن يفتح البلاد ويولي فيها الأمراء ويقيم خلافة راشدة تحكم بكتاب الله تعالى, وتطبق الشريعة في جميع إماراتها في هذه البلاد, ويصبح للإسلام دولة تحرك ساكنًا, وتسكّن متحرّكًا, ومن بينها مدينة كنو التى فتحوها, فقتلوا من بقي في الحصن من رجالهم, وسبوا ذراريهم ونسائهم وأموالهم. وفي ذلك يقول الإمام محمد بلّو بن الشيخ:

سائلوا عنا وأن أعدائنـــا * يوم دار الحرب في "كنو" الحفر

قد تركناهم بها مثل الهبا * أو كـــــــأحطام الهشيـــــم المحتظـــــر

فسقيناهم منايـــــا فـــــرأوا * سـهـــــم أمثـال جـــــــذع منقعـــــر[2]

---

[1]- راجع: أعمال ندوة التوصل الثقافي والإجتماعي. (مقال لدكتور مصطفي الغديري بعنوان: أسرة آل فودي ودورها في ترشيخ العقيدة الإسلامية ونشر اللغة العربية بشمال نيجيريا 279- 287). المرجع السابق, ص:282

[2]- محمد بلّو بن عثمان بن فودي, إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. المرجع السابق, ص:147-148.

ومنذ ذلك التاريخ اتضح جليًا؛ أن أهداف الشيخ ليست قاصرة على نصح الحكام وإصلاح السلبيّات الاجتماعيّة فقط, بل أيضًا إقامة دولة إسلاميّة على أنقاض دولة الطغيان عن طريق الجهاد.

ولم يزل الشيخ وجماعته يقاتلون ملوك الهوسا حتى انتصروا عليهم, وسقطت الإمارات واحدة تلو أخرى, ودخلت بعد ذلك كلها تحت لواء الدولة الإسلاميّة الجديدة, وصار الشيخ عثمان بن فودي أميرًا لهذه المملكة الواسعة, فوضع لها نظامًا إداريًّا إسلاميًّا, وجعل اللغة العربيّة هى اللغة الرسميّة للدولة.

وكانت مدينة كنو من ضمن البلاد التي بايعت أمير المؤمنين عثمان بن فودي وأخذ أميرها سليمان الراية العثمانية إلى المدينة نافذًا لنظام إسلامي في سياسته وإدارته, حسب تخطيط الشيخ عثمان بن فودي وتعليماته.

ولا غرو أن السياسة العثمانية قد لعبت دورًا فعّالاً في تغيير وضع المجتمع في مدينة كنو وكان لهذه السياسة يد لا تنكر في تطوير اللغة العربية بين سكان المدينة لكونها لغة رسمية. وأضف إلى ذلك ما قام به تلاميذ الشيخ في هذه المملكة من تعليم الناس تعاليم الإسلام واللغة العربية, تحت هذه السياسة العثمانة الهادفة, مما كان له تأثيرًا بالغًا على الرعية.

إنه لمن أوضح الواضح بأن البيئة الاجتماعيّة والثقافيّة والاقتضاديّة والسياسيّة قد أثرت تأثيرًا جليّا على الأدب العربي ويستجيب لها, ويتشكّل بلونها. وتساعد على ازدهاره أو ضعفه, وعلى جماله أو ردائته, ولقد كانت عاملاً من العوامل التى أسهمت على نبوغ هذا الشاعر- حافظ شروما كَبَرَ.

العامل الرابع: العكوف على دواوين القدامى والمحدثين:

من العوامل التي ساعدت على نبوغ هذا الشاعر؛ العكوف على دواوين الشعراء. كان هذا الشاعر يتّجه إلى الماضي, ويعكف على قراءة دواوينهم, يتتبّع آثارهم وأساليبهم اقتباسًا أو احتساء, ولم يكن ذلك بدعًا منه, بل هو كغيره من الشعراء؛ يتأثر ويتطوّر, ولعلّ ذلك أمر تفرضه الدراسة والنشأة والتحصيل في الأزمنة الأوّلية.

فالأديب في أيام طفولته الأدبية, يكون بحاجة إلى بناء مقوّماته الثقافيّة, وتغذيّة ملكاته الإدراكيّة, ويكون بذلك قويّ الصلة بماضيه, ثم يتطوّر الأمر لديه إلى البحث عن طريق جديد, وهويّة أدبيّة جديدة, لها ملامحها وصفاتها الشخصيّة, تقوده إلى الابتكار لموضوعاتٍ وأساليبٍ جديدة, حتى يتكوّن عنده الغناء الفكري, التي ترافق عمليّة الإبداع الأدبيّة.

ولعلّ ذلك هو السرّ في إجابة الشاعر عن سؤال الباحث, عندما ناقش الشاعر حافظ شروما عن موهبته الشعريّة, أجاب قائلاً:- "لا, ليست موهبة؛ إنما هي محاولة شعريّة فقط, ربما نتذاكر بعض أشعار السابقين, ونحاول أن نأتي بأمثالها, ذلك الذي كنا نفعل"[1].

ولا غرابة فيما ذهب إليه الشاعر, فإن الشعر العربي له صلة قديمة بماضيه: "فقد ظلّت الصلة قائمة متينة بين عصوره وأقاليمه المختلفة وبين الجاهليّة وحياة العرب البدويّة القديمة, فهى تفرض نفسها على الشعر والشعراء"[2]

نعم, كان هذا الاتجاه واضحًا لمن تتبّع قصائد الشاعر, على الرغم من أن فيها نواحي التجديد والتطوّر.

---

[1]- مقابل شخصية مع الشاعر محمد حافظ ثروماكبر المرجع السابق. بتاريخ:2011/3/4م.

[2]- شوقى ضيف (دكتور) التطور والتجديد في الشعر الأموي, الطبعة الحادية عشرة:2007, دار المعارف- القاهرة. ص:5.

الفصل الثالث: الدراسة الأدبيّة النقديّة لقصائد الشاعر الغزلية

المبحث الأوّل: دراسة نظريّة عن فنّ الغزل.

المدخل إلى فنّ الغزل:

المتتبّع لأخبار الأمم وتاريخ الشعوب قديمًا وحديثًا, كبيرها وصغيرها, يدرك جليًّا أنها تشترك في معرفة الحبّ ومعانيه, وتستجيب لدواعيه, وتقدّر أهميّته في حياتها الفرديّة والاجتماعيّة, ويعتبر ذلك ظاهرةً من ظواهر العلاقات الإنسانيّة, منذ بداية حياتهم وكان له أثر بالغ في تكوين المجتمع الإنساني وحضارته.

وللحبّ مكانة مرموقة, فهو حقيقة إنسانيّة واقعيّة, فلا يمكن عيش بدونه, لأننا نحتاجه كاحتياجنا للطعام والشراب والنوم, وكل ذلك من لوازم عيشنا, ومقتضيات فطرتنا التى فطرنا الله عليها.

فالإنسان يحبّ أشياء كثيرة, ومنها الحبّ الذى يكون بين رجل وامرأة رجاء أن تكون له زوجة, وحديث الفتيان مع الفتيات الذي يسمى غزلاً.

ومن المسلّم؛ أن الحبّ ملكة سامية, ونعمة ربانيّة أنعم الله بها على عباده, ليدركوا بها طريق النور وروح الحياة, وحياة الروح.

فقد وجد الغزل اهتمامًا بالغًا في القديم والحديث وتناوله الشعراء منذ القدم. واهتم به علماء اللغة, ودارسوا الأدب العربي, وذكروا كثيرًا من المفردات التى تدل على الحبّ.

فقد ذكر الإمام أبو المنصور الثعالبي مراتب الحب عن النحو التالي:-

1- الهوى: وهو أوّل مراتب الحبّ.
2- العلاقة: وهى الحبّ اللازم للقلب؟
3- الكَلَفُ: وهو شدّة الحبّ
4- العشق: وهو اسم لما فضّل عن المقدار الذي اسمه الحبّ.
5- الشَّعَفُ: وهو إحراق الحبّ القلب مع لذّة يجدها.
6- اللوعة: وهى حرقة الهوى.
7- اللاعجُ: وهو الهوى المحرق.
8- الشَّغَفُ: وهو أن يبلغ الحبّ شغفان القلب وهو جلدة دونه.
9- الجوى: وهو هوى الباطن.

10- التيم: وهو أن يستعبده الحبّ, ومنه سمي تيم الله. أي عبد الله.
11- التَّبْلُ: وهو أن يسقمه الهوى, ومنه رجل متبول.
12- التدليه: وهو ذهاب العقل من الهوى. ومنه رجل مدلّه.
13- الهيوم: وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم[1].

فلا غرو في كثرة المفردات في هذه المادة, لأن الحبّ أسمى العلاقات وأرقاها, ويكفيك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"أنت مع من أحببت".[2] وأيّ سعادة تقارب تلك السعادة؟ وأيّ نجاح في النهاية يوازي ذلك الحبّ؟

فكلمة الغزل كلمة تشير إلى رقّةٍ ولطافةٍ, ولعلّ هذا من الأسرار التى جعلت العرب تسمى الشمس في وقت ضحاها بالغزالة لأنها تكون في هذه الفترة أرقّ وأحلى وأصفي, يُدفأ بها البرد شتاءً, وتكون رائعة وجميلة قبل الظهيرة صيفًا. فيكون بينها وبين الروح الإنساني تجاوب ومناجات بغير صوت, وهي تنطق للقلب, وتوحي للروح, وتنبضّ بالحياة! فيتغزّل بها الإنسان.

يقول الخوارزمي الزمخشري:"طلعت الغزالة وهى الشمس, ولا يقال: غابت. وهو اسمها إلى مدّ النهار وانتفاخه. يقال: لقيته غزالة الضحى. وغزالات الضحى قال:

دعت سُليمى دعوةً هل من فتى * يسوق بالقوم غزالات الضحى[3]

كما أن كلمة الغزل: تعني: حديث الفتيان مع الفتيات. واللهو معهنّ يقول ابن سيّده:"الغزل اللهو مع النساء. وكذلك المغزل.

قال:

تقول لي العَبْرَى المصاب حليلها * أيا مالكُ هل في الظعائن مغزل

ومغازلتهنّ: محادثتهنّ ومراودتهنّ"[1].

---

[1]- عبد الملك بن إسمائيل الثعالبي (أبو منصور). فقه اللغة وأسرار العربية, دراسة وتحقيق: مجدي فتحي السيد, المكتبة التوفيقية, القاهر – مصر. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع) ص:133.

[2]- محمد بن اسمائيل (البخاري), صحيح البخاري .(رقم الحديث:3688) 1419هـ - 1998م بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض ص:704

[3]- محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري (أبو القاسم), أساس البلاغة, دار الفكر, 1420هـ - 2000م بيروت- لبنان. ص:449.

أما قدامة فكان يقول:" والغزل إنما الصابي والاستهتار بمودّات النساء, ويقال بالإنسان:إنه غِزل, إذا كان متشكلاً بالصبوة التى تليق بالنساء, ويجانس موافقاتهنّ بالوجد الذي يجده بهنّ إلى أن يملن إليه, والذي يميلهنّ إليه: هو الشمائل الحلوة, والمعاطف الظريفة, والحركة اللطيفة, والكلام المستعذب, والمرح المستغرب"[2].

ويتم ذلك غالبًا بالكلمات المعسولة, ومدح الأعضاء الظاهرة من المحبوب أو ذكر أيام الوصل والهَجْر, ونحو ذلك.

والتغزل: هو ذكر الغزل أو التكلّف به. كما يأتي بمعنى النسيب.[3]

والنسيب: من"نسب بالنساء ينسُب, وينسِب نسبًا ونسيبًا ومنسِبةً: شبَّبَ بهنّ في الشعر وتغزل. وقال شمّر: النسيب رقيق الشعر في النساء, وأنشد:-

هل في التعلُّل من أسماءَ من حوب * أم في القريض وإهداء المناسيب[4]

أما التشبيب: فهو ذكر صفات المحبوبة[5]

ومما تقدّم يتّضح أن ثمة أربعة مصطلحات في هذا الباب: الغزل, والتغزل, والنسيب, والتشبيب.

وقد ذهب ابن رشيق القيرواني إلى أن الغزل والنسيب والتشبيب بمعنى واحد, وأيّد هذا الرأي: الدكتور عبد العزيز نبوَى قائلاً:"وهو الرأي الشائع بين الباحثين"[6]

أما مصطفي صادق الرافعي, فيرى أن كلمة الغزل والنسيب كلمتان مختلفتان في المعنى, حيث يقول: "ليست هاتان الكلمتان مترادفتين بالمعنى الأخصّ, كما جرى في عرف الناس, ولكن بينهما

---

[1]- ابن منظور (الإمام العلامة), لسان العرب, تحقيق ياسر سليمان أبو شادي ومجدى فتحي السيد, المكتبة التوفيقية, القاهرة – مصر. بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع والسنة ص:71/10.

[2]- محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني (أبو الفضل) تاج العروس من جواهر القاموس. من الحاسوب الآلي, موقع الوراق. 7372/1.

[3]- المرجع السابق. 7371/1

[4]- ابن منظور (الإمام العلامة) لسان العرب. المرجع السابق: جـ 14 ص:129

[5]- عبد العزيز نبوَى (الدكتور), دراسات في الأدب الجاهلي, الطبعة الثانية, 1425هـ-2004م, مؤسسة المختار- القاهرة ص:109

[6]- عبد العزيز نبوَى (الدكتور), دراسات في الأدب الجاهلي, المرجع السابق نفس الصفحة 109.

فرقا نبّه عليه قدامة فقال: إن النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهنّ, وتصرّف أحوال الهوى به معهنّ, وقد يذهب عن قوم موضع الفرق بين النسيب والغزل, والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذى اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهنّ من أجله, فكأن النسيب ذكر الغزل والمعنى نفسه".[1]

فلسفة الغزل:

فقد وجد الغزل اهتمامًا بالغًا في القديم والحديث وتناوله الشعراء منذ القدم. واهتم به علماء اللغة, ودارسوا الأدب العربي, وذكروا كثيرًا من المفردات التى تدل على الحبّ.

فلا غرو في كثرة المفردات في هذه المادة, لأن الحبّ أسمى العلاقات وأرقاها, ويكفيك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"المرء مع من أحبّ".[2] وأيّ سعادة تقارب تلك السعادة؟ وأيّ نجاح في النهاية يوازي ذلك الحبّ؟

فكلمة الغزل تعني: حديث الحب بين الفتيان والفتايات, فهي كلمة تشير إلى رقّةٍ ولطافةٍ, ولعلّ هذا من الأسرار التى جعلت العرب تسمى الشمس في وقت ضحاها بالغزالة لأنها تكون في هذه الفترة أرقّ وأحلى وأصفي, يُدفأ بها البرد شتاءً, وتكون رائعة وجميلة قبل الظهيرة صيفًا. فيكون بينها وبين الروح الإنساني تجاوب ومناجات بغير صوت, وهي تنطق للقلب, وتوحي للروح, وتنبضّ بالحياة! فيتغزّل بها الإنسان[3].

فالإنسان الذي كان على فطرته يمتاز بإحساس وذوق رفيع وتعلّق بالغ بالجمال والحب, ويتغزّل لأجل ذلك لينعم بالمودة والمحبة فسرّ الحياة يكمن في العلاقة المتوازنة الصحيحة في اتحاد الرجل والمرأة ليكون من نتائجه إستمرار الجنس البشري.

---

[1]- مصطفي صادق الرافعي, تاريخ آداب العرب, المكتبة العصرية, 1427هـ 2007م بيروت- لبنان.
جـ 3/ ص:99

[2]- الحديث ثابت في الصحاح والمسانيد. راجع: أحمد شاكر (العلامة), عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير, مختصر تفسير القرآن الكريم, الطبعة الثانية 1426هـ - 2005م دار الوفاء – المنصورة ص:537/1.

[3]- راجع: سيّد قطب (شهيد القرآن), في ظلال القرآن الطبعة الخامسة, 1967م. دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان. جـ/7 ص:302 (بتصرف جدًا).

ولا يمكن فصل الحبّ عن الفضيلة؛ فقد أحبّ أنبياء وخلفاء وسلاطين وفلاسفة وفقهاء ومتصوّفون, وكفي للحبّ شرفًا قول خير الأنام, عليه الصلاة والسلام: "حبّب إليّ من دنياكم النساء"[1]

ويعدّ الحبّ ظاهرة أساسية لم تتغير في جوهرها منذ أقدم العصور, فالإنسان يأكل ما يحب, ويشرب ما يحب, ويلبس ما يحب, ويعاشر من يحب, فهو يحب المسكن الصالح, ويحب المركب الصالح, ويحب السعادة في الحياة, إذا فالحب هو السلام والخير, والطمأنينة والاستقرار, والأمن والأمان, فلا تحلو الحياة بغيره, ولا يستريح المرء بدونه.

إن استخدام فنّ الغزل عند الشعراء؛ وسيلة للتعبير عن عمق الحبّ, ورمزًا وجدوا من خلاله سبيلاً لإبداء شعورهم, وإفصاح عما يختلج في صدورهم, من حنان وشوق ومحبّة, لوصف مدى حبّهم وفق هذا اللون الشعر المميز.

فقد علّمتنا فلسفة الغزل والغرام؛ أن الإنسان العاشق المتغزل, لا تطيب له الحياة بدون معشوقته, ولا يجد اللذة التي يجدها الشعراء المتخيّلون في جمال الطبيعة وحسنها, ولا يدرك الجمال والبهجة, وراء الصور التي يتخيّلها الفنّان الماهر؛ بريشة قلمه الساحر, ولا يغتبط بجمال منظر الغابات والجبال والآكام, ولا يطرب بجريان الماء في الجداول والبركات, الأزهار بدون معشوقتة عنده لا تجدي, والتنزّه في الحديقة لا يفيد, والجلوس على ضفّة النهر بدونها ما ينفع!

فالعاشق في هذه المنزلة لا يشعر بحرارة الشمس, ولا يحسّ بالبرد وقراصته, ولا يبالي بخشونة الأرض, ولا يكترث بضيق الحياة وشدائدها, بل عنده ما هو أجل من كلّ ذلك في نفسه, وأعظم هولاً في قلبه, وأكبر شأنًا في ضميره, ألا وهو الوصول إلى معشوقته! فالحياة مع الحبيبة ساعة, خير عند المتغزّلين من الحياة بدونها ألف ساعة.

---

[1] أخرجه أحمد (128/3, 199) و النسائي في عشرة النساء, (61/7) وأبو يعلى (3483) راجع: أشرف عبد الرحمان, الحب بين الوهم والحقيقة, مكتبة السنة, الطبعة الأولى 1429هـ 2008م القاهرة. ص:8

فكثيرا ما أتسائل: ما الذي يمنع الإنسان المتغزّل أن يهدأ أو يستريح؟ أو أن يسكن إلى نوم أو يستقرّ في يقظة؟ وما الذي جعله لا يهنأ في اجتماع ولا خلوة؟ أليس هو لوعة الحب وشدة الغرام! يعيش ويحيى إذا تغزّل مجروح القلب, حائر الضمير, مشتّت الأفكار, باحثًا عما يروّح عن نفسه همومها وآلامها, راجيًا أن يفوز بمعشوقته الفدّة, تتقدم إليه بخطاها الثابتة, ووجهها المشرق الناضر, وثغرها المضيئ الباسم, تمدّ إليه يديها الناعمة, ليسعد بالحبّ الشريف الطاهر, وهو ينظر إلى أنضر الفتيات عنده وجهًا, وأسعدهنّ في نفسه حالاً.

لم أزل ولا أزال متسائلاً: ما الذي يجعل الفارس الشجاع, والقائد العبقري, أن يبلّل تربته بدموعه حزنًا؟ فمن لي بدموع تذرف من جفون الأمراء والرؤساء والسلاطين؟ وأضف إلى ذلك الأغنياء وأهل الثراء, وحتى الفقراء على حدّ سواء! وما الذي يجعل العالِم شبه جاهل, والفيلسوف فاقد حكمته, والعاقل فاقد وعيه, والرشيد فاقد رشده, ويصبح الحليم لأجله حيرانًا؟! إنها ضربات شديدة من ضربات الغزل والغرام, فقد ضربهم بجميع أنواع ضرباته القاسية فقضى عليهم.

ألا تراهم جميعًا؛ عندما يفوز أحدهم بفريسته, يشعر في نفسه ببرد الراحة, ويقلّب وجهه في السماء, كأنما يساهر الكواكب والنجوم فرحًا وسرورًا, فقد وجد ضالته التي ظل ينشدها زمنًا طويلاً, فتشرق عليه الشمس بنور الحب والهوى, وترفرف بجناحيها في عالَم التغزّل والتشبيب, وتشرف من أفق هذه الغزالة شمس السعادة, فيشعر بالحب الذي ملأ قلبه, حتى فاض عنه إلى جميع الكائنات, التى يراها وتتمثل بين يديه, وعندما ينظر إلى السماء بنجومها وكواكبها, فلا يرى في صفحتها إلا صورة الحب والمودة ولا يسمع في خفيف الأشجار وتمايل الأغصان إلا صوت العشق والغرام؛ ولا يشمّ في نسيم الصباح المترقرق إلا رائحة المحبة, والكون كلّه باسمًا يبشّر بالهيوم, ويسمع في كل صوت نغمة وأنا شيدًا لعشيقته, ولا يزال يشعر بجمال المقام, فيالها من سعادة وحبور, ولو لمس صدره, لفقد مكان قلبه, وقد طار سرورًا نحو معشوقته!

وهكذا نجد فلسفة الغزل والحب يصنع العجائب, ويأتي بالغرائب, ويخلق ما يدهش أولى النهى والألباب, ولا غرو في ذلك, فإن فلسفة التغزّل أمر طبيعي في العالم كلّه, فهو دائمًا يتمشى مع الكون والحياة, وتجد فلسفة التغزّل في عالم الحيوانات والطيور, كما تجد نفس الفلسفة في عالم النباتات والأشجار والذروع.

ولو تتابعت سائر المخلوقات لوجدت تأثير هذه الفلسفة فيها ظاهرًا وجليًّا "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون"[1].

فأنت ترى الحمار؛ عندما يتغزّل ويتشبّب مع معشوقته الأتان, يقدّم كل ما كان غاليًا وثمينًا في سبيل الحب والغرام, وينسى جميع الآلام والأوجاع لأجل الشوق والهيام, تجده يجري وراء حبيبته متغزّلاً متشبّبًا, كأنه فاقد لوعيه وقد شغفه حبًّا, وينساه هذا الحبّ والشوق ألم ضربات التى تقدّمها محبوبته إليه على صفحات وجهه, يحتسب كل ذلك محبة ومودّة, يتقرّب به إلى حبيبته زلفي, يشعر ويحسّ بأن جميع هذه المصائب والبلايا, لا محلّ لها من الإعراب, وكل هذه الإهانة والاحتقار, تذهب هباءً منثورًا, ما دام ذلك في سبيل الحب ولأجله!

وكذلك الطيور بأنواعها؛ تجدها سابحة في بحر فلسفة الحب, وعندما يتنفس الصبح, ويسفرّ الجوّ, وتشرق الشمس بضيائها, وتهب الرياح بنسيمها, ويتمايل الأغصان بزهورها وثمارها, تسمع تغاريد الطيور وأناشيدها, ويتغزّل بعضها إلى بعض في شوق وحنان, وتراها تنتقل من مكان إلى مكان آخر, بين الأغصان يعانق الحبيب حبيبته, ويتحدثان حديث الحبّ, حتى إذا أخد الشوق والغرام مأخذة, تراهما يتحلّقان معًا في الجو, باسطان جناحيهما, يتصافحان تارة, ويتلاعبان تارة أخرى, وقد غمرهما الشوق والغرام.

أما فنّ الغزل في الشعر العربي النيجيري؛ فلم يكثر الشعراء من القول فيه, مع أنه يعبّر عن المشاعر الوجدانية, والعاطفة الإنسانية الهادفة. وعلى الرغم من هذا؛ فإن الأدباء النيجيريين أبدوا تحرجهم من القول عنه, واستنكفوا الخوض في هذا الفنّ, وقليل من أطلق عنان مشاعره الوجدانية, وعاطفته الفطرية, ليجود بقريحته وأحاسيسه الفيّاضة تجاه هذا الباب الواسع, ومما ساعد على اشمئزاز الأدباء النيجيريين, وتحرّجهم عن الخوض في هذا الميدان:

---

[1]- سورة الذاريات:49

- أن ثقافة الشعراء في الجيل الماضي ثقافة دينيّة.
- كون معظم الشعراء والأدباء من رجال الدين.
- اشتغال هؤلاء العلماء والشعراء بالحروب والفتوحات.
- إنفاق وقتهم بالوعظ والإرشاد والدعوة إلى الإسلام, وبشواغل السياسة.
- يرى البعض أن الغزل لا يناسب مع وقاره ومركزه الاجتماعي.
- ابتعد بعضهم عن استهلال قصيدته بالغزل فرارًا عن الاحراج الذي يسبّبه هذا الفنّ في نفسه.
- كتمان حبّهم عن الآخرين, خشية من أن يتعرّضوا للقيل والقال.
- وأضف على ذلك؛ بأن أغلب العلماء والشعراء في القرن الماضي, ممن طعن في السّن, يرى أنه يقترب من الموت, وينبغي له أن ينقطع عن غراميات الشباب, ويستعدّ للقاء ربه.

فنّ الغزل في الأدب العربي عبر العصور الأدبية:

الغزل في العصر الجاهلي:

يعدّ الشعر العربي الجاهلي شعرًا ذاتيًا يمثّل صاحبه وأهواءه, يحدّث فيه الشاعر عن مشاعره وأحاسيسه, ويصوّر فيه عواطفه وخيالاته فرحًا وحزنًا, وليس الشعر عند الشاعر الجاهلي موضوعيًّا, بل إنما هو ذاتي, لأن الشاعر الجاهلي عندما يقرض قصائده لا يعالج علمًا من العلوم, بل يقوم بتصوير ما في خلجات نفسه, وأحاسيس قلبه, وعواطف روحه؛ في تغزله ووصفه, وتحمسه وفخره, ومدحه وهجائه, ورثائه واعتذاره وعتابه, وهو شعر مرتبط بالغناء عندهم, "وكان التغنّي بالشعر شيئًا متلازمًا لدى العرب القدماء, ولذلك يقول العرب: أنشد الشعر. والنشيد في اللغة: رفع الصوت"[1].

وقد ذهب الدكتور شوقي ضيف؛ إلى أن الغناء هو الأصل والأساس في تعلم الشعر عندهم. وهو قول وجيه, ومذهب سديد, لأن

[1]- محمد واضح رشيد (الحسيني الندوي) وآخرون, تاريخ الأدب العربي, العصر الجاهلي والعصر الإسلامي, الطبعة الثانية, 1430هـ 2009م, دار ابن كثير, دمشق – بيروت. ص:87

العرب كانوا يعبّرون عن إلقاء قصائدهم بالإنشاد. "ومنه: الحداء الذي كانوا يحدون به أسفارهم وراء إبلهم, وكان غناءً شعبيًّا عامًّا"[1]

أما عميد الأدب العربي – طه حسين – فإنه يرى: أنه من القضايا التى لا يتطرّق إليها أدنى شكّ ولا ريب؛ في أن الجاهليّين كانت لهم قصائد وصفيّة ومدحيّه وهجائيّة, كما أنهم قد أنشدوا أشعارًا في الرثاء, و"قد ألموا بذكر النساء, ولكننا نرجّح أن فنّ الغزل لم يتم عندهم"[2]

وعندما نعود إلى الأدب العربي عبر التاريخ, ندرك بكل وضوح؛ بأن فنّ الغزل- في الشعر العربي- في بداية أمره, وفي مراحل طفولته؛ من جاهليّته إلى صدر الإسلام, لم يكن غرضًا مستقلاً وقائمًا لذاته, إنما وجدنا قصائد الشعر الجاهلي وصدر الإسلامي تبدأ أغلبها بالغزل, ويقع ذلك عادة في مطلع القصيدة, ونادرًا جدًا أن يحلّ محلّه موضوع آخر. "لم يثبت استقلال شعر الحبّ قبل اندماجه في القصيدة بقطع أبقي عليها"[3]. فالوثائق الثابتة تشير بكل تأكيد إلى أنه لم يكن شعر الغزل في العصر الجاهلي في قصائد منظمة, إنما هو موزع بين ذكريات الشاعر لشبابه ووصفه للمرأة, والبكاء عند الآثار المختلفة.

وعلى الرغم من عدم وجود قصائد الغزل- أو قلّة الأدلّة على وجودها- مستقلّة بذاتها في العصر الجاهلي, فقد استطاع الشاعر الجاهلي أن يورد أبياتًا غزليّةً, يتفاخر فيها بمغامراته في الحبّ, ويفتخر في هذه الأبيات بحديث حبّه التّام, ولا يخشى من تصويره وتشخيصه حتى في مواقف ماجنة.

وتجد ذلك واضحًا وضوح الشمس في كبد السماء, في أبيات من معلقة امرؤ القيس:

ويوم دخلت الخـدر خدر عنيـــــــزة * فقالت: لك الويلات إنك مرجلي

---

[1]- شوقي ضيف (دكتور), تاريخ الأدب العربي, العصر الجاهلي, الطبعة الثامنة والعشرون, 2008م دار المعارف- القاهرة. ص:191

[2]- طه حسين (دكتور) في الأدب الجاهلي, الطبعة الثامنة عشرة, دار المعارف – القاهرة (بدون ذكر التاريخ) ص:323

[3]- إيفالد فاجر الشعر العربي القديم, (ترجمة وتعليق: دكتور سعيد حسن بحيرى) الطبعة الأولى, 1428هـ - 2008م موسسة المختار- القاهرة, ص:144

تقول وقد مـــال الغبيط بنا معًـــــــا * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلت لها: سيري وأرخـــي زمامـــــه * ولا تبعديـــي مـــــن جنـاك المعلّـــــل

فمثلك حُبلى قد طرقتُ ومـــــرضع * فـــألهيتها عـــــن ذي تمائم مُحـــــول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشـــــقٍّ وتحتـــــي شقّها لـــم يحـــوّل[1]

والمتأمّل لشعر الغزل يمكن أن يصفه بأنّه شعر شهواني يميل إلى اللذة والمتعة الحسّيّة منذ نشأته في الجاهليّة, وأكبر باعث له هو لوعة الحبّ الذي يمكن النظر إليه من خلال بواعث جانبيّة كالآتي:

1- يوم الفراق:

عندما يشهد الشاعر رحيل القبائل وهجرتها, ومن ثَمَّ الانفصال وفراق المحبوبة, ويؤدي به ذلك إلى تذكر جمالها وأيّامها التى مرّت في متعة وسرور, فيتساوره ألم الفراق ولوعة البين, فيتغزّل بها في ثنايا. ومن أروع مثال على ذلك أبيات غزلية من قصيدة الأعشى:

ودِّع هريرةَ إن الركبَ مـــــرتحِلُ * وهل تطيـــــق وداعًـــا أيّها الرجـــلُ

غرّاء قرّاء, مصقولُ عوارضها * تمشي الهوُينى كما يمشى الوجى الوحلُ

كأن مشيتها من بيت جارتها * مـــرّ السحابة لا ريث ولا عجـــلُ[2]

2- مرور القافلة:

وكثيرًا ما يشاهد الشاعر الجاهلي مرور قافلة مع ظعائن النساء, فتذكرّه هذه القافلة بمحبوبته وخلاصة عدّته, فتجيش جائشة الألم والأسى في قلبه, فيتساءل عند رؤيتها هل فيها محبوبته وفلذات

---

[1]- الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزاني, شرح المعلقات السبع دار الطلائع, مدينة نصر- القاهرة. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع). ص:14-18

[2]- الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزاني, شرح المعلقات السبع دار الطلائع, مدينة نصر- القاهرة. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع). ص:14-18

قلبه! فيكون ذلك باعثًا يجعله في التغزل بهذه المحبوبة في أثناء قرض قصائده. كما في قول عبيد بن الأبرص:

تبصّر خليلى هل ترى من ظعائن * سلكن غميرًا دونهنّ غمـــــوض

وفوق الجمال الناعجات كواكب * مخامص أبكـــــارًا أوانس بيـــــض

وبيت عـــــذارى يرتميـــــن بخـــــدره * دخلتُ وفيـــــه عانس ومريـــض[1]

3- مظهر الخيال:

وقد يرقد الشاعر مؤرقًا وسط صحبه النائمين, فتظهر له صورة محبوبته البعيدة فتعيد له الذكريات, فيكون ذلك إعادة لبعث ألم الفراق عند الشاعر كما جاء في شعر سويد بن أبى كاهل اليشكري:

هيّج الشوق خيالُ زائـــــــر * من حبيب خفِـــر فيـه قـــــــدع

وكذاك الحبّ ما أشجعـــــــه * يركب الهول ويعصى من وزع

فـــــــأبيتُ الليل مـــــا أرقـــــده *

وبـعينـــــــــيّ إذا نـجـــــــم طلـــــع[2]

4- البكاء عند الأطلال:

وهنا يصادف الشاعر في الصحراء منزلاً دارسًا, ويتذكر أنه محل مجلس سعيد منصرم مع المحبوبة, ويستسلم لذكريات حزينة, فيبكي عند تلك الآثار الدارسة بكاء الثكلى, والمتأمل للشعر الجاهلي يدرك جليّا؛ أن البكاء على الأطلال أكثر شيوعًا من غيره في مطلع قصيدة الشاعر الجاهلي. ومن أمثلة ذلك قول طرفة بن العبد البكري:

---

[1]- إيفاد فاجر الشعر العربي القديم, (ترجمة وتعليق: دكتور سعيد حسن بحيري). المرجع السابق. ص:157

[2]- المرجع: إيفاد فاجر الشعر العربي القديم, (ترجمة وتعليق: دكتور سعيد حسن بحيري). ص:158

لخولـــــة أطـــــلال ببُرقةِ ثهمـــــد * تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفًا بها صحبي عليّ مطيّهم * يقولـــــون: لا تهلك أسـى وتجلـــد

كأن خدوج المالكيّة غدوة * خـلايـــا سفين بالنواصف من دَدِ[1]

ويمكن إجمال القول؛ بأن العصر الجاهلي عصر يمارس فيه أهلها حياة فردية حرّة, متّسمة في كثير من الأحيان بالإباحة والخلاعة, ينظرون إلى المرأة كذريعة للاستمتاع واللهو, وعلى الرغم من ذلك أنهم يرون ولادتها في بيوتهم أمرًا غير مرغوب فيه, كما أن شعرهم الغزلية يمثل ذوقًا أدبيًا رائعًا في سيرتهم الذاتية.

الغزل في صدر الإسلام:

لما جاء الإسلام تعارضت رغبات أهل الجاهليّة واتجاهاتهم عن تعاليم هذا الدين الجديد, فخالفوه وتعصّبوا ضدّه, لكن الذين اعتنقوا هذا الدين ربّاهم رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم- بدعوته وبأخلاقه وبتربيّته للنفوس, حتى نجح في صياغة تصوراتهم في قالب جديد, وملأ قلوبهم إيمانًا وطلبًا لرضا ربهم, مكان رغباتهم إلى اللذّة واللهو. ونزع عنهم لباس الهوى والفساد, وجعل محلّه لباس التقوى؛ "ولباس التقوى ذلك خير".[2]

تغيّرت الحياة العربيّة الجاهليّة تمامًا بتأثير الدين الإسلامي, واتصفت حياتهم بالنزاهة, والسّمُوّ في العواطف والرغبات, وتهذّبت مشاعرهم, وتزوّدوا بالزاد الأدبي العظيم؛ الذي وصل إليهم عن طريق القرآن الكريم, وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذا النمط اتجه الأدب الإسلامي الجديد مشتملاً على أنواع أدبيّة مختلفة؛ فوجد بذلك في موضع كل لون من الأدب الجاهلي لون من الأدب الإسلامي ولكنّه ملتزم ومحتفظ بالسّمة السّليمة المقتبسة من الكتاب والسنة للبيان الأدبي. وأبقى الإسلام من التراث الأدبي الجاهلي مالم يكن فيه فساد وانحراف, "الناس معادن

---

[1]- الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزاني, شرح المعلقات السبع. المرجع السابق. ص:62-63

[2]- الأعراف: 26.

كمعادن الذهب والفضة, وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا".[1]

خفّ إقبال الناس على الشعر وضاق مجال عملهم في هذا الجانب, ولعلّ من أسباب ذلك مايلي:

1- تأثير مقتضيات الحياة الجديدة التى جاءهم بها الإسلام.

2- اشتغالهم بالحروب والفتوحات جهادًا في سبيل الله.

3- ذكر القرآن الكريم بالنفي على ما كان الشعراء يقومون به في شعرهم من الفساد والإفساد. كقوله تعالى "الشعراء يتبعهم الغاون, ألم تر أنهم في كل واد يهيمون, وأنهم يقولون مالا يفعلون".[2]

4- مما سمعوه من رسول الإسلام مما ظاهره يدل على ذمِّ الشعر والشعراء, كقوله عليه الصلاة والسلام: "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ثم يريه خيرله من أن يمتلئ شعرًا".[3]

لكنّهم سمعوه أيضًا يأمر بقول الشعر, ويثنى على الشعراء, ويستخدم الشعر سلاحًا على وجه الأعداء؛ ويقول: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه"[4] ويشجع حسّان- رضى الله عنه على قول الشعر ويدعوله في قوله: "اللهم أيّده بروح القدس".[5]

فبذلك كلّه عرف المسلمون نظرة الإسلام إلى الشعر؛ هي استحسان صالحه وجواز قرضه وتجنّب قبيحه, فواصل الصحابة قرض الشعر وإنشاده.

وتهذّب شعرهم الغزلي, فرق فيه الشعور, ونشأ منه نوع جديد عرف فيما بعد بشعر الحبّ العذري, نسبة إلى بني عذرة الذين نبغ فيهم عدد من شعراء الحبّ النزيه.

كما نهجوا لمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم منهجًا يجمع بين دقة الغزل وقوة المدح وصدق الوصف. على كلّ حال؛ فإنه قد

---

[1]- مسلم بن حجاج (القشيري), صحيح مسلم. (رقم الحديث:2638) 1419هـ - 1998م, بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض. ص:1057

[2]- الشعراء:224-226

[3]- محمد بن إسمائيل (البخاري), صحيح البخاري (رقم الحديث:6154) المرجع السابق.ص:1187

[4]- أحمد بن حنبل (أبوعبد الله), مسند الإمام أحمد بن حنبل. بتحقيق جماعة من الأساتذة بإشراف شعيب الأرناؤوط, الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة 1419هـ - 1998م, بيروت لبنان. الجزء: 25 ص:63

[5]- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (أبو الحسن), صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي, القاهرة 1374هـ - 1953م؟ الدزء:5 ص:86

وجد شعر الغزل في هذا العهد على امتداده؛ وإن وجد عند بعضهم اشمئزازًا في قوله.

ومن ذلك ما حدث بين فضالة بن عمير رضي الله عنه مع امرأة كان يتحدث معها قبل إسلامه, فلما أسلم ومرّ بها, قالت: هلّم إلى الحديث, فقال: لا! وانبعث يقول

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا * يأبـــــــي عليك الله والإســـــلام

لـــــو مـــا رأيت محمـــــدًا وقبيلـــــه* بـالفتح يـــــوم تكسّر الأصنـــــام

لرأيتِ ديـــــن الله أضحـــــى بيننـا * والشرك يغشى وجهه الأظلام[1]

ولعل أول أبيات غزلية صريحة أنشدت أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام؛ هى التى استهلّ بها كعب بن زهير- رضى الله عنه- في قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم, عندما جاء إليه معتذرًا وهى من أجود وأشهر ما أثر من غزل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــــول * متيّـــــم إثـــــرهـــا لـــــم يـــــفد مكبـــــول

وما سعاد غداة البين إذ رحلت * إلا أغضّ غضيض الطـــرف مكحـــول

هيفاء مقبلة عجـــــزاء مدبـــــرة * لا يُشتكـــــى قِصـــــر منـــها ولا طـــول[2]

الغزل في العصر الأموي:

فقد امتازت مناطق مختلفة في العصر الأموي للنشاط الشعري, واشتهرت العراق في شعر الخصومات السياسية والقبليّة كما حدث بين جرير, والفرزدق, والأخطل, أو الشعر السياسي الديني كما كان عند الكميت بن زيد من الشيعة, أو عند الطرمَّاح بن الحكيم, وقطري بن الفجاءة من الخوارج.

---

[1]- فريد الدين مسعود, روائع من شعر الصحابة, تحقيق وتعليق عريف الدين معروف, 1425هـ- 2005م دار الحديث- القاهرة. ص:118

[2]- المرجع السابق نفسه. ص:195- 196

ففي الشام لم يظهر فيها من الشعراء العظام إلا قليل, مثل عديّ بن الرقاع العاملي, ولعل السبب في ذلك يرجع إلى:

1- أن أهل الشام كان مجال همهم الأكبر هو مسؤوليّات الادارة والحكم.

2- كان حالهم في هدوء وراحة أكثر من غيرهم, لكون بلادهم مركزًا للخلافة.

3- وإن كان يزيد وولده وليد من خلفاء بني أمية قد ساهما في شعر الغزل.

"أما الحجاز فقد امتاز في شعر الغزل, ووُفّق شعراؤه في ترقيقه, فنال بذلك الغزل تنوّعًا ورواجًا.

أما اليمن ومصر والمغرب والأندلس كان فيها تخلّفًا شعريًا. كما يرى ذلك الأستاذ محمد واضح رشيد".[1]

تأثر الغزل في هذا العصر بصورة الدعة والترف والثراء والرفاهية التى دخل فيها العرب, بفضل الغنائم والعطايا الحاصلة للمجاهدين والغزاة.

إن كان الصحابة عاشوا في شظف العيش, فها أبناؤهم يعيشون في ترف وثراء بإغداق الأمويون عليهم الأموال ليصرفهم عن التفكير في شأن الخلافة, وأتت إليهم الدنيا بحذافرها, فوجد الشباب فراغًا واسعًا, فأصبح كثير من هؤلاء الشباب الذين خرجوا من الأسر الغنيّة راغبين على الثقافة والشعر والفنّ, لينفقوا أوقات فراغهم في المتعة بالحياة, فنشأ بذلك الميل إلى الغزل ورقّ قوله وتوسع بعض الناس فيه.

"فالحجاز في هذا العصر الأموي كان مسرحًا لشعر غنائي تام, يقوم على وصف قصة الحبّ من جهة, كما يقوم على الصلة الدقيقة بالغناء وألحانه من جهة أخرى".[2]

وجد في هذا العصر تيّاران غزليّان: تيّار الإباحة, وتيّار العفاف. وسمّاها بعضهم بالغزل الحضري الإباحي, والغزل البدوي العفيف.

أما الغزل الإباحي؛ فهو التعبير عن العاطفة التى تكالبت على اللذة من غير حرمان, وتلبيّة لكلّ هوى والرغبات المحظورة في

---

[1]- محمد واضح رشيد وأخرون, تاريخ الأدب العربي المرجع السابق. ص:99

[2]- محمد واضح رشيد, تاريخ الأدب العربي, المرجع السابق. ص:103

غير تردد ولا عناد. وسبق في هذا النوع من الشعر الأحوص, وعمر بن أبي ربيعة.

ويرى محمد واضح رشيد ومحمد رابع في كتابهما: تاريخ الأدب العربي: أن أشهر قصائد عمر بن أبي ربيعة وأحسنها وأصدقها تمثيلاً لطريقته؛ قصيدته الرائية التى يقول فيها:

وبتّ أناجـــــــي النفس أيـــــن خـــــبائها * وكيف لما آتي من الأمـــر مصـــــــدر

فلما فقــدتُ الصـــــوتَ منهم وأُطفـــأت * مصابيـــــح شُبّت بالعِشَاء وأنْـــــــور

وخُفّض عنىّ الصوت أقيلت مسية ال * محباب وشخصي خشية الحى أزورّ وقـــالت وعضّت بالبنان: فضحتنـــــــــي * وأنت امرؤ ميسور أمـــــرك أعســـــر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى * إليكِ وما نفس من الناس تشعر[1]

وأما الغزل البدوي العفيف؛ الذي يطلق عليه العذري منسوبًا إلى قبيلة بني عذرة. فهو مظهر فني للعاطفة المتعفّفة والملتهبة في آنٍ واحدٍ, وهو من النوع الذي ينقاد فيه العقل للقلب, وتذوب فيه النفس, ويصبح فيه الحب نارًا محرقة, يذوب جسمه ألما وضعفًا في التطلع إلى المحبوب.

واشتهر من شعراء هذا النوع: جميل بثينة, وقيس بن ذريح, وقيس بن الملوّح- وهو مجنون ليلي وليلي الأخيليّة, وكثير عزة, واشتهر جميل بن معمر بشعره في بثينة, فهو شاعر فصيح, مقدّم عند النقّاد على جميع معاصريه من شعراء الغزل, وشعره رقيق سهل التراكيب واضح المعاني, وشعره كلّه في النسيب سوى قطعة أو قطعتين[2]

ومن أروع ما قال في حبّه لبثينة:

يقولون جـــاهد يـــــا جميـــل بغـــــزوة *
وأيّ جهـــادٍ غـــير هنّ أريـــد
لكـــل حـــــديث بينهـــــنّ بشاشـــــة *
وكـــــلّ قتيـــــل بينهـــــنّ شهيـــــد

---

[1]- المرجع السابق ص: 112

[2]- محمد واضح راشيد الحسيني تاريخ الأدب العربي, المرجع السابق. ص:108

علقت الهوى منها وليدًا فلم يـــــــزل * إلـــــى اليوم ينمو حبّها ويزيـــــــد
إذا قلتُ ما بـــــي يـــــا بثينة قاتلـــــــــي * من الحبّ قالت ثابت ويزيـــــد
وإن قلتُ ردِّي بعض عقلي أعش به* تولّت وقالت ذاك منك بعيـــد
ويحسب نسوانٌ مـــــن الجـــهل أننـــــي * إذا جئتُ إيـــاهنّ كنتُ أريـــــد
ومـــــن يُعط في الدنيا قرينًا كمثلهـــــا * فذلك في عيش الحيـاة سعيـــد[1]

الغزل في العصر العباسي:

لقد شاع الغزل في هذا العصر, وانتشر على ألسنة الناس جميعًا, على اختلاف مستوياتهم في الحياة, حتى أصبح من أكثر الأغراض شيوعًا, "ولا نغلو إذا قلنا: إن أهمّ موضوع استغرق الشعراء, واستنفد أشعارهم الغزل"[2] كل ذلك تعبيرًا عن عاطفة الحبّ الخالد في قلوب الناس, وتلبيّة لحاجاتهم الوجدانيّة.

وكان لشيوع الغزل في العصر العباسي عوامل وأسباب, تنحصر في النقاط التالية:

11- كون المجتمع "من أكثر المجتمعات ألوانًا"[3] يعتقد أهله اعتقادات مختلفة, وآراء متباينة, وأفكار ومذاهب شتى.
12- ضعف أثر الدين في نفوس بعض الناس.
13- انغماس بعض الناس على متع الحياة بلا قيود.
14- انحراف الجواري والإماء كثيرًا عن صراط مستقيم.
15- إن هؤلاء الجواري والإماء: "لعبن دورًا واسعًا في دفع المجتمع العباسي, نحو الصبابة والعشق"[4]

---

[1]- (من شعر جميل بثينة) الشر بيني الشريدة, جواهر الشعر, وروائع الشعر العربي في عصوره القديمة, 1430هـ- 2009م دار الحديث- القاهرة. ص:432

[2]- راجع: شوقي ضيف (دكتور), تاريخ الأدب العربي, العباسي. الطبعة الرابعة عشرة, دار المعارف- القاهرة. ص:221

[3]- راجع: حنا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي, 1426هـ- 2005م, دار الجيل- القاهرة. ص:672

[4]- راجع: شوقي ضيف (دكتور), تاريخ الأدب العربي, العباسي. المرجع السابق. ص:222

16- إغراء هؤلاء الجواري والإماء كثيرًا من الشعراء في أغاني الحبّ وأناشيده.
17- وجود بعض الشعراء والشباب استحوذ عليهم الشيطان, لا يعرفون دينًا ولا خلقًا ولا عرفًا.
18- شيوع الفسق والفجور, في "بعض قصور ذوي السلطان, ومن كانوا يفيضون عليه من أموالهم من المغنّين والشعراء".[1]
19- ظهور كثير من الجواري, كنّ ينظمن الشعر ويُحسنّ نظمه.

ولعل هذه الأسباب من أهم العوامل التى دعت المجتمع العباسي؛ إلى انتشار الغزل الإباحي المكشوف, الذي لا يعرف للمرأة كرامة ولا للرجل مروءة؛ هذا الغزل الذي يعبّر أحيانًا عن الجوع الجسدي, والغرائز الحيوانية.

وأسوأ من ذلك في هذا العصر: وجود الغزل الشاذ بالغلمان الذي يزري بكرامة الرجال, واستغرق "شعراء المسلمين في وصف الخمر وتشبيهها والدعوة إليها, والنشوة بها, وذكر سقائها وند مائها, والغزل بالمذكر, والاستقصاء فيه, حتى غلب على ما سواه"[2] "كما في شعر والبة بن حباب, وأبي نواس, والحسن بن الضحاك, والبحتري, وغيرهم".[3]

كان الغزل في العصر العباسى منتشرًا انتشارًا واسعًا, في جميع مستويات حياة الناس؛ من خلفاءٍ, ووزراءٍ, وولاةٍ, وكتابٍ, وعامة الناس رجالاً ونساءً. وكان الخليفة ابن المعتز من أكثر الشعراء من بين الخلفاء غزلاً, وكان عمّه المنتصر شاعرًا كما كان الخليفة الراضي بالله شاعرًا.

ومن الوزراء الفتح بن خاقان, وزير المتوكل القائل:

أيها العاشق المعذّب صبرًا * فخطايا أخي الهوى مغفورهْ

زفرة في الهوى أحطّ لذنب * مـــــن غزاة وحجّة مبـــــــرورهْ[4]

---

[1]- المرجع السابق نفسه. ص:226

[2]- راجع: أحمد الاسكندري ومصطفي عناني, الوسيط في الأدب العربي وتاريخيه, الطبعة السادسة عشرة. (بدون ذكر التاريخ المطبعة والدولة) ص:246

[3]- المرجع السابق نفسه. (الهاشمي). ص:246

[4]- راجع: شوقي ضيف (دكتور), تاريخ الأدب العربي, العباسي. المرجع السابق. ص:445

كما كان سليمان بن وهب وزير المهتدي, يُحسن الشعر ونظمه.

ومن الولاة: إبراهيم بن المدبر الذى تولى البصرة, وكان يهوى جارية تسمّى (نيئًا), وفيها يقول:

نيتٌ إذا سكنت كان السكوت لها * زينا وإن نطقت فالـــــدرّ ينتثـــــر

وإنمـــــا أقصـــــدت قلبـــــي بمقلتهـــــا * ما كان سهم ولا قوس ولا وتر[1]

وعرف عبد الله بن عبد الله حاكم بغداد؛ بأن قنيّة تسمّى (شاجى) شغفت قلبه حبًّا, فنظم فيها شعرًا كثيرًا, ومن قوله:

زرعت وشاجى بيننا في سبيبتي * غراس الهوى فاعتم بالثمر العَذْب[2]

وممن نظّمن الشعر من الجوار (محبوبة) جارية المتوكل. ويروى أنه غاضبها ذات يوم, ولم يلبث قلبه على أن نازعه إليها, فاقترب من حجرتها, فإذا هى تضرب على عود وتغني قائلة:

أدور في القصر لا أرى أحـــــدًا * أشكـــــو إليـــــه ولا يكلّمنـــــــي

حتـــــى كأنـــــي أتيـــتُ معصيـــــــة *

ليـــــس لهـــــا تـــــوبـة تخلّصنـــــي

فمن شفيـــــع بنا إلـــــى مـــــلك * قد زارني في الكرى وصالحنـــي

حتـــــى إذا الصـــــدّ عـــــاد لنـــــا * عاد إلـــــى هجره وقاطعنـــــي[3]

فصفّق المتوكل طربًا, ودخل إليها, وتصالحا.

ولا يفوتنا القول؛ بأن حركة الغزل العفيف لم يزل حيًّا, فقد وجد بعض شعراء الذين ارتفعوا عن أدران الجنس القبيح في غزلهم, وعاشوا في شوقهم ووجدانهم عيشة طاهرة نقيّة. وحركة

---

[1]- المرجع السابق نفسه. ص:446

[2]- المرجع السابق نفسه. ص:446

[3]- شوقي ضيف (دكتور), تاريخ الأدب العربي العباسي. المرجع السابق. ص:447

المجون لم تكن تعمّ الناس جميعًا, "بل كان الموضوع الذي يتصل بالعامة حقًا هو الزهد, وما نشأ عنه من التصوّف".[1]

الغزل في العصر الأندلسي:

لقد عاش العرب في الأندلس بنصيب كبير من الحرّية, على الرغم من كونها أمة ملتزمة, إلا أن الشعر كان يختلط بعبارات المجون, وبذلك كان الشعراء يعبّرون على سلوكهم الشخصي, ونزاعاتهم الفرديّة, هذه النزعات أنتجت ألوانًا من شعر الغزل؛ ما يسمّى بالغزل الصريح والغزل العفيف والغزل بالمذكر!

أخذ الشعر في الأندلس يتطوّر بتأثير الغناء والأنغام, ويبدو أن بيئة الحضر المترفة, وأطايب العيش, قد أمدّت الشعر الأندلسي بصور, جعلت الشاعر يتلذّذ بالغزل, لأنه أكثر التصاقًا بالعواطف, وأقربه إلى النفوس, ولخفّته ولذّته, يدخل الأذن بغير إذن, فيرق له القلب, وتبتهج له النفوس, وتنعم الروح بظلال الحبِّ.

ولعل من عوامل التى ساعدت على انتشار الغزل في البيئة الأندلسي ما يلي:

1- تهيأ للأندلسيين دواعي الغزل؛ كالطبيعة الفاتنة, بحدائقها ورياضها, والحضارة والعمر الجواري.

2- انتشار طائفة من المخنثين والقيان, ودور اللهو والمجون, ومجالس اللهو والخمر والغناء.

3- وجود الحبّ المترف الذي وجد سبيله بلا حدود في المجتمع الأندلسي.

4- شجعت المرأة الأندلسية إيقاظ الهوى في قلوب الرجال.

5- فرض الغزل الصريح نفسه في المجتمع الأندلسي, دون أن يكون إثمًا, كما كان معروفًا لدى العرب باسم الشعر الإباحي.

فأصبحت المرأة في البيئة الأندلسية, قد تغير أمرها, بعد فتوحات الاسلامية, "إذ انتشرت الإماء وهن مكشوفات الوجوه, يخالطن الرجال ويجالسنهم, ويغدون ويرحن دون تحرّج فضلاً عن القيان والمغنيات المبتذلات".[2]

---

[1]- شوقي ضيف (دكتور), تاريخ الأدب العربي العباسي. المرجع السابق نفسه. ص:226

[2]- راجع: محمد محمود المندلاوي (دكتور), مختارات من شعر الحب في الأدب الأندلسي. الطبعة الأولى, 1429هـ - 2008م, دار المعرفة – بيروت- لبنان. ص:28

واستطاع الشاعر الأندلسي, أن يجيد التعبير عن حبه وأحاسيس نفسه وفي تصوير الأجواء التى يعيشها, فأخذ يتغزّل بأوصاف حبيبته, وتغنّي بمفاتنها, وزينتها بالتشبيهات والمجازات, بأجمل مقاييس الجمال عند المرأة, من حسن القدّ, "وسحر العيون وامتلاء الصدر, بحيث تكاد نهودها تمزق الثياب تمرّدًا, كقول الشاعر:

يُدافعان إلى الألحاظ ما لبسا * كالسرّ في صدرِ نمّام ولو كشفا

لو لم يكفّهما ضعف لِلِينهما * لمزّقا عينهما بالدفع ما التحفـــــا[1]

ولم يقتصروا على هذا, بل ابتكروا الموشّحات على ألحان الأناشيد الشعبيّة التى كانت شائعة في البلاد. ووُضعت "أول ما وُضعت, للتغنّي بالعواطف القَلبيَّة, والتعبير عن خوالج الوجدان, فكانت تنفّس النفس العاشقة, ولهفة القلب الحاكم, وامتدادات أمل الباسم, وتحنان النشوة الذاهلية".[2]

وردد شعراؤهم الألفاظ الدالة على أحوال المحبين, ومايكابدونه في الحبّ. نحو: الشوق, والسقم, والوصال, والفراق, والعتاب, والسهاد, والصدّ, والودّ, والوداع, والهجر, والنوى, والبين, والصبابة, والعذل, والرقيب, والواشي.

وتجلى عن شعرهم عجب العجاب؛ من مزج القديم بالحديث, ومن الإتباعية والإبتداعيّة, ومن الإباحيّة والصوفيّة. كما أشار إلى ذلك الفاخوري.[3]

ومن أمثال شعرهم الغزلي:

يا لؤلؤًا يسبي العقول أنيقًـــــا * ورشًا بتقطيع القلـــوب رفيعًـــــا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثلـه* درًّا يعود مـــــن الحيـــاء عقيقًـــــا

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه * أبصرت وجهك في سناه غريقًا

---

[1]- راجع: المرجع السابق نفسه. ص:31

[2]- راجع: حنا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي. المرجع السابق. ص:955/1

[3]- راجع: حنا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي. المرجع السابق نفسه. ص:941

يا من تقطع حصره من رقـــة * ما بال قلبك لا يكـــــون رقيقًـــا[1]

وهكذا نجد فنّ الغزل يمر بعصور مختلفة؛ من الجاهليّة إلى الإسلام, ومن عصر الأموي إلى العباسي, ومن الأندلسي إلى عصر الانحطاط, عصر الضعف والسخافة والركاكة. فأصاب الغزل في هذه الأيام؛ ما أصاب من التجّمد في معانيه, "وكأنّما تجّمدت الخواطر الوجدانيّة".[2]

الغزل في العصر الحديث:

وما زال فن الغزل يمرّ بهذه العصور الأدبيّة, يرتفع تارة ويتطوّر, ويخفض أخرى ويتأخر, إلى أن جاء عصر الحديث, فوجدنا فيه شعراءً "يرفضون التكلّف في غزلهم, ويطلبون أن يكون فيضًا من الشعور الصادق, والحرص المرهف".[3] والبهاء زهير, خير مثال في ذلك, وكان حافظ إبراهيم شاعر النيل طبيعيًّا في غزله.

كما وجدنا نوعًا من الشعراء في هذا العصر؛ الحبّ عندهم "شفافيّة نفسيّة تُطلّ من العينين, ولهفة كيانية تفيض بها المشاعر, وتنفّسة نارية تندفق من المزافر".[4]وكان شعر (فوزي المعلوف) من أكبر مثال لهذا النوع استمع إليه وهو يقول:

تبـــــوح لهـــا بـــــالحبّ عينايَ إنـــــما *
لسانـــــيَ يستحيـــــــى فلا يتكلّـــــم
وأرقـــــب عينيها عســـــــى بهمـــــا أرى *
شـــــرارة حبّ صـــــحّ ما أتوهّـــــم
ففي عينها ما في عيوني من اللظـــــى * وذاك دليل الحبّ إن كتم الفـــــم
ولـــــكن لمـــــاذا لا تبـــــوح ولم أبُـــــــح *
وقد علمت ما بي كما أنا أعلم

---

[1]- راجع: أحمد الإسكندري ومصطفي عناني, الوسيط في الأدب العربي وتاريخه. المرجع السابق. ص:388

[2]- شوقي ضيف (دكتور), دراسات في الشعر المعاصر, دار المعارف- القاهرة (بدون ذكر التاريخ). ص:31

[3]- راجع: شوقي ضيف (دكتور), دراسات في الشعر المعاصر,المرجع السابق. ص:32

[4]- راجع: خنا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي, المرجع السابق. ص:552/2

خليليَ ذاك الصمت من أدب الهوى* ومن أدب العشاق ذاك التكتّـــم[1]

وهكذا كان فن الغزل في الأدب العربي على مرّ العصور, يرتفع ويتطور تارة, وينخفض ويتأخر تارة أخرى, كما وجدناه يتعفّف حينا, ويتفحّش حينا آخر!

فنّ الغزل بين المدح والذمّ:

ذمّ بعض العلماء الشعر على وجه العموم والغزل على وجه الخصوص, وعدّوه من غواية الشيطان, لما يجده فيه من هزل وسبّ وكذب, والبعض يذمّه بمجرّد أنه موزون مقفي, والآخر يذمّه لأن الشعراء قد ذمّوا في القرآن الكريم, في قوله تعالى "الشعراء يتبعهم الغاوون, ألم تر أهم في كل وادٍ يهيمون, وأنهم يقولون ما لا يعلمون"[2]

ولقد ردّ الإمام عبد القاهر الجرجاني[3] على هذه المزاعم:- " فمن ذمّه من أجل ما يجده فيه من هزل وباطل ؛ فينبغي أن يذمّ الكلام, وأن يفضّل الخرس على النطق, والعيّ على البيان ... فمن ذمّه من حيث هو موزون مقفي, فقد أبعد وقال قولاً لا يُعرف له معنى وخالف العلماء... وأما تعلق البعض بأن الشعراء قد ذمّوا في كتاب الله تعالى, فما أرى عاقلاً يرضى به ... لأنه يلزم على قود هذا القول أن يعيب العلماء في تفسير القرآن وفي غريب الحديث"[4]

ثم أن الله قد استثنى من الشعراء الذين آمنوا فقال:- "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا "[5]

قال ابن كثير[6]: "قيل معناه: ذكروا الله كثيرًا في كلامهم, وقيل في شعرهم. وكلاهما صحيح مكفّر لما سبق".[1]

---

[1]- راجع: نفس المرجع والصفحة

[2]- سورة: الشعراء 224 -226

[3]- شيخ العربية: أبوبكر, عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني, صنف شرحًا للإيضاح يكون على ثلاثين مجلدًا وكان ورعًا قانعًا توفي 471 وقيل 474.

راجع: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى, العقد الثمين المرجع السابق:ص:127 - 128

[4]- عبد القاهر الجرجاني (الإمام) دلائل الإعجاز في علم المعاني بتحقيق الدكتور ياسين الأيوبي, المكتبةالعصرية, 2007م– 1431هـ صيدا – بيروت.

[5]- سورة الشعراء: 227

[6]- ابن كثير:- اسمائيل بن كثر بن ذرع (الحافظ أبو الفداء) ولد بقرية مجدل بالشام: 701هـ برع في الفقه والتفسير والنحو والحديث والتاريخ والرجال, وتوفي في دمشق 774هـ راجع: محمد سعيد مرسي, عظماء الإسلام, مؤسسة إقرأ, الطبعة الأولى 2003م, القاهرةو ص:342

وقد أوضح ذلك شهيد القرآن – سيد قطب[2]:- بقوله: " فالإسلام لا يحارب الشعر والفنّ لذاته, كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ, إنما يحارب منهج الذى سار عليه الشعر والفنّ, منهج الأهواء والانفعالات التى لا ضابط لها ... وأما حين يكون للشعر منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية, وحين ننظر إلى الدنيا فنراها من زاوية الإسلام, وفي ضوء الإسلام, ثم تعبّر عن هذا كلّه شعرًا وفنًا, فأما عند ذلك فالإسلام لا يكره الشعر ولا يحاربه".[3]

والفهم الصحيح هو ما ذهب إليه المحققون من العلماء الربانيين: " أن التحقيق الذى لا ينبغى العدول عنه؛ أن الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح"[4] والغزل فنّ من فنون الشعر.

وبالرجوع إلى الأحاديث التى تدل على رضاه عن الشعر – وهى كثيرة, تراها تتضمن الأمر به والتشجيع عليه, ويستخدمه عليه الصلاة والسلام سلاحًا في وجه الأعداء, ويثنى على الشعر والشعراء, ويدعولهم ويصف الشعر ويوضح أثره في النفوس قائلاً:- " إن من الشعر لحكمة"[5]

بلا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قد أمر بعض الصحابة بقول الشعر وشجعهم على ذلك,وحثهم عليه, وبين أن صنيعهم هذا من الجهاد في سبيل الله, ومن ذلك قوله لحسّان رضى الله عنه: "يا حسّان أجب عنّى, اللهم أيّده بروح القدس".[6]

---

[1]- إسمائيل بن كثير (ابو الغداء) تفسير القرآن العظيم, دار الفكر للطباعة – بيروت, الطبعة الثانية, 1389هـ - 1970م. الجزء:5 ص: 22

[2]- سيد قطب:- هو مفكر الإسلامى الكبير, الأديب الناقد, الشاعر الكاتب, ولد في مصر 1907م حفظ القرآن, والتحق بكليّة دار العلوم عام 1930م, وفي عام 1948 سافر إلى أمريكا لدراسة نظم التربية, ثم انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين, وفي عام 1902م انتُخب عضوا في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين, وقبض عام 1902 ثم خرج من السجن, وفي عام 1962 وُجّهت إليه تهمة باطلة لقلب نظام الحكم, ونُفّذ عليه حكم الإعدام 29-8-1965 ومن مؤلفاته؛ في ظلال القرآن. والتصوير الفني في القرآن رحمه الله. (راجع: علي عبد الفتاح, أعلام المبدعين من عماء العرب والمسلمين, المرجع السابق ص: 2|1046

[3]- سيد قطب (شهيد القرآن): في ظلال القرآن, الطبعة الخامسة:1487هـ 1967م دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان, الجزء 6. ص: 22

[4]- محمد الأمين بن محمد المختار (الشنقيطي المرتاني المالكي الإفريقي), أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن, دار إحياء التراث العربي, بيروت – لبنان, الطبعة الأولى 1417هـ 1996م الجزء:4 ص: 196

[5]- محمد بن إسمائيل البخارى, (أبو عبد الله), صحيح البخاري: كتاب الأدب, تحقيق مصطفي ديب البغا, الطبعة الثالثة, مؤسسة عزالدين – بيروت 1407هـ - 19987م. ص:2276

[6]- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (أبو الحسين) صحيح مسلم) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي, دار إحياء التراث العربي – القاهرة 1374هـ - 1953م. ص: الجزء: 5|86

وأما تشجيعه صلى الله عليه وسلم الشعراء؛ فمنه قوله لحسّان رضى الله عنه يدعوه لهجاء المشركين: أُهْجُهُم أو قال هَاجِهِم- وجبريل معك".[1]

ومما يعدّ من التشجيع على قول الشعر قوله صلى الله عليه وسلم: إن روح القدس لا يزال يؤيّدك ما نفخت عن الله ورسوله".[2]

وقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم الشعر من باب الجهاد في سبيل الله تعالى- والجهاد عمل مرغوب فيه – لأن للشعر وقع مؤثّر في نفوس الأعداء, وفي ذلك يقول النبي الهدى والرحمة, صلى الله عليه وسلم عندما جاءه كعب بن مالك رضى الله عنه فقال:- "إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت وكيف ترى فيه؟ " فقال عليه الصلاة والسلام: " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه".[3]

ولذلك صار "الشعراء الأتقياء معدودون في زمرة المجاهدين في سبيل الله, الذّابين عن دينه المنافحين عن أهله, فنالوا بذلك شرف الجهاد في الدنيا, ويرجى لهم في الآخرة زلفي وحسن مآب".[4]

ومن الجميل المستحسن, أن نتدبّر إلى موقف الأنبياء الكرام, عليهم أفضل الصلاة والسلام, وسلف هذه الأمة والصالحين, في مسألة الحب والشوق, حتى يكون ذلك لنا أكبر دليل وأهمّ مرشد, إلى فن الغزل والنسيب.

وهذا خليل الله إبراهيم إمام الحنفاء, صلى الله عليه وسلم, كان عنده سارة أجمل النساء العالمين, وأحبها فكان موضع المثل؛ الحب الذي احتمل العيش معها ثمانين عامًا بلا إنجاب, لأنها عاقر.[5]

---

[1]- محمد بن إسمائيل البخاري, صحيح البخاري, المرجع السابق, ص: 2279 ص: الجزء: 5|89

[2]- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (أبو الحسين) صحيح مسلم, المرجع السابق ص:1009

[3]- أحمد بن حنبل (أبو عبد الله) مسند الإمام أحمد بن حنبل, تحقيق جماعة من الأساتذة بإشراف شعيب الأرنؤوط, الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة, 1419هـ - 1998 بيروت لبنان.ص: الجزء: 25| 63

[4]- ناصر بن عبد الرحمن الخنين, الإلتزام االإسلامي في الشعر, الطبعة الأولى مؤسسة دار الأصالة, 1408هـ - 1987م الرياض – السعودية. ص: 133

[5]- 1- أشرف عبد الرحمان (الأستاذ) الحبّ بين الوهم والحقيقة, الطبعة الأولى, 1429هـ- 2998م, مكتبة السنة- القاهرة. ص:7-8

2- ابن قيم الجوزية (العلاّمة), الداء والدواء, الطبعة الثانية, 1419هـ- 1999م, الأمانة العامة- المملكة العربية السعودية. ص:366

وهذا سليمان عليه السلام, كان يطوف في الليلة على تسعين امرأة" راواه البخاري ومسلم, وعند البخاري: "مائة".[1]

"ولنا أسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم, فهو آية المحبّين في كل زمان ومكان".[2]

ولا أدل على هذا من قوله لخديجة رضي الله عنها:- "إني رزقتُ حبّها"[3] وإجابته لمن سأله قائلاً:- من أحبّ الناس إليك؟ قال: "عائشة".[4] وقوله: "حبّب إليّ من دنياكم الطيب والنساء, وجعلت قرة عيني في الصلاة"[5].

فقد كان صلى الله عليه وسلم؛ يطعم سيدتنا عائشة رضي الله عنها بيده الشريفة, فيضع اللقمة في فمها.

كما كان يشرب من المكان الذي تشرب منه, ليلامس ريقه ريقها, وهي تفعل ذلك! أليس هذا هو الغزل المباح بعينه؟

ولا غرو في ذلك, فقد جعل الإسلام الحب من أساس الإيمان, كما في الحديث الصحيح: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[6]

ولعل هذا مما جعل العلاّمة ابن قيم الجوزية يقول:- "وكل حركة في العالم العلويّ والسفليّ فأصلها المحبة"[7] ويقول: "المحبة والإرادة أصل كل دين".[8]

ورحم عبد الله بن عباس, ورضي عنه في قوله:- "خير هذه الأمة أكثرها النساءً"[9]

ألم يشفع النبي صلى الله عليه وسلم العاشق أن تواصله عشيقته, بأن تتزوّج به فأبت, كما صح في قصة مغيث وبريرة؛ فإنه

---

[1]- راجع: ابن قيم الجوزية (العلاّمة), الداء والدواء, المرجع السابق نفسه. ص:366

[2]- أشرف عبد الرحمان (الأستاذ) الحبّ بين الوهم والحقيقة, الطبعة الأولى, المرجع السابق ص:8

[3]- محمد بن إسمائيل البخاري, صحيح البخاري, (برقم:3818)

[4]- رواه البخاري (برقم:1719) ومسلم (برقم:2384)

[5]- أخرجه النسائي, وهو حسن

[6]- محمد بن إسمائيل البخاري, صحيح البخاري, (رقم الحديث:14) المرجع السابق ص:26.

[7]- راجع: ابن قيم الجوزية (العلاّمة), الداء والدواء, المرجع السابق, ص:307

[8]- راجع: المرجع السابق نفسه, ص:314

[9]- محمد بن إسمائيل البخاري, صحيح البخاري, (برقم:5069)

عليه الصلاة والسلام, رآه يمشي خلفها بعد فراقها, ودموعه تجري على خديه, ولم ينكر عليه حبّها![1] فأي غزل مثل هذا؟

وعندما جاء الخلفاء بعده صلى الله عليه وسلم, نهجوا نهجه, واتبعوا سنته, وأصبح معنى الحب مرادفًا لمعنى العفّة, والرغبة في استكمال الدين عند المسلمين. "مرّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ بجارية وهي تقول:

وهويته من قبل قطع تمائمي * متمائلاً مثل القضيب الناعم

فسألها رضي الله عنه: أحرّة أنت أم مملوكة؟ قالت: بل مملوكة. قال: لمن هواك؟ فتلكّأت. فأقسم عليها. فقالت:

وأنا التى لعب الهوى بفؤادها * قُتلت بحبّ محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها, وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب. فقال: هؤلاء فتن الرجال, وكم والله قد مات بهن كريم, وعطب بهن سليم".[2]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه, وهو يخاطب السواك لما دخل على سيدتنا فاطمة رضي الله عنها, فرآه وهو بيدها, فقال:

حظيت يا عـــــود الأراكِ بثغـــــرها * أما خفت يا عود الأراكِ أراكَ

لو كنت من أهل القتال قتلتك * ما فاز مني يـــــا سواك ســـــــواك[3]

"كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل, عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهم, فأحبها لما اتصفت به من الحسن والصورة, وسماحة الخلق, فأمره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها, قائلاً: قد فتنتك عن دينك, وشغفتك عن معيشتك, فطلّقها وقال:

ولـم أر مثلـــــي طلق اليوم مثلهـــــا * ولا مثلها في غير جـــــرم تطلّـــق

لها خُلق سمـــــــح ورأي ومنصـــــــب * وخَلق سويّ في الحياء ومصـــدق

---

[1]- المرجع السابق (برقم:5280)

[2]- راجع: ابن قيم الجوزية (العلاّمة), الداء والدواء, المرجع السابق, ص:338

[3]- راجع: تعالوا نتعلّم فنّ الغزل, شبكة انترنت, الغزل- Google Web

أعاتك لا أنساك ما هبت الصبا * وما نـــــاح قمريّ الحمام المطـــــوّق

أعـــــاتك قلبـــــي كلّ يـــــوم وليلـــــة * إليك بما تخفـــــي النفوس معلّـــــق

ولولا اتقاء الله في حـــــق والـــــدٍ * وطاعته مـــــا كـــــان منا التفـــــرق

فبلغ أبا بكر شعره, فأمره فراجعها".[1]

وقد عشق الخليفة العادل؛ عمر بن عبد العزيز, جارية فاطمة بنت عبد الملك امرأته, وعشقه فيها مشهور[2].

وكان الخليفة العباسي, هارون الرشيد؛ يستحسن أشعار الغزل, ووصف لواعج الحبّ, ويجير عليها ويرويها, بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة: يسابق الشعراء في هذا المضمار, فيقول:

ملك الثلاث الآنسات عنانـــــي * وحللن مـــن قلبـــــي بكل مكـــــان

مالـــــي تطاوعنـــــي البريـــــة كلّهـــــا * وأطيعهـــــن وهنّ في عصيانـــــي

ما ذاك إلا أن سلطـــــان الهـــــوى * وهو الضعيف أعزّ من سلطاني[3]

وكان سليمان بن الحكم المرواني, الملقب بالمستعين, عاشقًا متغزلاً. ومن شعره في الغزل قوله:

عجبًا يهاب الليث حدّ سناني * وأهاب لحفظ فواتر الأجفاني

وتملّكت قلبي ثلاث كالدمـــــى * زهر الوجوه نواعم الأبدانـــــي

لا تعذلوا ملكًا تذلل في الهوى * ذل الهوى عزّ وملك ثانـــــي

إن لم أطع فيهنّ سلطان الهوى * كلفًا بهنّ فلست من مروان[1]

---

[1]- راجع: أحمد تيمو رباشا, الحب عند العرب, الطبعة الأولى, 1420هـ 2000م, دار الآفاق العربية القاهرة. ص:103

[2]- راجع: ابن قيم الجوزية (العلاّمة), الداء والدواء, المرجع السابق, ص:339

[3]- راجع: أحمد تيمو رباشا, الحب عند العرب, المرجع السابق ص:13

ومن العلماء الأجلاء من أدلوا دلوهم في الدلاء؛ أمثال الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالى في تفسيره, عن طاووس عن أبيه عن قوله تعالى: "يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفًا"[2] "كان إذا نظر إلى النساء لم يصبر".[3]

"وفي أيام الأولى من العصر الإسلامي, وجد من ينكر الغزل, ولكن أهل الرأي من أتقياء المسلمين, عدّوا ذلك الإنكار تنسّكًا أعجميًّا".[4]

وهذا أبو بكر محمد بن داود الظاهري, العالم المشهور في فنون العلم, من الفقه والحديث والتفسير والأدب, وهو من أكابر العلماء, وعشقه مشهورًا! ويقول مجاهد عن شيخه عبد الله بن عباس (حبرالأمة) : "من عشق وكتم, وعفّ وصبر, غفر الله له وأدخله الجنة"[5]

وقد أخذ أبو محمد بن حزم الظاهري الأندلسي هذه النزعة الوجدانية عن شيخه أبو بكر محمد بن داود الظاهري, حتى ألف كتابه: (طوق الحمامة). وتحدث فيه عن الحب بالتفصيل, مع أنه: "من أوسع أهل زمانه علمًا واطلاعًا ومن أشدهم تديّنا وعزّة نفس, وقد شملت ثقافته جميع أنواع المعرفة في عصره".[6]

ويقول زكي مبارك: "وهو كتاب تحدث عن فن الحب قبل أن يلتفت إليه الأوربيون".[7]

فمعلوم أن الشعر فرع من الأدب, والغزل فرع من الشعر وأن مصطلح الأدب يشمل فرعين هما: الشعر والنثر؛ "والعبارة الأدبية نوعان لهما فروع وشعاب؛ عبارة نثرية, وعبارة شعرية"[8] فموقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر ينطبق على الأدب.

---

[1]- : عبد الرحمان البرقوقي (الدكتور), دولة النساء, معجم ثقافي إجتماعي لغويّ عن المرأة, دار الهيثم- القاهرة. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع). ص:325-326

[2]- سورة النساء:28

[3]- راجع: ابن قيم الجوزية (العلاّمة), الداء والدواء, المرجع السابق, ص:364

[4]- راجع: زكي مبارك (محمد زكي عبد السلام مبارك), العشاق الثلاثة. المكتبة العصرية, صيد- بيروت. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع) ص:4

[5]- راجع: ابن قيم الجوزية (العلاّمة), الداء والدواء, المرجع السابق, ص: 364

[6]- راجع: حنّا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي, المرجع السابق ص:917/1

[7]- راجع: زكي مبارك (محمد زكي عبد السلام مبارك), العشاق الثلاثة. المرجع السابق ص:4

[8]- حنّا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي, دار الجيل, 2005م- 1426هـ بيروت – لبنان الجزء:1|23

وبناء على ذلك " فإن الأدب يكون جائزًا إذا لم يتضمّن ما يتعارض مع ما أمر به الإسلام ونهى عنه, ومندوبًا إذا كان في الإشادة بفضائل الإسلام والدفاع عنه وعن أهله". [1]

ويظهر لكل باحث – كالشمس في كبد السماء – أن من أوتي الذوق الأدبي الراقي, والحسّ البلاغي المرهف, من الأدباء والشعراء؛ هم أكثر الناس إيمانًا بإعجاز القرآن, وتصديقًا ببلاغته التي تدل على أنه من عند رب العالمين.

لقد بيّن الجرجاني؛ أن مما يرفع قيمة الشعر, ويوجب له التقدير في النفوس, والمحبة في القلوب "أن كان فيه الحق والصدق, والحكمة وفصل الخطاب, وأن كان مجنى ثمر العقول والألباب, ومجتمع فرق الآداب, والذى قيد على الناس المعاني الشريفة, وأفادهم الفوائد الجليلة". [2]

كما ردّ الجرجاني على من لا يعرف قدر الشعر, ومنزلته من إعجاز القرآن الكريم فقال: "إذا كنا نعلم أن الجهة التى منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت, وبانت وبهرت, هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر, ومنتهيًا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر, وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلى من عرف الشعر, الذى هو ديوان العرب وعنوان الأدب, والذى لا يشكّ أنه كان ميدان القوم, إذا تجاروا في الفصاحة والبيان, وتنازعوا فيهما قصب الرهان". [3]

ومما تقدّم من أقوال الرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله؛ يظهر موقف النبي صلى الله عليه وسلم في الأدب عامة, وفي الشعر على وجه الخصوص وبالغزل على وجه أخص, كما يظهر سنّيّة استخدام الشعر سلاحًا في وجه الأعداء, وأنه يكون الشعر:

1- جائزًا إذا لم يتضمن محظورًا شرعًا.
2- ومندوبًا إذا كان في مدح الإسلام وأهله, وتحقير الكفار.
3- ومحرّمًا إذا تضمّن محظورًا شرعًا.
4- وأنه من نوع الكلام فيه الحسن وفيه القبيح.

---

[1]- سُفيّر بن القتامي (الدكتور) موقف الرسول من الشعر, المرجع السابق: 432
[2]- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجار المرجع السابق, ص:76
[3]-` المرجع : عبدالقاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز, السابق: ص:68

ولا شك أن الغزليين شعراء وعشاق والعشق في الإسلام معروف وقد تحدث العلاّمة ابن القيم رحمه الله, عن العشق وأحوال العشاق في كتابه "الداء والدواء" وقسّمهم على النحو التالي:

1- عشق هو قربة وطاعة: وهو عشق الرجل إمرأته وجاريته؛ وهذا العشق عشق نافع.
2- عشق, هو مقت من الله وبعد من رحمته؛ وهو أضرّ شيء على العبد في دينه ودنياه, كعشق قوم لوط للمردان, قال تعالى: "لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون:[1]
3- عشق مباح لا يملك: كعشق من وُصفت له امرأة جميلة, أو رآها فجأة من غير قصد, فتعلّق قلبه بها, فأورثه ذلك عشقًا, ولم يحدث له ذلك معصية, فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه.[2]

---

[1]- سورة الحجر:72

[2]- راجع: ابن قيم الجوزية (العلاّمة), الداء والدواء, المرجع السابق, ص:370-371

المبحث الثاني: فنّ الغزل وقلّته في الشعر العربي النيجيري:

أما فنّ الغزل فلم يكثر الشعراء من القول فيه, مع أنه يعبّر عن المشاعر الوجدانية, والعاطفة الإنسانية الصادقة. على الرغم من هذا؛ فإن الأدباء أبدوا تحرجهم من القول عنه, واستنكفوا عن الحوض في هذا الفنّ, وقليل من أطلق العنان لمشاعره الوجدانية, وعاطفته الفطرية, ليجود بقريحته وأحاسيسه الفيّاضة تجاه هذا الباب الواسع.

ومما ساعد على اشمئزاز الأدباء النيجيريين, وتحرّجهم عن الحوض في هذا الميدان؛ كون العلماء هم الأدباء في هذه البلاد, وكان حرصهم شديدًا "على احتفاظ بمكانتهم الاجتماعيّة كرجال الدين, وصونًا لأعراضهم من أن يسلقها الناس بألسنة حداد. ولم نجد عند هؤلاء ما يمت إلى الغزل بصلة, اللهم إلا ما كان افتتاحًا لمقدمات قصائدهم في أغراض مختلفة".[1]

وأضف على ذلك أن بعض العلماء قد ذم الشعر والشعراء وعدوا ذلك من غواية الشيطان ووجد من بينهم من ينكر فنّ الغزل على الإطلاق! "وفي الأيام الاولى من العصر الإسلامي وجد من ينكر الغزل".[2]

وإن نحن عدنا إلى النصف الثاني في القرن الثامن عشر الميلادي؛ لم نجد للغزل وجودًا ملحوظًا, مع أنه عصر كثر فيه الأدباء, الذين قالوا فيه الشعر في أكثر أغراضه المعروف, بل حتى أنهم استطاعوا أن يبتكروا غرضًا جديدًا في الشعر العربي النيجيري, وهو: "شعر النقائض"[3]. كما حدث ذلك بين العالم الماهر: (الشيخ مصطفي غوني البرناوي). و(الشيخ عبد الله بن فودي). عند ما أخذ بعض الشياطين يشيعون: بأن مجلس الشيخ مجلس مجتمع بين الرجال والنساء, فتلقاهم (الشيخ مصطفي) في

---

[1]- راجع: عبد الصمد عبد الله محمد (الدكتور), أضواء على الشعر العربي في غربي إفريقيا, الطبعة الأولى, 1422هـ- 2001م, مكتبة وهبة – القاهرة. ص:75

[2]- راجع: زكي مبارك (محمد زكي عبد السلام مبارك), العشاق الثلاثة. المرجع السابق. ص:4

[3]- هذا الغرض من الشعر لم يكن موجودا قبل العصر الأموي, إنما ابتكره جرير بن عطية الحطفي مع الفرزدق أبو فراس همام بن غالب في العصر الأموي. ونشرت نقائضهما في لندن سنة 1905-1916م في مجلدين كبيرين, ومجلد ثالث تتضمن الفهارس. راجع: حنّاالفاخوري, تاريخ الأدب العربي الطبعة البولسية- بيروت ص:284 (بلا تاريخ).

بلاد (دَوْرَ) (Daura) بأبيات له يأمر الشيخ فيها أن يمنع النساء زيارة وعظه.

ومطلعها:

عليـــــك منـــــــا تحيـــــــات مباركـــــــــة*

شممن مسكًا ووسكًا من يلاقينـــا

أيا بن فودي قم تنذر أولى الجهل * لعلهم يفقهون الديـــــن والـــــدنا

فامنع زيـــــارة نسوان لـــــــوعظك إذ * خلط الرجال بنسوان كفي شينا

فأمر الشيخ أخاه عبد الله أن يجيبه فشرع يقول:

يأيها هذا الذى قد جاء يرشدنا * سمعا لما قلت فاسمـــع أنت ما قلنا

إن الشياطين إن جاءوا لمجلسنا * هم يبثون ســـــوء القـــــول طغيانـــــا

لسنا نخالط بالنسوان كيف وذا * كنا نحـــــــذر لـــــــكن قلت سلمنـــا[1]

وهكذا أخذ عبد الله, يجيب عن هذه المفتريات بأبيات من نفس البحر والوزن والقافية, فينقض ما جاء فيها وينقدها نقدًا بناءًا, بموهبته الفطرية ويركز دعائم بناءًا جديدًا بأسلوب رائع وحكيم.

وهذا الغرض من الشعر لم يكن معروفًا في الأدب النيجيري إلا في العصر الذهبي. ومع كل هذا وما نكاد نشمّ رائحة الغزل فيه.

والدارس للأدب العربي النيجيري, يدرك جليًّا؛ بأن الحروب والجهاد في سبيل الله, من أهم بواعث الشعر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر, امتدادًا إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. "ولم يكن فنّ الغزل في القرن التاسع عشر فنًّا مطروقًا لدى العلماء والأدباء في نيجيريا, إلا في نطاق محدود جدًا"[2]

لقد اتخذ الأدباء شعرهم سلاحًا ماضيًا على الأعداء, وإنذارًا وتخويفًا لأهل الباطل والمرتدين, كما نجد ذلك واضحًا في

---

[1]- راجع: عبد الله بن محمد بن فودي (الشيخ), تزيين الورقات, طبعة الحاج محمد طن أغى, ظاميريرو, صكتوا- نيجيريا (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع)

[2]- شيخو أحمد سعيد غلادنثي (الدكتور), حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المرجع السابق. ص:165

قصائدهم, كما في قصيدة التي كتبها الشيخ عبد الله بن فودي, وأرسل بها إلى أخويه: "دادٍ" و "زيد" حين لم يهاجرا معهم, وبقيا في الكفّار, فأخذ يقول:

ألا مـــــن مبلّـــــغ عنـــــي لـــــدادٍ *
وزيـــد وكل ثاو في البـــلاد
ولاة الكفر خوف فوات مـــال * وطمع سلامة من ذي فساد
بـــأن لـــم يبـــق بيـــن المسلميـ * ـن
وبينكمُ علامـــات الـــوداد
نسيتم ما قرأتم فـــتى الـــكتاب* لـــذا أخطأتمُ سبل الرشـــاد[1]

وتارة تأتي هذه القصائد تحريضًا وتشجيعًا للمجاهدين, فتجدهم عشاقًا للجنة, وغزلهم وهيامهم للحور! وليس للمرأة نصيب فيه استمعوا إلى الشيخ عبد الله بن فودي وهو يقول في غزوة غوبر (Gobir) مع سلطان "يُنْفَ" (Yunfa):

فيا أمة الإسلام جدّوا وجاهدوا * ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع
فقتلاكمُ في جنة الخلد دائمًـــا * وراجعكم بالغز و المال يرجع[2]

ويمكن القول؛ بأن أهمّ سمة للشعر في تلك الفترة؛ أنه كان سلاحًا فتّاكًا من أسلحة الدعوة الإسلامية التي قامت على أيدي بعض المصلحين, في حركاتهم الإصلاحيّة التي ملئت فراغهم, ولم تتح للغزل فرصة في أن يلعب دوره في هذه الآونة. وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن فودي:

ومنا رجـــــال لم يزالـــوا بصفنا * وهم صدّقوا ما عاهدوا الله في المسا
قضى نجهم فيه كغان وحمـــدا * فنـــال جنـــان والحســـان وسندســـا

---

[1]- راجع: عبد الله بن محمد بن فودي (الشيخ), تزيين الورقات, المرجع السابق. ص:63

[2]- راجع: المرجع السابق نفسه. ص:62

ومنـــــا رجـــــال الله ينتظرونـــــه * وكل إذا ما صيح للحـــــــرب بلهسا[1]

وأحيانًا تأتي أشعارهم تمجيدًا للبطولات والانتصارات الإسلامية, لا للغزل والتشبيب, كما في قصيدة الإمام الشيخ محمد بلّو بن الشيخ عثمان بن فودي:

ألم تـــــرى أن الله أبلـــــــى عبـــــــاده *
بلاءً عزيزًا والحروب تسعّر
بما أنـــــزل الكفـــــار دار بـــــــوارهم * فلاقوا هوانًا والحوادث تخطـر
وعزّر أهل الدين من بعد بأسهم * فهم في بلاد الله أقوى وأوفـر
فسل عن قريب يوم أحملُ راية * إلى "جَابَ"
والأنباء تجرى وتذكر
قتلنا جمـــوع الكفر والله عـــــالـم * ويدريه والتقريب فيه مسطر[2]

ولم يوجد شعر الغزل من بين هؤلاء الشعراء إلا القليل النادر, "والقليل الذي أنشدوه لا يعطي صورة كاملة لما نستطيع أن نسميه بالغزل النيجيري".[3] ومن ذلك أبيات للشيخ محمد بلّو بن الشيخ عثمان بن فودي:

وبيضاء خـــــود زانها عطل الجيـــــــد * إذا ما تخلت غيرهـــا بالعناقيـــــد
يطيب شذاها وهي للطيب فارك * إذا عطّـــــرت أتـــــــرابها بـالزراويـــــد
فيحلو بـــــألوان الحديث كلامهـــا * إذا أفصحت في نطقها لسن الفيد

---

[1]- راجع: عبد الله بن محمد بن فودي (الشيخ), تزيين الورقات, المرجع السابق نفسه. ص:82

[2]- راجع: محمد بلّو بن عثمان بن فودي, إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. المرجع السابق. ص:132

[3]- راجع: شيخو أحمد سعيد غلادنثي, حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المرجع السابق. ص:128

كأن ليالـــــــي الدهر أيـــام وصلها * وحسن لقاهـــــا كلها ليلة العيـــد

تزيّن بـــــالتعطيل مـــــن كل زينـــــة * وحسن سواها بالخمائل والسود

تسلّيت عـــــن أتـــــرابها بوصالهـــــا *

وأخدمتها حسنًا لنظم الأناشيد[1]

وحتى هذا القليل النادر, يعتبره البروفيسور شيخو أحمد سعيد غلادنثي بأنه:

أ- نظم تقليدًا لهذا الفن.

ب- أنه غزل صناعيًّا, خاليًا من الإحساس الشعري والشعور النفسي الحقيقي.

وإن كان من "المحتمل أن يكون البعض منهم قد نظم في الغزل, ولكنّه لم يظهره فضاع ودرس".[2]

إذا كانت الحروب والجهاد والباعث الديني, قد سبّبت إعراض الجيل الماضي عن الغزل, فإن الأمر قد بدأ في التغيّر بمجيئ النصف الأول من القرن التاسع العشر الميلادي, عندما جاء محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي؛ وفتح بابًا جديدًا في شعر الغزل, فكان هذا الأديب جسرًا بين الأمس واليوم, وبين الماضي والحاضر!

اتخذ محمد البخاري- الشاعر الأديب النيجيري- الغزل تمهيدًا, يستهلّ به اغراض قصائده المختلفة, سيرًا على نهج الشعراء القدامى وتقليدًا بهم. "وهذا ليس بغريب, وإنما هو عادة من عادات شعراء القرن التاسع عشر الميلادي, يقلدون من سبقهم من الشعراء, فيأخذون منهم ويزيدون".[3]

ولعل السبب في ذلك, يرجع إلى عكوف هؤلاء العلماء على قراءة أشعار الجاهليين؛ كقصائد امرأ القيس, والنابغة وزهير وغيرهم من فطاحل الشعراء الجاهلي, وكذا قراءتهم للمقامات,

---

[1]- راجع: المرجع السابق نفسه. ص:128

[2]- راجع: شيخو أحمد سعيد غلادنثي, حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المرجع السابق. ص:128

[3]- راجع: غرب طن ظوهو زاريا (البرفيسور), محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية, الطبعة الأولى, 2002 مطبعة غَسْكِيَا, زاريا- نيجيريا. ص:175

يتعلمونها أولاً اتقانًا للّغة العربية لكونها لغة الدين, ولأنها هي الوسيلة الوحيدة إلى الفهم الصحيح للثقافة الإسلامية وحضارتها.

وبالعودة إلى هذا الأديب- محمد البخاري- نجده يفتتح قصيدته المدحيّة لمحمّد الجيلاني, ويستهلّها بالغزل والتشبيب, ويصف فيها محبوبته بصفات حسّيَّة, جريًا وتقليدًا للقدامى:

فجعتـــــــك أم الفضل بالهجـــــــران * فبقيت بين الناس كالسكـــران

وكأن في جوفـــــي وقلبـــــى جمـــــرة * مذ بعّدتني من جناها الدانـــي

قامت تراءى في القصور بفاحم * رجـــــل ومقلة شاذن ظمـــــآن

ويجيد مغزلـــــة وســـــاق خدلـــــة *

وتـــــرائب كـــــالدر والمرجـــان[1]

ولم يقف محمد البخاري عند هذا الحدّ, مع الرغم من كثرة الحروب والاضطرابات في عصره. بل كانت له قصائد ومقطوعات غزليّة, يصف فيها عمل الغرام والعشق, وأن خيال محبوبته قد هاج حزنه الدفين, وهواه الجامح, فسلبه العقل والوقار, استمع إليه قائلاً:

أخيـــــال آمنـــــة التـــــى * من دونها جـــوف القفـــار

قد هجـــت أحزانًـــــا لقلـ * ـبـــي المستهـــام المستطـــار

وسلبت عن نفسي الغرا * ر ومطت ما بي من وقار

وتصادم الأجفـــان منـــــ * ـذ نأت ديارك عن ديـــار[2]

ويبدو أن محمد البخاري رجل صادق الشعور في تجاربه الغزلية, ولذا لم يجد في صدره حرجًا من البوح بعاطفته الجيّاشة, مع الرغم من مكانته الاجتماعية, كما استحق أن يكون رائدًا وزعيمًا لنهضة شعر الغزل, في القرن التاسع العشر الميلادي, للأدب العربي النيجيري

---

[1]- راجع: غرب طن ظوهو زاريا (البرفيسور), محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية, المرجع السابق نفسه. ص:266

[2]- راجع: المرجع السابق نفسه. ص:265

وأخذ فن الغزل ينمو ويتطوّر, إلى طلائع القرن العشرين, حيث أصبح فن الغزل في صورته الحقيقيّة في الأدب العربي النيجيري. فوجدنا شعراءً غزليين حقًّا, أطلقوا العنان لعواطفهم الجيّاشة, ومشاعرهم الفيّاضة, وصيابتهم الدافقة.

نظموا قصائدهم الغزلية, بأحاسيسهم الصادقة, وتجاربهم الواقعة, وليس بدافع التقليد والمحاكاة, ولعل عمر إبراهيم[1]- الأديب - من السابقين في هذا الميدان. فقد نظم قصيدة في الغزل, سمّاها: {الكون موات لولا الحب}. جاءت هذه القصيدة في شكل موشحة ومطلعها:

يـــــا حبيبـــــي يـــــا حبيبـــــي
أصـــــغ سمعًـــــا للحبيـــــب
هـــــــل أتـــــــاك اليوم أنـــــي * صرت عظمًا في الشعار
ذهـــــــب اللحـــــم بخـــــارا * صاعدًا مـــــن حرّ نـــــار
ماثـــــلاً فوقـــــى سحابًـــــا * لا أرى ضـــــوء النهـــــار
وهـــــو لا ينـــــزل مـــــاءً * أو يـــــراك بجـــــواري
يـــــا حبيبـــــي يـــــا حبيبـــــي
هـــــل تبالـــــي بحبيبـــــي[2]

وهكذ استمرّ هذا الفنّ من الأدب العربي النيجيري. ومع الرغم من هذا التغير والانقلاب, فإن فن الغزل في الأدب العربي النيجيري, لم يتحرر نهائيًا عن ملامح التقليد, بل يغيب تارة ويظهر أخرى, كما نشمّ ذلك في قصيدة الشيخ أبي بكر غمي:

ظبية بل مها راحة الشارب * جيدها لحظها ظلّها الشاهد

---

[1]- هو عمر إبراهيم (القاضي), ولد بمدينة زاريا بولاية كدونا سنة 1922م التحق بمدرسة القانون بكنو حيث تخرج منها قاضيا وفي سنة1961م التحق بمعهد الإدارة بأحمد بلو زاريا, تقاعد عن القضاء سنة 1985م وتوفي سنة 1997م. راجع: عمر إبراهيم, حديقة الأزهار المرجع السابق ص:1

[2]- راجع: شيخو أحمد سعيد غلادنثي, حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المرجع السابق. ص:165

باسم أخمص أحدب خاطب * ثغرها بطنها الأنف والساعد

فاحم ناعس مقمر لاهب* شعرها جفنها وجهها الواعد[1]

ولعل الدكتور هارون الرشيد[2] من أبرز شعراء الغزل فى الشعر العربي النيجيري فى نصف الثاني من القرن العشرين استمع إليه وهو يقول في ذكرى زوجته عندما كان في السودان:

ذكرتك في المطار وفي الصحارى * وحين نسير في وقت المساء

ذكرتك والفـــــؤاد له اضـــــطـراب * وشوق في الفؤاد إلى القـــــاء

ذكرتك والـــــدموع تسيل بـــــحرا * وعند دخول الطائرة السماء

ركبنا متنـــــــها فغدت تـــــــــدوّي * وصاح الأصدقاء إلـــــــى اللقاء

إلى السودان تحدو الركب حدوا * إلى وطن الصداقة والإخـــــــاء[3]

---

[1]- راجع: المرجع السابق نفسه. ص:167

[2]- هو الدكتور هارون الرشيد يوسف، ولد بمدينة كنو بزنغون بري بري (Zan gon Bare – Bari) سنة 1964م وتخرج من مدرسة العلوم العربية كانو، وحصل على الشهادة الليسانيس فى اللغة العربية واللغة هوسا بجامعة بايرو كانو. ثم اتصل بجامعة Leeds (University U. K) وحصل على شهادة الماجستير فى علم اللغة العامة (General Linguistics) سنة 1978م ونال درجة الدكتورة فى اللغة من جامعة لندن (University of London U. K) سنة 1984م وهو الآن محاضر فى جامعة ولاية كنو

المرجع: لقاء مع الدكتور هارون الرشيد يوسف 2014/1/18م.

[3]- كتب الشاعر الأبيات الخمسة الأولى من هذه القصيدة عندما كان طالبا بمدرسة اللعلوم العربية كنو. تغزل فيها بفتاة عربية أحبّها للزواج، ولكنها لم تبلغ سن الزواج بعد، وفيها يقول:

أفا طم لو سمحت لقلت أني * لمنتظر نضوجك بالرجاء

وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة "الشروق" الطلابية بمدرسة العلوم العربية كنو. كما نشرت فى مجلة "الفجر الطلابية" فى كلية عبدالله بايرو بكنو.

ثم غير الشاعر وجه القصيدة لما سافر إلى السودان وأعطاها عنوانا جديدا وهو: "إلى السودان" وقدمها للإخوان السودانيين، وقرأت في مناسبات مختلفة منها: "دار الإذاعة الـــــسودانية". كما اشـــــتـــــرك الشاعر بـــــها في: "ليالي شعرية" أقيمت بجامعة الخرطوم.

وهذه القصيدة جاءت بعنوان:

ذكرتك في المطار وفي الصحارى * وحين نسير فـــــي وقت المســــــاء

المرجع السابق نفسه.

امتدادا من أواخر القرن العشرين إلى أوائل هذا القرن- الحادي والعشرين- وجدنا فنّ الغزل يتطور تطورًا كبيرًا في الشعر العربي النيجيري حيث بدأت ظهور بعض القصائد التي تتحدث عن الغزل الصريح, الذي يصف مفاتن المرأة. كما نجد ذلك واضحا في: "همسة" الدكتور هارون الرشيد يوسف:

هلا سمحت بـــــــلثمة لشفاهـــــــنا * فتكون باعثة الكلام لديـــــــــــا

إني لأذكر حـــينما قـــــــبلتنـــــــــي *
ولوت يداك الحلوتان يديـــــــــــا

وضممت جسمك بالرشيد محبة * ووقعت في حبل الوصال عليا

ألفيت نفسي في السماء كطائر * حرّ ترفرف في الفضاء سويـــــا

ويقول في قصيدة أخرى:

كلمتها بالـــــــــــعين فابتســـــــــمت *
ومضت تبختر عند مشيتـــــــها

قبلت فاها فامبـــــــــرت وجـــــــــــرت *
تمشي وتلمـــــــــس أثر قبـــــــلتها

ياليت شعري لســـــــــت أذكرهـــــــا * إلا ذكرت – كذلك - قبلتها

ومثل ذلك ما جاء في "رسالة العاشق إلى معشوقه"[1] للدكتور بجباجة الزكامي[2] في قوله:

ولـــو كنت إبـريق صفية فـــــزت من * مشاهدة الميدان والروض مخصب

---

[1]- وهي قصيدة غزلية تحتوي على مائتي وخمسة عشر بيتًا, قالها الشاعر لمعشوقته صفية, ومع رغم عشق الذي جرى بينهما لم يقدّر الله لهما الزواج, وقد اختارها الله إلى رحمة ربها, فرثاها الشاعر بما لا يقل عن مائتي بيت.

المرجع: مقابلة شخصية مع الشاعر: الأستاذ/ تجاني هاشم 2013/3/20م

[2]- هو الأستاذ/ تجاني هاشم, زمفري الأصل زكزكي النشأة ولد 1976/1/17م وآباءه من بلد تُغَيْ (Tugai) بولاية زمفر (Zamfara) ثم هاجروا إلى ولاية غومبي (Gwambe) ثم هاجر أبوه إلى مدينة زاريا (Zaria) في ولاية كدونا (Kaduna).

كنى نفسه بهذا الاسم (الدكتور بجباجة الزكامي) ليخفي اسمه الحقيقي لأجل ما تضمنته القصيدة من الغزل الصريح الفاحش. المرجع السابق نفسه.

ألا ليت شعـــــري كيف آخذ بدنها * وألـــــزقه بدنـــــــي ولا هـــــي تغضب

ألا ليت شعري كيف آخذ ظهرها * وأجذبه قبلـــــي ولا هـــــي تغضب

ألا ليت شعـــــري كيف آخذ فمها * أقـــــــبله فـــــــي الليـــــــن لا تتهـــــرّب

أما معانى الغزلية في الشعر العربي النيجيري؛ فأغلبها وصف لمحاسن المحبوبة الحسيّة والمعنويّة, مع العفّة والنزاهة وذكر بلاء العاشق في حبه, والوصل والهجر, والوفاء في الحب.

وإن اتفق كثير من الشعراء النيجيري, في تعبيرهم عن تجاربهم تجاه هذه المعاني. إلاّ أن لكل شاعر مذاقًا يتذوّقه فيما عشقه من محبوبته, قد يتفق فيه مع الآخرين وقد يختلف عنهم.

وعندما يصف محمد البخاري حبيبته بالزبرجد والدرر:

أحييت يا أخت الزبرجد* والـــــــزبـــــارج والـــــــدرر

فالشاعر خليل آدم[1]؛ يرى معشوقته بدرًا منيرًا:

أقول بحمد الله قد تمّ غرضية * وجدتُ من البدر المنير إجابتي

أما الأديب محمد البصير[2] عبد الله نشوك (Nashuka) فلا يرى لأوصاف حبيبته في الجمال مثيلاً, حتى يصفها به, مخلوقةً على الجمال تفوق كل جمالٍ:-

وخلقتها جمالاً واعتدالاً * تفوق الوصف عندي طار ريب

فالدكتور هارون الرشيد يوسف يتخيل محبوبته كضوء الشمس:

كانت كضوء الشمس إذ بزغت * تبدو البراءة تحت مقلتها

---

[1]- هو خليل بن آدم بن أبي بكر بن حضر بن عثمان الملقب بـــــ دَنْغي (Dange) ولد يوم الأحد 1957/7/9م في تـــيـــتـــي (Titi) وهي قرية صغيرة من القرى التابعة للأَبَـــــــرْ (Labar) راجع: إبراهيم عبدالوهاب, فن الرثاء عند الأستاذ خليل إبراهيم, بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية, بجامعة ولاية كدونا 2008 – 2009م

[2]- هو محمد البصير بن عبد الله بن نشوك, ولد في هنوا (Hanwa) بِسَابُنْغَرِيْ (Sabon Gari) زاريا ولاية كدونا, سنة 1957م وتخرج من كلية التربية بجامعة أحمد بلو زاريا بشهادة الليسانس في الدراسات الإسلامية سنة 2011م ووهو إمام وخطيب بالممسجد الجامعي بهنوا (Hanwa). مقابلة شخصية مع الشاعر في 2012/4/20م.

أما الشاعر تجاني هاشم فيرى معشوقته شمسًا, وكل من سواها من النساء كواكب ونجوم, إذا طلعت أفلت الكواكب والنجوم:

صفية شمس إن بدت غيرها اختفت * ولا يبدو في الآفاق نجم وكوكب

فالثغر عند محمد البخاري, يكفي المحبّ عن نور الشمس وضياء البدر:

فقالت كفي ثغري وضوءه * سيكفيك عن بدر الدجى وشموس

أما ثغر المحبوبة عند الأديب عمر إبراهيم يشبه الكأس أمام المُدمن, فالكلّ يفرح بليلاه!:

يفـــــرح الناس بخمـــــر * وأنـــــا ثغـــــرك كأســـــي

كما يرى الأديب عمر إبراهيم؛ أن بلاء الحبّ وعذابه يفوق كل عذاب في الحياة:

إنما الحبّ عذاب * دونه كل العذاب

بيد أن الشاعر خليل بن آدم؛ يتخيّل بلاءه في حبه لحبيبته, فهي داؤه ودواؤه, ولو تكرّمت ومنحت له قلبها لكان الدواء الكافي والعلاج الشافي:

فأنت الداء وأنت دواء قلبي * فداويني بقبلك يا حُويلة

ومثل هذا قول ذي الكفل محمد عبد الله[1]:

فلا ألقى لمرضي من دواء * دواء المرض عندك يا عيالي

أمّا ما يتعلّق بالهجر والوصل؛ فإن الأديب عمر إبراهيم يعتبر الأول ضلالاً, والآخر رشادًا, استمعوا إليه وهو يقول:

إنفرادي في ضلال * وتـــــلاقينـــــا رشـــــادي

أما محمد البخاري؛ منذ نأت حبيبته عن دياره, لم يذق لذة النوم, ولم تغتمض عيناه, بل ظلّت تزرف الدموع:

وتصارم الأجفان منـ * ـذ نأت ديارك عن ديار

---

[1]- هو ذو الكفل بن محمد بن عبد الله بن نشوك, ولد في هنوا (Hanwa) سابنغري زاريا ولاية كدونا بتاريخ 1982/5/10م مقابلة شخصية مع الشاعر في 2013/3/4م.

ما نلتقي إلا علـــــى * دمع من الخدّين جـــــار

وعندما نعود إلى الشاعر؛ خليل بن آدم نجده دائمًا في تسليّة نفسه, عمّا أصابها من لوعة فراق حبيبته, وهو يتمنى لو كانت دائمًا بجانبه:

أعلل نفســـي كل يـــــوم وليلـــة * لعدم تلاقينا حـويله صفوتـي

وأسأل رب العرش جل جلاله* يقرّب لي محبوبتي كل لحظتي

أما الشاعر تجاني هاشم يعتبر كون محبوبته بجانبه فوزًا بالجنة, وبعدها عنه عذاب أليم وفي ذلك يقول:

تكون بجنبـــــي إننـــي فزت جنة * وإن بعدت يـــا قوم إنـــي معذب

والشاعر أيوب عمر[1], يعتبر فراق الحبيبة مصيبة, ويدعو على تلك المصيبة بالهلاك, ويتمنى يوم اللقاء:

أعدّ فراقي بالحبيب مصيبة * بليت بها فاكشف إلهي ما بيا

وليت لقائي بالأحبّة واقـــع * ألا قـــــــاتل الله الفراق المؤدّيـــا

أما المعلم الحاج ناصر مرتضى, فهو يعتبر الفراق مع حبيبته فراق الأبدان, فالحبيبة دائمًا في القلب, يبكي عليها بكاء الثكلا, وكاد الشوق أن يقضي عليه:

ومهما غبت عن عيني يـــومًا * فحبّك لا يغيب عـــن الفـــــؤاد

بكيت البين حتى سال دمعي * وكدتُ أموت من وجع الوداد

ويمكن أن نختصر العوامل التى ساعدت على قلة فنّ الغزل في الأدب العربي النيجيري في الجيل الماضي على النقاط التالية:

1- أن ثقافة الشعراء في الجيل الماضي ثقافة دينيّة.

---

[1]- هو المعلم أيوب بن عمر بن يعقوب ولد ببزار (Bizara) قرية تقع شرق مدينة زاريا (Zaria) بنحو أربعة أميال. تخرج من كليات الدراسات العربية لجماعة نصر الإسلام عام 1996م ثم التحق بكلية التربية الفدرالية زاريا وتخرج منها 1999م وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة أحمد بلو زاريا سنة 2005م ويعمل الآن مدرسًا.

2- كون معظم الشعراء والأدباء من رجال الدين.
3- إشتغال هؤلاء العلماء والشعراء بالحروب والفتوحات.
4- إنفاق وقتهم بالوعظ والإرشاد والدعوة إلى الإسلام, وبشواغل السياسة.
5- يرى البعض أن الغزل لا يناسب مع وقاره ومركزه الاجتماعي.
6- ابتعد بعضهم عن استهلال قصيدته بالغزل فرارًا عن الاحراج الذي يسبّبه هذا الفنّ في نفسه.
7- كتمان حبّهم عن الآخرين, خشية من أن يتعرّضوا للقيل والقال.
8- وأضف على ذلك؛ بأن أغلب العلماء والشعراء في القرن الماضي, ممن طعن في السّن, يرى أنه يقترب من الموت, وينبغي له أن ينقطع عن غراميات الشباب, ويستعدّ للقاء ربه.

شعر الغزل عند حافظ ثروما:

والدارس لفنّ الغزل في الأدب العربي النيجيري, يدرك جليًّا أن لهذا الغرض وجهات نظر عند كثير من العلماء والأدباء في هذه البلاد, منهم من ينظر إليه فعل من خلاق لهم. ومنهم من يشمئزّمنه, ويتخرّج من الحوض فيه, صونًا لمكانته الاجتماعي أو الديني, والآخر يرى أنه من لهو الفتيان والفتيات.

ولكن العجيب في الأمر؛ أن هؤلاء الذين ينكرون هذا الفنّ, وتارة يشدّدون في ذمّه, فهم الذين يغضون أبصارهم, ويدرّسون طلابهم الأشعار الجاهليّة في مجالسهم, مع أنهم على علم ودراية, لما في هذه القصائد من الغزل الصريح الفاحش!

"قد يغض الرجل المتدين بصره إذا مرّت به حسناء ويخشى فتنها, ولكنّه يسمع بيتًا من الغزل, وهو غاض عينيه, فلا يغلق دُونه أذنيه".[1]

لماذا كل هذا؟ ولعلّ أبا القاسم الشابي, عنده الجواب الشافي:[2]

---

[1]- راجع: عبد الرحمان محمد العمراني, شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين, مطبعة الامانة (بدون ذكر الدولاة ولا التاريخ). ص:57

[2]- من شعر أبى القاسم الشابي: راجع: أنس بديوى وحسان الطيبي, روائع الشعر المعاصر, الطبعة الأولى, 1426هـ - 2005م, دار المعرفة, بيروت- لبنان ص:174

الحبّ شعلة نور ساحر هبطت * من السماء فكانت ساطع الفلق
الحـــبّ روحُ إلهـــــــي مجنّحـــــــة* أيـــامه بضياء الفجـــــــر والشفـــــق
يطوف في هذه الدنيا فيجعلها * نجمًا جميلاً ضحوكًـــا جدّ مؤتلـــق
لولاه ما سمعت في الكون أغنية * ولا تـــألف في الدنيا بنو أفـــــق
الحبّ جدولُ خمر مـــن تذوقـــه * خاض الجحيم ولم يشفق من الحرق
فقيام شاعرنا – حافظ شروما كبر- بنظم قصائد غزلية أكثر من أيّ غرض آخر, من أغراض الشعر العربي النيجيري, مع غضّ النظر على أغلب ما ذهب إليه علماء مجتمعه وأدباءها, لأكبر دلالة على موقف الشاعر الإيجابي, رافضًا عما يقوله القائلون, ورحم الله قيس لُبْنَى في قوله:[1]
يقولـــون حبٌّ بالنساء موكّـــلٌ * وماذاك من فعل الرجال بديع
فضعّفني حبّيك حتـــى كأننـــي * من الأهل والمال التلاد خليع
وحتى دعاني الناس أحمق مائقًا * وقالـــــوا مطيع للضلال تَبـــوعُ
إن الشاعر يرى أن فنّ الغزل, يستحق أن يستهلك الانسان وقته, ويقول فيه الجيد من الشعر, كما يرى أن الرهبنة والفرار من النساء, ليس من الدين في شيء!
وأن الإسلام أباح الحبّ في حدود الحلال والتقوى, ولذا جاءت جميع قصائده الغزلية, في حبّ امرأة يتمنى أن تكون له زوجة.
فهل لهذا الأمر غرابة لرجل كان على فطرته؟ أليس الحبّ أحلام الشباب؟ ألم يكن قاهرًا أعناق الرجال؟ أولم يغلب الكرام؟ لله درّ الطهطاوي إذ يقول:
قالوا أتهوى والهوى يكسو الفتى * أبـــدًا ثياب مذلّة وهـــــوان؟

---

[1]- راجع: ديوان قيس بن ذريح. المرجع السابق. ص:83-85

فأجبتهم لـــــو صـــحّ هذا أنّنـــــي * أختار ذلّي فيه طول زماني

والـــــذل للعشـــاق غيـــر معـــرّة * بل عين كلّ معزة للعانـــي[1]

ومع الرغم من ذلك؛ فالغزل عند الشاعر عزلاً عفيفًا, وكان في شوقه مثلاً في العفّة, لا يلتبس باللهو ولا المجون. وما أحبّ فتاة وتغزل بها, إلا رجاء أن تكون شريكة حياته ومأوى فؤده, ومدرسة أولاده إتمامًا لنصف دينه.

فالحبّ الطاهر لا يضرّ, ما كان فيه تقوى وعفاف. ورحم الله أبا الطيّب المتنبي في قوله:

لي في فنون الحبِّ أعجب قصّة * جاءت مفصّلة على استدراج

أبصرتُ ثم هويتُ ثم كتمتُ ما * ألقـــى ولم يعلم بـــذاك منـــاج

ووصلتُ ثم قدرتُ ثم عففتُ معْ * شوق تناهى بى إلى الانضاج[2]

وقد اعتنى الشاعر في غزله بالصور المادية عند وصفه لحبيبته, وإن كان لم يغفل عن الصور المعنوية.

أما بالنسبة لصورها المادية؛ فقد وصف الشاعر عيني حبيبته بأنها: حوراء العينين, واسعة المقلتين, بلا بروز فاحش, سود الجفون بلا كحل, فالناظر إليهما يحسّ بمتعة الجمال, وإن هي نظرت؛ رقّصت قلوب المحبّين, ومرّضت جسد العاشقين, كما تحدث عن خدّها المستقيم الناعم, وأما عن حسنها فلا تسأل؛ فالحور تحاكيها حسنًا وصفاءً وكمالاً, ورجع حديثها نبت من الدرّ, وتبسّمها يدر يضئ الآفاق, ولونها الأسمر جميل لامع يسرّ الناظرين, وعنقها طويل كجيد الطباء حسنًا وجمالاً, وأسنانها المتفرّجة في استواء,

---

[1]- من شعر رفاعة بك رافع الطهطاوي, راجع: صلاح الإمام, مائة شاعر ومائة قصيدة, الطبعة الأولى 2007م, مكتبة الإيمان – القاهرة. ص:480

[2]- من شعر أبي الطيب المتنبي, راجع: محمد عبد الله خير الدين 1000 طرفة وطرفة فيها الصدق والابتسامة, المرجع السابق. ص:885

يتلألأ كالبرق الخاطف, وشعرها السود الكثيف المسترسل اللامع, كأنه ظلام اليل يبزغ ويمتدّ حوله بدر مضيء.

كما تحدث عن صفاتها المعنوية, ووصفها بالحياء, والحياة تحت ظلال القرآن, وكونها متديّنة؛ تصوم النهار وتقوم اليل, عفيفة طاهرة, صبورة عفوّة, صامتة إلاّ في الخير, يقطر في كلماتها اللؤلؤ والمرجان, ترشد زميلاتها إلى ما فيه النفع والصلاح. ويتضح ذلك كالشمس في كبد السماء, عند قيام الباحث بشرح القصائد شرحًا أدبيًّا.

وكان الشاعر إذا أحبّ غرق في بحر الحبّ وبات في سكراته, واستيقظ في غمراته, وعاش نهاره في لوعاته, كان صادقًا في من أحب و ما أحب, وإن كان لا يعرف للحب توحيدًا, لكن حبه كان نقيًّا طاهرًا!.

أن الذي إن صبا أوشفّة غـــــزل * وللعفـــــاف وللتقـــــوى مـــــآزره

وأشرف الناس أهل الحبّ منزلة * وأشرف الحبّ ما عفت سرائره[1]

[1]- راجع: ديوان أبو الفراس الحمداني, باعتناء عبد الرحمان المصطاوي, الطبعة الرابعة 1429هـ- 2008م دار المعرفة. بيروت- لبنان. ص:118

المبحث الثالث: دراسة أدبية نقدية لقصائد الشاعر الغزلية

القصيدة الأولى: "إلى المخطوبة":

التعريف بالقصيدة وأبياتها:

هذه القصيدة كتبها الشاعر إلى مخطوبته هاجر بنت سليمان يَاكَسَي, وهي قصيدة غزلية, تحتوي على ست وعشرين بيتًا كتبها الشاعر حافظ شروما كبر:1987/8/26م الموفق 2/محرم/1408هـــــ.

دراسة القصيدة:

بدأ الشاعر حديثه الجذاب- في قصيدته هذه- يخاطب حبيبته بهذه الأبيات الرائعة التي استهل بها القصيدة:

1. شُغفتُ بحبّ هاجر حبّ صدقٍ * ولـــــــم أعـــــلم بـــــأن الحبّ داء
2. وداء الحـــــــبّ لـــــــيس لـــــــه دواءٌ * ألا واللـــــــه آخـــــــره اللقـــــــاء
3. لهاحُـــــورُ العيـــــون وحسن خـــــــدٍّ * وبـيض الســـنّ والجيـــد الرعـــاء
4. وصـــورتهـــــا ببهجتـــــــه تُـــــــقاس * ولـــــم يوجـــــد لمشيتها النجـــاء

وهكذا أخذ الحبيب يصرخ بكلّ صراحة تجاه حبيبته بصوته العالي, وبكلماته الصادقة, وعباراته الرائعة- معترفًا ومبيِّنًا بأن شدّة حبّه لها ولوعته تجاهها, قد شق صدره حتى وصل إلى أعماق قلبه واستقرّ فيه قرار النقش على الحجر, فأصبح صادق العاطفة, لا يعرف منها كذبًا.

ونرى الشاعر يتحلّق في سماء الشوق وقد شغفه حبًّا, وهو غارق في بحر زاخر, يتدفّق أمواجه ألما ولوعة, وتنبت في قلبه حنظلة, إلى أن أعياه وسبّب عليه داءً عضالاً, إلى أن تحقق أن دواءه لقاء بالحبيبة لا غير.[1]

---

[1]- كما يقول شاعر آخر:

الحـــــبّ داءٌ عضـــــال لا دواء لـــــه * يحـــــار فيه الأطبـــــاء النحاريـــــر

قد كنتُ أحسب أنّ العاشقين غلوا * في وصفه فإذا بـــالقوم تقصيـــر

راجع: يحي بن محمد بن القاسم (الديلمي) دموع المشتاق ونهاية العشاق, الطبعة الأولى: 2008م, دار الإيمان, الاسكندرية. ص:81 (من شعر ابن المعتز)

وهكذا استهلّ الشاعر قصيدته بهذا الأسلوب المثير, علّه يتمكّن على السيطرة والهيمنة على عقل حبيبته وخاطرها, رجاء أن تصغي إليه جسدًا وروحًا, ويملك زمام أمرها يتصرّف به كيف يشاء!

ثم شرع- بسحر بيانه- في البيت الثالث والرابع يعلّل فيهما مدعات شغفة وهيامه بها؛ وهي جديرة بالعشق, يفقد فيها وعيه عاقل, ويصيبه من فقدها سقمٌ, وهي من النساء الاتي يتصفن بالجمال الفاتن, والهيئة البديعة, والمنظر الحسن, ووجهها نضير, تشرق فيه الأنوار وتحجّ إلى كعبته الأبصار, حوراء العينين, تخطف عيون العشاق كالبرق الخاطف, وتقبل إليها القلوب, وترتاح لها الأرواح.

فهي ذات خدّين قائمتين, فإن هي قامت برز خدّها الحسن, كأنه حديقة مليئة بالأزهار, وناهيك عن بيض سنّها, ومجرى سواكها, وياله من ثغر كأنّه البرد أو الدرّ! كما يقول شاعر آخر:

صادت بعين وثغـــــر رفّ لؤلـــؤه * فالعين ممرضة والثغر سحّار

يا ليت لي قدحًا في راحتى أبدًا * قد مسّ فاها ففيه منه آثار[1]

فجيدها الطويل كجيد الظباء, يطوف حوله الحُلى بأركانه, وبحسن صورتها وقدّها تقاس الحسنات, هيفاء تهواها النفوس, تمشي مقتصدة في حشمة وحياء, لا ترى فيها عوجًا ولا عيبًا.

يا ترى كيف استطاع الشاعر- بسحر بيانه- أن يقنع هذه الفتاة؛ بأنها عديمة المثلى.

ثم يأتي إلى قصة الحب في البيت الخامس إلى نهاية السابع, ليجدّد عهده وما يتمنّاه في الحبّ الازم:

5. فقلبـــي لا يـــزال علـــى هـــواك * متـى يـــا هاجر يأتـــي الشفاء
6. أجيبـــي وانقذينـــي مـــن هلاك * لعمركِ إن أجبتِ شفي البـــلاء

[1]- من شعر العباس بن الأحنف راجع: محمد عبد الله خير الدين, 1000 طرُفة وطُرفة فيها الصدق والإبتسامة, دار الإيمان- إسكندرية (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع).

7. أجيبـي فالجواب يـكون عـــــرسا * فـــــحينئـــذ تُجيب لـــــى النـــــداء

بكلّ تأكيد, أن الحبيب الصادق في حبِّه, لن يغادر حبيبته, مهما كان الثمن غاليًا, ومهما كلّفته العقبات والعراقل, حتى ينال مراده أو يهلك دونه.

وهكذا استمرّ الشاعر في ذكر غاية ما يتمنّاه, عسى أن تتحقق أحلامه, وتثمر شجرته, ويجني ثمارها اليانعة, بمشاهدة يوم يجمع الله فيه بينه وبين حبيبته.

لئن هي تكرّمت, ولبّت الدعوة, فقد أنقذته شفاحفرة من نار, وانتهت المصيبة والبلاء, ولم يبق لها أثر! وليس هذا غريبا ولم يكن بدعا من الشاعر, فقد كان الشعراء قديمًا وحديثًا, يستغيثون بمحبوباتهم ليتكرّمن بإجابة دعواتهم, وينقذنهم من مصائبهم وبلائهم, كما يقول شاعر آخر:

أزيـــــن نساء العالميـــــــن أجيبـــــــي *
دعاء مشوق بالعراق غريـــــــب

فأنت من الدنيا نصيبي فإن أمت * فليتك من حور الجنان نصيبي[1]

أما في البيت الثامن إلى الحادي عشر؛ ففيها يرفع الشاعر شكواه إلى محبوبته:

8. فكنت تركتِ حـــافظ لا تبالـــي *
بعيشتـــــــــه وميتتـــــــه ســـــــواء

9. لأنـــــكِ كنتِ فـــــي أمـن وفـــــرح * عيونكِ لا يـعارضها البكـــاء

10. ولـــــو راعيـــتِ حقي في هـــواك * لشاهدنا كما تبكي السماء

11. بهمهمـــــــة ودمدمـــة كـــــرعـــد * وفي عينيك ما انقطع الدماء

وهكذا استطاع الشاعر بعبقريته, أن يرفع إلى حبيبته شكواه, ويقوم بهذه العملية الجراحية بمهارة فائقة, وبأسلوب حكيم, لا يشق فيها جلدًا ولا يقطع لحمًا, ولا يصدع جدارًا, فضلاً من أن يكسِّر عظامًا أو يهدم بيتًا, ويزيد الطين بلاًّ!

[1]- راجع: محمود سامي البارودي, مختارات البارودي, المرجع السابق. جـــ:4 ص:194

بل ألقى على المحبوبة لومًا, بأسلوب ليّن, يجعلها تركن إليه ولا تفرّ منه, وتعطف له ولا تقسو عليه, وترحم حاله ولا تجفو عليه. فهو يرى أنها تركته في نار تحرقه لظاها, يتقلّب في بلاء ولا يعرف مأتاها, وفي حياة لا يدرى أهو في عدد الأحياء فيها أو موتاها, وقد أهزلته الأسقام ولا يعرف منتهاها!

ومع كل هذا البلاء؛ الذي بلغ منتهاه, في هذه الصورة الجزئية الدامية, فإنها لا تكاد تحسّ به, أو تشعر بشعوره, فضلاً من أن تتألم بآلامه, وتشاركه في الأحزان, كونها هادئة مملوءة أمنًا وطمانينة, مسرورة فرحة, لم يصبها بلاء, ولم تقاسي ويلات, لذا اغفلت عن أمره, وأظهرت اللامبالة في شأنه وحياته؛ كما يقول شاعر آخر:

أما والله لو تجدين وجدي * لغلغل ما وجدت إلى حشاك[1]

ولو أنك أيتها الزهرة الزهيّة, أعدت النظر إليّ وإلى ما أنا فيه, بعين الرحمة, وقلب حنون, لأشفقتِ على حالي, ولبكيتِ بكاء الثكلى, ولجرى الدمع على خدّيك مدرارًا, ولسمعنا همهمة ودمدمة صوتك كالرعد الشديد المزعج[2]

ومع كل ما تقدّم من الشكاوى والملام, فإذا بالحبيب العاشق يغض طرفه عما جرى, ويتجاوز عمّا سلف, ويعفو ويصفح عن كل شيء, وهذا من شيمة العاشقين, يتحمّلون ذنب ما مضى,ويعتبرون الحبيب الظالم مظلوما, لتسير سكينة الشوق في بحر الغرام كما يراد.

فها هو ذا؛ قد عاد ليجدّد صدق عهده ووعده, ويسلم زمام أمره إلى فعّال لما يريد, فالإنسان يفكّر والله يدبّر وينفذ.

12. فإني قد وعدتك وعد صدق * وربـــــي حاكم فيما يشـــاء

---

[1]- (هذا البيت من شعر العباس بن الأحنف). راجع: محمود سامي البارودي, مختارات البارودي, المرجع السابق, ص:207

[2]- كما يقول شاعر آخر:

أحبّـــك حبًّـــا لـــو تحبِّيـــن مثلـــه* أصابـــك مـــن وجدٍ علـــيّ جنون

راجع: ديوان مجنون ليلى, باعتناء وتقديم عبد الرحمان المصطاوي, الطبعة الرابعة, 1429هـ-2008م دار المعرفة, بيروت- لبنان. ص:75

ثم شرع- بحكمة بالغة- يذكرّها على ما اتفقا عليه من صفاء المحبة ودوامها, والاكتفاء بما تيسّر من مؤنة زواجها, ونبذ العادات والتقاليد التى تسبّب عرقلة للوصول إلى هدفهما.[1]

13. رضيتِ بما رضيتُ به ولكن * نهانا حلّ بغيتنا العناء
14. أبعد محبة وتمام عهد * هل العادات خير أم وفاء
15. توافقنا النكاح على صداق * فمِن أولى الأمور بدا الإباء

وبعد كلّ هذا الاتفاق والابرام, وما وصلا إليه من النتائج المثمرة, فإذا هو يفاجأ بكلمات مفزعة, تجعل اللبيب في حيرة, ولا تكاد الأذن تصدّقها؛ بأن العادات والتقاليد لا بدّ منها, ومن المستحيل إنجاز هذا الأمر بدونها, وهذا القرار الأخير, قد جعل الشاعر مشتّة الأفكار, يقول أحقّا أن قرار عدم الإكتفاء بالصداق في زواجنا صدر من الأولياء؟ أو أنه إشاعات من النذل؟ يقصدون بها تكدير الماء الصافي! أو أنه من هذيان النساء؟ لكون وعدهن غالبًا كوعد عرقوب!

16. وكنتُ لما سمعت أشك شيئًا * أقوم ما نعوه أم النساء
17. إذا حكم الإله بفعل شيء * معارضه لقدرته غباء
18. فإن شاء الإله لنا نكاحًا * برغم أنوفنا يجدي القضاء

ومهما كانت الأمور فالشاعر راضٍ ومسلّم نفسه للقضاء والقدر, فإن قدّر المولى لهما الزواج, يتمُّ ذلك فِعْلاً, شاء من شاء وأبى من أبى! فلا رادّ لقضاء الله, ولا معقّب لحكمه.

ثم شرع في البيت الثامن عشرة إلى التاسع عشرة؛ يوضح لها حقائق الحياة, وأنه لا بدّ لكلّ مبتلى أن يجد فرجا, ومهما ضاقت الأمور ستنفرج, ومهما استحكمت حلقات الكرب ستنكشف, ومهما

---

[1]- ويقول شاعر آخر:

فلم أر مثلي كان أوفي بعهده * ولا مثلها لم ترع عهدي وذمتي

(من شعر أبى تمام) راجع: محمود سامي البارودي, مختارات البارودي. المرجع السابق هـ.4 ص:220

قلّت الوسائل للوصول إلى المطلوب سيتنفّس الصبح, وإن كانت النفوس مستعجلة وحريصة على الخروج منها على جناح السرعة, طالبة لكشف شدائدها في أسرع وقت وأوجز حين, واصبري فمن الألم يأتي الأمل.

18. فـــإن شاء الإله لنا نكاحًـــا * بـــرغم أنوفنا يجـــدي القضاء
19. لذا يـــا هاجـــر صبرا جميـــلا * فـــأرجو أن يغمدنـــا الهنـــاء

ثم شرع الشاعر يتخلّص من الغزل إلى النصيحة في خاتمة القصيدة قائلا:

20. أطيعي والديـك فـــلا تثـــوري* فحكمهما عليك هـــو الضياء
21. ألسْتِ فـــريدة أدبًـــا وخلقًـــا * أليـــس يُقـــال إنّ لك الحيـــاء
22. أليس الشمس تسرق منك نورًا * وأنت ضيـــاؤه أنـــت الطبـــاء
23. فإنـــي قد صبرتُ علـــى قضـــاء * إلـــى وقـــت يُعَمِّمَنـي الرخـــاء
24. لأنـــي كنت مسكينًا فقيـــرًا * ولكن مـــن فمـــي خرج الغنـــاء
25. تفكـــر إن في الـــدنيـــا فنـــاء * فـــلا أحـــد يقـــرّ لـــه البقـــاء
26. لـذا فـــالنسأل الله انكشافـــا * فـــكم صعبـــا يـــسهّله الدعـــاء

وما داما أن هذا القرار من قبل الوالدين, فبرّهما واجب وعدم عصيانهما لازم, وفي طاعتهما يأتي الفرج, وتطيب النفوس, وتستريح الخاطر, ويقوى الرجاء!

إذن فهي أحق بالسمع والطاعة, لما اتصفت به من كمال الآداب, وحسن الأخلاق, ووفرة الحشمة والحياء.

وهذا التسليم الرخيص من قبل شاعرنا حافظ شروما, مما جعل الباحث يشك؛ أهو عاشق حقا؟ أو أنه متحوّر فيه؟ لأن العشاق لا يغادرون معشوقتهم مهما كانت الأحوال, ولو أدى ذلك إلى

الهلاك! ولعل تأثير الدين هو الذي جعله يسلم بكل سهولة في باب تحسين الظن.

ثم عاد الشاعر في البيت الثاني والعشرين, يصوّر محبوبته مرةً ثانيةً, بما وهبها الله تبارك وتعالى من حسن فائق, وجمال فاتن, وضياء لامع.

أليس الشمس تسرق منك تورًا * وأنت ضياؤها أنـــــت الظبـــــــاء

وهكذا تخيّل الشاعر بأن محبوبته؛ نور وهّاج تتلألأ في السماء, وإن هي غابت أظلمت الآفاق.

وإنها النور الهادئ الوضيء, يترقرق في وجهها ماء الحسن, يفيض على المشاعر والجوارح, وتعانقه العيون والبصائر, تقتبس الشمس من هذا النور الباهر, فتزداد نورًا وهّاجًا, فإذا الكون كلّه بما فيه ومن فيه في سرور وحبور! [1]

وهكذا استطاع الشاعر؛ أن يوضّح لنا نور حبيبته ونضارتها التي تفيض في كل مكان, وتعم الآفاق.

وفي ختام القصيدة يعود الشاعر مرة,ليشير إلينا إلى تقاليد البلد في أمر الزواج, وأن الأولياء يرغبون تزويج بناتهم للأغنياء, ويفرون تزويجهن للفقراء, فأخذ الشاعر يصبّر نفسه على ما حدث, وأنه لم يحدث لو لا أنه فقير! ورحم الله القائل:

وإذا رأيت صُعوبةً في مـــــَطْلب * فاحمل صعوبته على الدينار

وابعثـــــه فيما تشتهيـــــــــه فإنـــــه * حجر يليِّن قسوةَ الأبـــــــــــرار [2]

إن كان الشاعرًا فقيرًا, فاعلمي أن الفقر لا يعيب رجالاً, وإن كان فاقدًا للثروة الطائلة, فعلمه موفور, وذكاؤه متوقّد, فعقليّته وهاجة, ولسانه ينبوع يخرج منه اللآلي والدرر. فستزول العوائق بالصبر على الأكدار, وتجرّع مرارات الأقدار, فأهل البلاء ما زالوا

---

[1]- كما يقول شاعر آخر:

لو أن عزّة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفَّق لقضى لها

من شعر كثير. راجع: زكي مبارك (محمد زكي عبد السلام مبارك). العشاق الثلاثة المكتبة العصرية, صيد- بيروت. (بدون ذكر عدد الطبع ولا التاريخ) ص:45

[2]- راجع: أحمد الهاسمي (السيد), جواهر الأدب. المكتبة العصرية 1428هـ - 2007م صيدا- بيروت هـ: 2 ص:435

ينتظرون الرخاء, داعين الله أن يكشف عنهم العناء, ويحقق لهم النصر والنجاح, وقد جرت سنة الله تعالى: بأن الفرج مع الكرب, وأن مع العسر يسرًا.

لـذا فالنسأل الله انكشافًـا * فكم صعبًـا يـسهّله الدعـــــــــاء

خلاصة القول في القصيدة:

أ. إنها قصيدة غزلية فيها بعض ملامح من الصور البلاغية وصور جزئية دامية ركّزها الشاعر من خلال الأبيات.

ب. عاطفة الشاعر في القصيدة مضطربة, تبدو ساخنة تارة إلى حد الهلاك, وباردة تارة أخرى إلى حد التسليم.

ج. في القصيدة بعض الأبيات تجعل الباحث يشك؛ أهذا الشاعر عاشق حقا؟ لأنه يسلّم بكل سهولة عندما تصادمه العقبات, كما نجد ذلك واضحا في البيت العشرين:

20. أطيعي والديــك فـــــلا تثـــــوري* فحكمهما عليك هـــــــو الضيـاء

القصيدة الثانية: "روضة النصائح"

التعريف بالقصيدة:

هذه القصيدة المسمّى بـــــ(روضة النصائح) كتبها الشاعر حافظ شروما كبر وأرسلها إلى مخطوبته بِنْتَ محمد يَاكَسَيْ وزجته فيما بعد 27/جمادى الأولى/1410هـــــ الموافق 1989/12/25م وهي تحتوي على ستة عشر بيتًا.

دراسة القصيدة:

1. تفكرّي بِنْتَ في الأعمال آخرها * خذي بقوّة صدقٍ ما بدا الخير
2. إنـــــــــي أحبّكِ حبًّا لا يخالطـــــــه * كذب ولا فيه تدليس ولا غـــدر
3. ما ضرّني كرم الأخلاق أو نسب* وإنما ضرّنـــــــي إن كـــان ذا فقـــــر
4. فكم رأينا خبيث الخلق ذات غنى * وربما كـــــان فـــــي أنسابـــــه بتـــــــر

هكذا بدأ الشاعر قصيدته هذه, بتذوّقه البلاغي؛ يتخيّل بأن حبيبته قد ذهبت بعيدًا تائهة في الأرض, شاردة الأفكار, تقلّب نظرها فيمن يكون قرين حياتها, وكادت قدميها أن تزل بسوء الاختيار! فإذا بصوت هذا الأديب اللوذعي, يناديها من بعيد, ليردّها عمّا كانت فيه من الغفلة, ويأخذ بزمام عقلها إلى الصحوة,

إذا تمّ عقل المرء تمّت أموره * وتمّت أمانيه وتمّ بناؤه[1]

وها هو ذا يمدّ صوته ليناديها من مكان بعيد, وينصحها نصيحة المرشد الرحيم؛ بأن تردِّي عقلها إلى الحق, وتديري فكرها إلى الصواب, ولا تتبعي هواها فتخسر وتشقى, ولا تميلي عن الصواب فيكون عاقبتها الندامة الكبرى! بل عليها أن تتفكري تفكيرًا عميقًا, في جميع ما تأتي وما تذر, التفكير الذي يبعدها عن تشويش خاطرها, وتخليط الحق بالباطل, وامتزاج الصدق بالكذب, مما يجرّ إلى عدم الانصاف, والتعصّب الأعمى, وعدم تقدير الأمور وما يتولد منها, تفكيرٌ يجعلها طالبةً للحق, ناظرةً للأمور على حقيقتها,

[1]- راجع: علي بن محمد بن حبيب (الماوردي), أدب الدنيا والدين, المكتب الشاملة, الحاسوب الآلي, ص:4

مدركةً عواقبها, راضيةً بنتائجها, عاملةً بكلّ قواها- في نهاية المطاف- بما يبدوا لها من الخير والصواب.

أما في البيت الثاني؛ فقد استطاع هذا الأديب البارع أن ينوّع أسلوبه من الانشاء إلى الخبر, ليجذب حبيبته إليه جذبًا, ويحرّك فكرها, ويدعوها إلى المشاركة بوجدانه وأحاسيسه!

إنـــــــي أحبّك حبًّا لا يخـــــــالطه * كذب ولا فيه تدليس ولا غدر

يا ترى! لا شك أن هذا باب لا تأتى عليه, إلا المتكلّم البليغ, والأديب المقتدر, الذي يعرف مواطن الكلام, وما يقتضيه كلّ موطن منها.

قد استطاع الشاعر البليغ, أن يثبت لحبيبته أنّه محبّ صادق في حبّه, ليس فيه شائبة الكذب, ولا الغشّ ولا التدليس, ولا المكر والخديعة, ولا الغدر والخيانة. إنما هو حب من لا يستطيع الحياة بدون حبيبته, ولا يطيب له العيش بدون عشرتها. كما يقول شاعر آخر:

تشقى النفوس بحبها وعزيزة * تلك التى تشقى وتحجب ساحرا

ويظلّ حبّك خالدًا لا ينثني * للحادثـات بـــــــدون غـــــــوادرا [1]

ويستمرّ الشاعر البليغ في إثارة انفعال معشوقته, وتحريك عاطفتها وشعورها عن طريق أسلوب الخبر قائلاً:-

ما ضرّني كرم الأخلاق أو نسب * وإنما ضرّنـــــــي إن كـــــان ذا فقـر

فكم رأينا خبيث الخلق ذات غنى * وربما كان في أنسابـــــه بتـــــــــر

يبدوا أن الشاعر في هذين البيتين؛ قد أحسّ بملامح الإعراض والاشمئزاز من قبل محبوبته, لقلّة ذات يده, فأخذ ينصحها ويطمّئنها, ويوضّح لها الحقائق كالشمس في ضحاها: بأن وفرة المال, وكثرة الثروة, والتمتع بالغني, لا يقاس بها الرجال, وليست هى السبيل

---

[1]- راجع: أنس بديوي وحسّان الطيّبي, روائع الشعر المعاصر, الطبعة الأولى, 1426هـ-2005م دار المعرفة- بيروت. ص:125

الوحيد في تحقيق السعادة الزوجية, بل كل هذه الأشياء قد تذهب هباءًا منثورًا, ولا تساوي في الحياة الزوجية جناح بعوضة, ما دام صاحبها قد نبت من منبت سوءٍ, عاريًا عن الأخلاق الحسنة, والعادات الطيبة, والسيرة الحميدة. ورحم الله حافظ إبراهيم في قوله:

فإذ رُزقتَ خليقة محمودة * فقد اصطفاك مقسِّم الأرزاق[1]

ومن المؤسف جدًا, فقد حدثت فتنة كبيرة, ومصيبة عظمية, وفساد كبير, عندما أصبح الرجل لا يوزن إلا بملئ جيبه, وليس بجميل خلقه, أو نبل طبعه, أو حسن سيرته, حتى ولو أوتي فصاحة حسّان, وجُمعتْ له حكم لقمان, وأُلهم فصل خطاب داود, ورُزق صبر أيوب, فلا يساوى عند الناس بمثقال حبة من خردل, مالم يكن ذا ثروة طائلة, أو مُلك عريض! [2]

ولذا أخذ الشاعر بكلّ جدّيّة, ينصح عشيقته بأن لا يخدعها السراب, فتسيء اختيارها, وتقع في شراك هؤلاء الحمقى, فيكون حظها كالدقيق المنثور فوق الأشواك, في يوم عاصف!

5. لا تصحبي غير ذي علم وطالبه* ذو العلم صحبته حتمالها نصر
6. قد يُنكح المرء للأشياء أربعة * الدين والمال والأنساب والقدر
7. فجاء قول رسول الله سيدنا * خذ ذاتَ دينٍ وغادر من له الفخر
8. مُركّب الجهل يؤذى من يصاحبه* والله يا نور قلبي إنه خطر
9. إن كان وعد فلان سابقًا وعدي * فإن في وعده فيما أرى نظر

---

[1]- راجع: حافظ إبراهيم (شاعر النيل), ديوان حافظ إبراهيم, بتحقيق ممدوح الشيخ, مكتبة جزيرة الود- القاهرة. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبعة). ص:374

[2]- ولله در القائل:

لما رأيت أخلائي وخالصتي * والكلّ مستتمر عني ومحتشم
أبدوا جفاءً وإعراضًا فقلت لهم * أذنبت ذنبًا؟ فقالوا ذنبك العدم

راجع: أحمد الهاشمي (السيّد), جواهر الأدب, باعتناء الدكتور يوسف العميلي, المكتبة العصرية, 1428هـ- 2007م بيروت- لبنان. جـ: 2 ص:435

10. لا يستوي الظَّلَمُ والأنوار كيف وذا* فـــــأنـتِ عـــــالمـة عربيـــــــة بحـــــــر
11. لازمت سنة خيـــــر النـــــاس كـــلهم* كما يـــــلازم شمسًا ضوؤها القمر

وهكذا شرع الشاعر بعبقرية, يركز لعشيقته حقائق ثابتة, ونصائح غالية, ويأمرها بأن تحسني اختيار شريك حياتها, وللنساء في ذلك دروب وأحوال؛ فمن باحثه عن الغنى والمال, ومن باحثة عن المنصب والجاه, ومن باحثة عن الحسب والنسب, ولكن أساس اختيار العاقلة يتركز على الدين والعلم والأخلاق. وكما يقول شاعر آخر:

العلم يرفع أقوامًا بلا حسب * فكيف من كان ذا علم له حسب[1]

هذا هو الميزان العدل والقسط, وإن كان كثير من الناس يُخدعون ويغترّون, ويستعملون مقاييسًا فاسدةً, عندما يزنون الرجال, يحسبون الغنى والثروة, هو مبدأ كلّ شيء, ونهاية كلّ شيء, ومن لم يعط فلم يعط شيء, فهو الأبتر المنقطع عن كلّ خير, في الآخرة والأولى!

فمن قاس بالعلم الثراء والغنى, فإنه أعمى البصيرة, غير عادل في حكمه[2]

ولذلك يذكّر الشاعر حبيبته لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها, ولجمالها, ولدينها, فاظفر بذات الدين, تربت يداك".[3]

ويشترك في فقه الحديث الرجال والنساء على حد سواء, فعليها أن تحسني إختيار عماد بيتها, وشريك حياتها, ومهوى فؤادها, وموضع سرّها ونجواها.

---

[1]- راجع: يوسف بن عبد الله ابن عبد الرّ (القرطبي) جامع بيان العلم وفضله, بتحقيق: سعد عبد الحميد محمد السعداني,الطبعة الثانية, 1428هـ- 2007م, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان. ص:80

[2]- كما يقول الشاعر:
العلم بلّـــــغ أقوامًا ذروة الشـــــرف * وصاحب العلم محفوظ من الخرف

راجع: المرجع السابق نفس الصفحة.

[3]- رواه البخاري ومسلم, راجع: محمد عبد الملك الزغبي, تحفة العروس وبدع الأفراح, مكتبة الاحيان, الطبعة الأولى, 1418هـ- 1997م المنصورة- مصر. ص:31

ولعلّ هذا هو السرّ في إجابة أحد الحكماء, عندما سئل: "عمّا إذا كان يريد أن يزوّج ابنته غنيًّا؟" فأجاب قائلاً: "أريد أن أزوّجها من رجل ينقص مالاً, لا من مالٍ ينقصه رجل".[1]

فإذا فهمت هذا فركّني إليّ, ولا تبالي بمن سبقني في الخِطبة, لكونه لم تتوفر فيه شروط الكفاءة. فانت صاحبة العلم وفقه وأدب, وملتزمة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم. وخاطبك جاهل مركب, لا يدري ولا يدري أنه لا يدري, فهو حمار أعمى لا يستقيم إلا بالعصا فما هو إلا ظلمات بعضها فوق بعض, أينما توجهه لا يأت بخير, فضرره عند المصاحبة أكثر من نفعه, فهل يستوي الظلمات والنور؟ أم يستوي الظل والحرور؟ أبدًا لا يستوي العالم والجاهل, فالعلم زين, والجهل شين.

فقد نفي الله تعالى التسوية بين العلم والجاهل قائلا:- "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"؟[2]

لا يستوي الظلم والأنوار كيف وذا * فـــــــأنت عـــــــالمة عربية بحـــــــر

فاعلمى ذلك جيدًا, واتركيه واركني إليّ, فأنا الكفئ بأن تتزوجي به, وإن سبقني في الخطبة فإنه يجوز ليّ أن أقدم نفسي إليك, طالبًا رضاك, لعدم صلاحيته في الأمر, وقد أفتى بذلك كبار العلماء, كابن جزم- رحمه الله تعالى- حيث يقول:- "ولا يحل لمسلم أن يخطب على خطبة مسلم, سواء رَكَنَا وتقاربا, أو لم يكن شيء من ذلك, إلا أن يكون أفضل لها في دينه وحسن صحبته, فله حينئذ أن يخطب على خطبة غيره, ممن هو دونه في الدين وجميل الصحبة".[3]

فإذا قبلتِ طلبي, ورضيتِ بمرادي, فأنا لا أزال على عهدي, ولن أخالف وعدي, وسألتزم الصبر في أمري, ولن يكون الغدر بيني وبينك في حياتي.

12. إنّي وعدتك وعدًا لا أخالفه* وما يساعد تبليغ المنى الصبر

---

[1]- راجع: محمد عزت محمد عارف (أبو الفداء), الألف حكمة, دار الفضيلة, شارع الجمهورية- عابدين القاهرة. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع) ص:51

[2]- سورة الزمر:9

[3]- راجع: علي بن أحمد سعيد بن حزم الظاهري (أبو محمد), المحلل بالآثار, طبعة دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع), جـ:9 ص:165-166

استطاع الشاعر في ختام هذه القصيدة, أن يربط بين أجزائها, ربطًا وثيقًا متينًا, ممّا جعله يرد المقدمة على الخاتمة, ردّ الأعجاز على الصدور!

13. إستخدمي عقلك المرجوح في شاني* وجنّبي ما عليه الريب والحيـــــــر
14. دعي فلانًا خذي كفؤًا يساعد في* جميع ما كان فيه الخير والشكر
15. الحق حق فلا داعـــــي إلـــــى كذب* إذا عتذرت هنا لا ينفع العذر
16. هذي النصائح قد تمّت بقدرة من* بـــأمره وجد الأنثـــــــــى مع الذكر

وهكذا أتى الشاعر في ختام القصيدة ليجدّد دعوته إلى عشيقته, بأن تستخدم عقلها مرة ثانية في أحسن طريق, وتتفكر تفكيرا سليما وتزن هذه القضيّة في الميزان الصحيح, ولا يغرّها ما كان عليها فلان من الثروة الطائلة, بل عليها بعد النظر والتمحيص, أن تختاري بين صاحب الثروة الرذيلة المهلكة, وبين الشاعر الفصيح الحكيم, الناصح الذي لا يغدر ولا يخون! وليكن اختيارها اختيارًا دقيقًا سليمًا, بأن تختاري من هو لها كفؤًا, يساعدها في جميع الأمور التي فيها الخير والصلاح!

يا ستّ الحسن والجمال! لا تتسرّعي, والمتسرّعون لا يفكرون, وكثيرًا ما يرتكبون الأخطاء فيسقطون. يقول باحث غربي:"إن أفكارنا هى التي تصنعنا, واتجاهنا الذهني؛ هو العامل الأول في تقرير مصيرنا"[1]

ثم أخذ الشاعر يبيّن لحبيبته؛ أنه أحق وأجدر باختيارها, وهو صادق في قوله, مخلص في نصحه, صريح في أمره, أمين في صحبته, غير مخادع في وعده, لم يدَّع قطّ ما ليس عنده, ولم يزعم يومًا أنه سيهبها ما ليس في حسابه, لأن الحبّ الحقيقي, يجعل المُحبَّ أن يكون صادقًا لحبيبه, ويجتنب الكذب فيما بينهما, وأن لا يخدع حبيبته بكلمات معسولة, "يحسبها الظمآن ماءًا, حتى إذا جاءه

[1]- راجع: محمود محمد عمارة (دكتور), ملامح البيت المسلم, مكتبة الايمان, 2002ك المنصور- جمهورية المصر العربية (بدون ذكر عدد الطبع) ص:20

لم يجده شيئا"[1]. خلافًا لمن ذهب إلى أنه لا بدّ من الكذب في الحبّ! كما هو في قول شاعر آخر:

ولا بد من كذب في الهوى * إذا كان دفع الأذى بالكذب[2]

وهكذا ختم الشاعر الحكيم هذه القصيدة التي سمّها: (روضة النصائح), طالبًا من عشيقته بأن تتمسَّك وتعمل بها, لتسعد في حياتها الزوجية.

خلاصة القول:

أ. يبدو للباحث أن هذه القصيدة ليست غزلية بمعنى الكلمة, بل هي أقرب إلى الدينيىة, فيها نصائح تجاه المتزوجين.

ب. كما أن فيها ملامح التجربة لمن يخطب امرأة, وهو يحاول اغرائها عن طريق الحيلة في اختيار شريكة حياتها.

ج. الصور الأدبية في القصيدة تكاد تكون مفقودة.

د. فالشاعر في القصيدة قليل العاطفة في الحب فعاطفته فيها هابطة غير ساخنة.

هـ. الأفكار في القصيدة متسلسلة ومنتظمة.

---

[1]- سورة النور:39

[2]- من شعر العباس بن الأحنف. راجع: محمود سامي البارودي, مختارات البارودي المرجع السابق. جـ:4 ص:198

القصيدة الثالثة: "الروض العاشق":

التعريف بالقصيدة:

هذه القصيدة سمّاها الشاعر (الروض العاشق) كتبها وأرسل بها إلى مخطوبته بِنْتَ محمد يَاكَاسَيْ 21/رجب/1410هـ الموافق 1990/2/16م وهي تحتوي على أربعة عشر بيتًا.

دراسة القصيدة:

1. حبّذا العيش كله في وداد* وحديث الفتى مع الفتيات
2. ذقت حلوا أتى به شدة الشو*ق ضحاءً وفي الدجى وغداة
3. لا حياة بدون شوق وحب* كيف طال الحياة من سنوات

استهل الشاعر العاشق فاتحة قصيدته بالتعريف عن الوداد, يبيّن الحبّ لمن جاهل حقيقته, بأن لذّة الحياة ونعيمها كلها تكون في الحبّ! ويتمنّى: لو كانت الحياة بطولها وأحداثها, وحلوها ومرارتها, وسرورها وأحزانها, في سبيل الحبّ فينفق الغالي والثمين, في سبيل تحقيق المراد, لا يساوي بشيء.

ولذا كان الأديب العاشق, يتمنى أن تكون الحياة كلّها شوقًا مع عشيقته, ونزهة مع حبيبته, وفرحة مع زهرته, وسرور مع شريك حياته, يتمتعان ويرتعان, ويأكلان ما طاب ولذّ ويشربان, ويتحدّثان حديث الفتى مع الفتيات! كما يقول الشاعر:

سلامٌ على من لا أملّ حديثها * ولو عاشرتها النفس عشرًا إلى عشر[1]

أما في البيت الثاني؛ فالشاعر, يخبرنا عمّا وصل إليه عن طريق تجربة للشوق, من الحالة الطيبة, والحياة الهنيئة المريئة, وأنه اليوم محظوظ بما كان يرجوه, وما بات يتمنّاه, وقد وجد من السعادة أقصاها, ومن الخيرات منتهاها! فها هو يتذوق عسلاً مُصفًّا سائغًا للشاربين, يتفجّر من ينبوع الحبّ تفجيرًا, ويسقيه ماءً سلسبيلاً, فهو اليوم شريح الصدر, طيّب القلب, هادئ البال, قرير العين ينام على السرور يتوسّد بالحبور, ويستيقظ والفرح ملئ عينيه! وكقول الشاعر:

---

[1]- من شعر قيس بن الملوّح. راجع: ديوان مجنون ليلى, المرجع السابق. ص:5

ألم ترى أنّي كلّما زرت زينبا * وجدت بها طيبًا وإن لم تطيب[1]

ويرى الشاعر في البيت الثالث؛ أن الحياة الخالية العارية عن الحبّ لا تطيب, وهى بمثابة جسد بلا روح, وأن السعادة بدون حبيب لا تتّم, وما هى إلا كذات إنسان بلا رأس! وأن العيش بدون زهرته الزاهية موت.

ولا يدرك هذا السرّ, إلاّ من تلمّذ على أيدي دكاترة الشوق, وتخرّج من جامعة الهيام, وكان من سكان عاصمة الشغف في مدينة التدليه! أولئك الذين يشعرون, بأن للحبّ إحساسات نبيلة, وعواطف شريفة, وموافق لطيفة, وأن كلمة الحبّ كلمة غالية, ولفظة شريفة عالية.[2]

ويتعجب هذا العاشق من أناس جامدين, لا يعرف الحبّ إلى قلوبهم سبيلاً, فيا عجبًا كيف يستطيعون الحياة؟ وكيف يسعد من لا يغترف من هذا البحر الزاخر, ولم يشرب من تيّاره الفائض, ولم يتذوّق من عسله المصفّا, عجيب لأمر هؤلاء أن تطول بهم الحياة عارية من الشوق.

ورحم الله بشارًا, فقد أحسن وأجاد, في قوله لحبيبته "زَيْنُ":

لو كنتُ أعلم أن الحبّ يقتلني * أعددتُ لي قبل أن ألقاك أكفانا[3]

فقام في البيت الرابع بعملية وضع الميزان لمعرفة مقدار حب هذه العشيقة في قلبه, وليظهره أمام المتفرّجين, فها هو يضع حبّه – لهذه الكريمة بنت الكرام- في كفّة الميزان, وبقية المحبّين في كفّة أخرى, فإذا بحبّه لها هو الراجح يميل بكفّة الميزان, ويخفّ الميزان مرجوحًا بحب سائر العشاق!

---

[1]- راجع: عائض بن عبد الله (القرني) مصارع العشاق. المرجع السابق ص:17

[2]- لله در القائل:

من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياتـه فيها حيـــــاة غريـــــب
ما كان في حـــــــور الجنان لآدم * لو لم تكن حواء من مرغوب
قد كان في الفردوس يشكو وحشة * فيها ولم يأنس بغير حبيـــــب

من شعر ابن مليكه راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. المرجع السابق. ص:304

[3]- راجع: محمد عبد الله (خير الدين), 1000 طرفة وطرفة, فيها الصدق والإبتسامة, دار الايمان- إسكندرية. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع). ص:599

4. كان حبي لِبِنْتَ بِنْتُ كرام * فاق وصف لها جميع البنات

فيا لهذا البيت من براعة, ودقة التصوير, وإبراز ما في قلب الشاعر الأديب من شغف الحبّ!

لله درّك يا أستاذ العاشقين, ومعلم هذا الجيل الحبَّ كيف يكون, ولا أراك إلا محبًّا صديقًا, وعاشقًا مخلصًا! كما يقول شاعر :

يا ليت قيسا في زمان صبابتي * حتى أريه العشق كيف يكون[1]

واستمرّ الشاعر في البيت الخامس والسادس, يبيّن تبحّره وخبرته بمعرفة أوصاف النساء, حيث شرع يحكي لنا محاسن صفات حبيبته الخَلقية, التى تمتاز به من بين سائر النساء, حتى بهرت الشاعر الأديب, وقضت عليه ببهكنتها, ووقع في شراكها!

5. سمرة اللون عنقها لطويـــــــل * سنّها فـــــالج نقـــــــيّ الـــــــذات

6. رأسها واسع وطرف كحيل * شعرها السود قد يزيد سراتي

إنها فتاة, ست الحسن والجمال, وهب الله لها من لون جميل لامع يسرّ الناظرين, إنها زهرة سمرة اللون, لا هى بيضاء ولا سوداء, تحاكيها الشمس حسنًا وضياءً, يملأ مسامرتُها قلوبَ العاشقين فرحًا وسرورًا؛

وناهيك عن عنقها الطويل الجميل الحسن المستقيم, يحاكيها جيد الظباء حسنًا وجمالاً.

ولو نظرت إلى نبت الدرّ من فمها, لشاهدت أسنانًا حسانًا, متفلّجة متفرّجة, متفرّقة في غير تباعد, بل ثغر شتيت في استواء وحسن. كقول شاعر آخر:

ثـــــغر كلمح البرق حسنٌ بريقه * يشفـــــــي غليل المستهام بـــــــريقه[2]

وأما عن رأسها فلا تسأل! إنه رأس واسع, يحمل علمًا غزيرًا, وفكرًا سديدًا, ولم يكن صغيرًا كرؤس الحمقى, ولا غير عاقل كرؤس الببغاء!

---

[1]- راجع: أحمد الهاشمي, سلطان الغرام, المرجع السابق, ص:48

[2]- راجع: أحمد الهاشمي, سلطان الغرام, المرجع السابق. ص:14

إنها زهرة الدنيا شديدة سواد العينين, مع سعة المقلة بلا جحوظ, ومعه سواد الجفون من غير كحل, كأعين الظباء لا فيها شطور ولا حول. يا له من طرف فاتر ساحر! غمزاته تخبر عن ظرف صاحبته. ولله در القائل:

هاروت قد عاد تلميذًا لمقلتها * في السحر إذ هو لم يقدر يضاهيها[1]

وشعرها الكثيف المتصل المسترسل السود, يزيدها حسنًا ونضارةً وبهاءً.

كأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم[2]

ثم أخذ الشاعر في البيت السابع, يوضح لنا حاله وموقف حبيبته في قلبه, وقد أصبح لها أسيرًا, ولم يبق له جارحة من جوارحه إلا وقد ملكتها, وهى تسيطر عليه كيف تشاء!

فهل في ذلك من غرابة؟ أليس العشق ملكًا قاهرًا,؟ أو لم يكن حاكمًا جائرًا؟ يملك الإنسان قلبه وقالبه! أو ليست عشيقة الشاعر قد ملكته بكنوز حسنها, التى عجز عن مقاومتها أسد باصل, وبدنانير طرفها الذي لا يشبع منه الناظر, وبدارهم جيدها الذي يذهب بعقل العاقل, وبقناطير شعرها اللامع الذي يقضي على بصيرة اللبيب الحاذق.

7. ملكتني وخاطري وجناني * سكناتي تحرّكي وحياتي
8. أنت زوجي وأنت لبّ حياتي * أنت مااشتهر هنا وهمات

وهكذا أصبح الشاعر الأديب العاشق أمامها كالدمى, تفعل به ما تشاء, ليس بقادر على تحريك ساكنًا, أو تسكين متحرّكًا! كما يقول شاعر آخر:

وفي كل عضو فيّ كلّ صبابة * إليها وشوق جازب بزمامي[3]

---

[1]- أحمد الهاشمي, سلطان الغرام, المرجع السابق. ص:26

[2]- المرجع السابق نفسه. ص:4

[3]- راجع: ديوان ابن الفارض. المرجع اسابق. ص:194

أما في البيت الثامن إلى اثني عشر, فقد أخذ الأديب بعبقريّة فائقة, يبوح بغاية مراده, وأقصى أمانيه, ومنتهى رجائه, فها هو يرفع صوته على رؤس الأشهاد مناديًا: يا زهرة الدنيا, يا عشيقة نفسي, وفريدة فكري, أنت زوجي وشريكة عمرى, وصاحبة سرّي وخلاصة عدّتي, ولبّ جياتي, فأنت الحياة ولا حياة بعدكِ, حتى يرث الله الأرض ومن عليها!

فشوقي إليك يتزايد, وحبي لك يتفاقم, وشغفي بك يتعاظم, كلّما بدى لي من أخلاقك الحميدة, وصفاتك الحسنة, وعاداتك الطيبة.

ثم استمرّ الأديب الحاذق, في ذكر هذه الأخلاق الشريفة, والصفات النبيلة, والعادات العالية, ومما أعجبه؛ كونها مولعة بحبّ اللغة العربية- لغة الناطقين بالضاد- مما يدل دلالة واضحة, كالشمس في رابعة النهار, على تديّنها وتعبّدها, لأن القرآن الكريم عربي, أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين"[1]. قرآنًا عربيًا غير ذي عوج"[2]. والنبي صلى الله عليه وسلم عربي, وحبّ هذه اللغة للمسلم دلالة على حبّ الله ورسوله, وطريقة يُتوسّلُ بها إلى فهم الدين الحنيف كما هو.

9. زاد شوقي لها لأنـــي عـــــرفت * وصفها فـــــي سماتها بصفـــــــات
10. حبها لغة الكتـــــاب الكـــــريم * كونها فـــــي الصيام والصلـــــــوات
11. نطقها في النساء قال الرسول * لم تعش ســــــرمدا بدون عظات
12. قولها دائما سلامـــــا سلامـــــا * صمتها فـــــي تـــــفكر الحسنـــــات

أنها صوّامة قوّامة, داعية مرشدة, آمرة بالمعروف, ناهية عن المنكر, عفيفة طاهرة, لا يعرف الشيطان إلى نفسها سبيلاً.

تحسن استعمال أوقاتها الذهبية, كلما أُتيحَ لها الفرصة في لقاء أخواتها من معشر النساء, سرعان ما تشرع في تذكيرهن, ووعظهن وإرشادهن, تبتغي بذلك وجه الله!

---

[1]- سورة السعراء:195

[2]- سورة الزمر:68

صابرة حليمة, تعفو عن السيآت, وتصفح عن العثرات, وتجاوز عن الهفوات, وتدفع القبائح بالتي هى أحسن, إنما قولها لسفاهة السفهاء, وحماقة الحمقى, وشتائم الجهلاء: "سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين"[1].

فتاة, طويلة الصمت, قليلة الكلام, لم يكن الثرثرة من ديدانها, وإن هي نطقت, فاض من نطقها الدرّ واللآلي, فهي كالماء الهادئ, وكان سكوتها تفكيرًا؛ في فعل الخيرات؛ وجلب الحسنات؛ وتقديم الخدمات؛ وإصلاح ذات البين, وما هى إلا مفتاحٌ للخير, مغلاقٌ للشرّ!

وهكذا استطاع هذا الأديب البارع, أن يحكي لنا صفات حبيبته الخَلقيّة, في أوائل هذه القصيدة الممتعة, ثم يردف- بمهارة نادرة- بذكر صفاتها الخُلقيّة في أواخرها!

أنه ليس غريبًا ولا بدعًا, لمن اجتمعت لها هذه المواهب, إذا دانت لها رقاب العظماء, وانقادت لها الألباب, وخضعت لهيبتها رؤس الأنجاب, ورقت لها قلوب الرحماء! كما حدث لأديبنا السبّاق! لله در القائل:

لا تخف ما فعلتْ بك الأشواق* واشـــــرح هـــــــواك فكلّنا عشّاق[2]

وفي ختام هذه القصيدة الممتعة, يقول الشاعر حافظ شروما كبر:

13. ربنا قد دعوت ســـــرا وجهرا * يـــــا إلهـــــــي إله كـــــل الجهات
14. رب قدر لحافظ مـــــع بِنْتَ * جنّي ما تُشْتَهَى من الثمرات

في هذين البيتين, يبتهل الشاعر إلى الله سبحانه وتعالى, أن يسدّد خطاه, ويشكر مسعاه, ويحقق مناه, ويحفظ سرّه ونجواه ويمنّ عليه وعلى حبيبته من عطاياه حتى يُشَاهِدَا شجرتهما المباركة, أصبحت ذات ثمار يانعة, قطوفها دانية, يجنيان منها ما يُشتهى في متعة بالغة.

---

[1]- سورة القصص:55

[2]- راجع: أحمد الهاشمي, سلطان العاشقين, المرجع السابق. ص:22

القصيدة الرابعة: "الداء عند الحبيب":

التعريف بالقصيدة وأبياتها:

هذه القصيدة سمّاها الشاعر "الداء عند الحبيب" وهي قصيدة غزلية تحتوي على عشرين بيتًا كتبها الشاعر يوم الجمعة 28/رجب/1410هـــ الموفق 1990/2/23م. وأرسل بها إلى حبيبته ومخطوبته ثم زوجته فيما بعد وهي بِنْتَ محمد يَاكَسَيْ.

دراسة القصيدة:

يقول الشاعر:

1. بكت عيناي مرات عديدة * لذكركِ بِنْتَ شوقًا أو غرامًا
2. مليكة حافظ حسًّا ومعنًا * وربك لا أخالفكِ الـــــزماما

ولقد استطاع الشاعر في البيتين الأوّلين,أن يستهلّ قصيدته الغزلية؛ بعبقرية فائقة, حيث أبدى غاية شوقه وغرامه,ومدى صبابته وحنينه في ذكرى حبيبته وقد شغفه حبًّا. مما جعله يصلى بنار الشوق, ويتوسّد بلظاها,ويبكي لألمها ولوعتها بكاء الثكلى, والدموع تفيض على خديه مدرارًا.

هل الحبّ إلا عبرةٌ بعد زفرةٌ * وحرٌ على الأحشاء ليس له بردُ[1]

ومع كل هذا وذاك, فإذا بالشاعر يستطيب الأذى في معاناة الهوى, كذي جرب يلتذّ من حكِّ جسمه؛

دع الحِبِّ يصلى بالأذى من حبيبه * فكلّ أذى ممن تحب سرور[2]

وما كان هذا كله إلا لأنه قد أصبح تحت سيطرة محبوبته حساً ومعنًا, تقلّبه كيف تشاء! ولا قدرة له في ردّ شأنها, ولا في مخالفة أمرها, بل سلّم لها الزمام قائلاً:-

يسراكِ قد ملكت زمام صبابتى * ومضلّتى وهُدي في يمناك[3]

---

[1]- راجع: ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى) المرجع السابق. ص: 71

[2]- هكذا ذكر الراغب الأصفهاني هذا البيت ولم ينسبه إلى أحد, راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء, المرجع السابق. ص: الجزء: 2\310

[3]- راجع: علي الجارم ديوان علي الجارم, الطبعة الثانية, 1410هـ 1990م دار الشروق-بيروت. ص:45

ورحم الله تعالى رجلاً قيل له:"إن ابنك قد عشق" فقال:"عذّب قلبه, وأبكى عينه, وأطال سقمه"[1].

ثم انتقل الشاعر- على جناح السرعة – إلى البيت الثالث! إلى نهاية السادس؛ معلّلاً السبب الرئيسي, الذي جعل عيناه تمطر دمعًا بدون انقطاع, وقلبه يتفطّر ألمًا بلا حدود, وقد أصبح مجروحًا مكلومًا بسهم حبيبته, وبات مغشيّا عليه يعاني سكرات الحبّ, وقد بلغ داء الشوق والغرام غايته ومنتهاه,

3. رمت قلبي بسهم الحب حتى * جرحت وبتّ مغشيًّا سقيما
4. دواء الجرح ليس لدى طبيب * وإن الطب يـــــزداد الهمومـــــا
5. فـــــليس دواءه للمحـــــدثيـــــن* بحثت ولم يكن عند القدامـــــى
6. دواء المرض حقًا عند بِنْتَ * تعالي واخرجـــــي هذا السهاما

يا تُرى! وقد أصبح وهو يتلفظ بكلماته الأخيرة:

رمتني لُبَيْنَى في الفؤاد بسهما * وسهم لُبيني للفؤاد صيـــــــود[2]

وها هو ذا هذا المسكين يتيح في الأرض, يبحث عن عقاقير الأطباء, وتعاويذ العلماء, ورقيّات الصالحين قديمًا وحديثًا, وقد ذهبت كل هذه المحاولات هباءً منثورًا, ولم يجد لمرضه شفاءً, ولا لجرحه برءً ولا التمامًا, ولا لمصيبته فرجًا, ولا لضيقه مخرجًا, بل العكس يزداد الطين بلاًّ:-

سقيم لا يصاب له دواء * أصاب الحب مقلته فناخا[3]

هذا الداء الذى أعيا الأطباء المهرة, وأعجز المعوّذين, وأسكت الراقين, فدواؤه الشافي, وعلاجه الكافي, موجود وموفور عند حبيبته! فهى الوحيدة القادرة على القيام بالعلاج, وإخراج السهام, وإرواء الغليل:

---

[1]- راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء, المرجع السابق الجزء: 2\305

[2]- راجع ديوان قيس بن ذريح (قيس لُبني) المرجع السابق ص:71

[3]- راجع: ديوان قيس بن ذريح (قيس لُبني) المرجع السابق ص:109 - 65

تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يتداوى شار الخمر بالخمر[1] وليتها ترضى للقيام بهذه العمليّة الجراحية, لها قدرة في إخراج السهام من جسد المصاب؛ كما يُخرج السهام من العجين!

"فما لجرج إذا أرضاكم ألم"[2]

أما في البيت السابع إلى الحادي عشر:

7. أحبك غاية أقصى الوداد * فلا ماء أحب ولا طعاما
8. عذاب الحب في جسمي وقلبي * دبيب النمل بل حتى العظاما
9. فكسّره وصيّره وهينا * وأوشك أن يحوله رميما
10. فلا قلبي يطاوعني لصبر * هناك فلست أحيانًا حليمًا
11. لأني كنت مشغوفًا لحب * فشغف الحب ليس له لجاما

فقد عبّر الشاعر عن مدى شوقه, وغاية حبّه, ومنتهى وداده, وما بغلت إليه حبيبته في أعماق قلبه, حتى أصبحت عيناه تنكر كل منظر حسن, ويكره سمعه الجميل من الكلام, لا يتلذذ بالشراب, ولا يطيب له الطعام؛

الحبّ أوّل ما يكون لجاجه * تأتي به وتسوقه الأقدار

حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى * جاءت أمور لاتطاق كبار[3]

وهكذا أخذ عذاب الحب وآلامه, وشدّة الشوق ولوعاته, يتسلّل إلى جميع جسده, ويخترق أعماق قلبه, ويجري مجرى الدمّ في

---

[1]- راجع: قيس بن الملوّح, ديوان مجنون ليلى, المرجع السابق. ص:49

[2]- هذا عجز من بيت قاله المتنبى وتمامه:-

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا * فما لجرحٍ إذا أر ضاكمُ ألم

راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاولات الشعراء المرجع السابق: ص: 2\312

[3]- إن هذين البيتين من شعر العباس بن الأحنف بن الأسود اليمانى, راجع: محمود سامى البارودى (فقيد السيف والقلم) مختارات البارودى, المرجع السابق. ص:4\200

عروقه, ويدبّ دبيب النمل في عظامه, مما جعله منكسرًا, وصيّره وهيّنا, وأوشك أن يحوّله رميمًا!

إنمـــــا الحبّ عـــــذاب * دونـــــه كلّ العـــــذاب

إن يكن هذا عذاب * فهو عذب في فؤادي[1]

ومع الرغم من شدة هذا العذاب كله, ومكابدة الآلام, فقد سعى جاهدًا في التماس الصبر في كلّ مكان, ولم يجد لسعيه طريقا يأتيه, ولا لصبره سبيلا يتعطاه!

ولقد أردت الصبر عنك فعاقنـــي * عـــــلق بقلبـــــي مـــن هـــــواك قـــــديم[2]

فقلت دعوا قلبي وما اختاروا تضي * فبا لقلب لا بالعين يبصر ذوا الحب[3]

أما في البيت الثانى عشر إلى السابع عشر؛ فهو يقول:

12. فلما زرتهـــــا يـــــوم الخميـــس * رأيـــــت الحب كلمنـــــي كلامـــــا
13. كلانا ساكـــت وقتا طويـــــلا * تـــــسيل دمـــــوعنا مـــثل الـــــدرامـــا
14. فقالـــــت حـــــافظ والله إنـــــي * بلغت لشغف حبك ذا مقامـــــا
15. فكنت أراك فـــي وقت وحين * وتنقـــذ شكوتـــــي قـــــوما نيامـــــا
16. فقلت لها اصبري يا نور عيني * قـــــريبًا سوف نضحك إبتسامـــــا
17. بعون الله سوف أكـــون بعلا * لذلك أي سنكتشف الظلامـــــا

---

[1]- إن هذين البيتين من قصيدة (الكون موات لولا الحب), للشاعر الفيلسوف, والعالم النيجيرى: عمر إبراهيم. راجع: عبد الصمد عبدالله محمد (الدكتور), أضوء على الشعر العربي في غرب إفريقيا, (السنغال ونيجيريا). مكتبة وهبة, الطبعة الأولى 1422هـ 2001م القاهرة. ص:88

[2]- راجع: ديوان قيس بن ذريح (قيس لبني). المرجع السابق: ص: 109

[3]- هذا البيت من شعر بشار بن برد. راجع محمود سامى البارودى, (فقيد السيف والعلم) مختارات البارودى, المرجع السابق, الجزء: 4\190

فقد صورلنا الشاعر محاورته مع حبيبته, تصويرًا فنيًا, وها هو الحبيب قد التقى مع حبيبته, وجمعهما مكان واحد, وقد مال بنظره إليها ومالت إليه! كأنهما يطيران فرحًا وسرورًا! لكن العجيب في الأمر ياثُرى! قد كمّم لوعة الشوق فاهما, وألجم لسانهما, فظلا ساكتين وقتًا طويلاً, لا يستطيع أحد منهما أن يتفوّه بكلمة, ولا قدرة لكليهما عن التعبير عمّا في ضميره, ورسولهما الدموع التى تنحدر على خدّيهما شوقًا و حنانًا؛

ولقد خلوتُ مع الحبيب وبيننا * سرٌ أرقّ من النسيم إذا سرى[1] وبينما كانا يقومان بهذه التمثيليّة الرائعة, إذا بالحبّ- يأتي بنفسه- يتوسط بينهما يكشف الستار, ويفكّ الكَمَمَ, ويكلمهما تكليمًا, بحلاوة لسانه, وحسن منطقه, حتى استطاع بقدرة فائقه: أن يجعل هذه الفتاة – مع الرغم من حياء المرأة وحشمها, أن تعبّر عمّا طوى ضميرها, من شدة الشوق ومكانه في قلبها, تشكوا إلى الحبيب حرارته ولوعته, وهو الوحيد الذى له القدرة في إنقاذها من بثّها وحزنها, وإخراجها من هذه البلبلة المحرقة!

وحينئذ إستطاع الثانى, أن يطلق عنان لسانه, ويصبّر حبيبته, ويبشّرها متفاؤلاً بتنفّس الصبح, واكتشاف الظلام, وذهاب الهموم والغموم والأحزان, وتمام العرس عن قريب, وحينئذ ينقلب حياتهما إلى خير النظام, يملأ وجههما بهجةً وهناءً, وتبسّمًا وسرورًا, ويومئذ يفرح المحبّان بنصر الله, والله على ما شاء قدير!

وفي نهاية المطاف؛ ختم الشاعر قصيدته – بالأبيات الثلاثة الأخيرة- بالدعاء, والإبتهال إلى مولاه عزّ وجلّ, مما يدلّ على تأثير الدين, وعمق الإيمان في قلب الشاعر.

18. دعوت الله رب العالمين* يساعدنا ويكشف ذا الهموما
19. ويجمعنا على خير وفير * ويرشدنا الصـــــــراط المستقيمـــا
20. ويأخذنا إلى خير النظام* نظام العرس يـــــا نعم النظـــاما

---

[1]- البيت من شعر سلطان العاشقين, شرف الدين عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي المصري المعروف بابن الفارض, راجع: ديوان بن الفارض, بتحقيق: درويش الجويدي (الدكتور) طبعة الأولى؛ 2008م- 1429هـ المكتبة المصرية, صيدا- بيروت.

القصيدة الخامسة: "مرادي زواجك":

التعريف بالقصيدة وأبياتها:

هذه هي القصيدة المسمى بـــــ(مرادي زواجك) كتبها الشاعر حافظ شروما كبر وأرسلها, إلى مخطوبته بِنْتَ محمد يَاكَاسَيْ, وزوجته فيما بعد, في يوم السبت 20/الشعبان/1410هـــــ الموافق 17/مارس/1990م وهي تحتوي على خمس وعشرين بيتًا.

دراسة القصيدة:

1. أعيش وأحيا علـــى حبّ بِنْتَ * فلا حدّ فـــي كنه حبّـــــي لهـــــا
2. فليست تعيش على غير حافظ * ولست أعيش علـــــى غيرهـــا
3. أحبّكِ دوما إلـــــى يـــــوم دكّت * وزلـــــزلـــــــت الأرض زلـــــزالهـــــا
4. ويـــــــوم يـــــفرّ أخٌ مـــــن أخيـــــه * وأخرجـــــت الأرض أثقالهـــــا

أصبح الشاعر العاشق في هذين البيتين, غارقًا في بحر لجيّ من الهيام, وقد سيطرت عليه عشيقته لحمًا ودمًا, فلا يرى في العالم سواها, ولا يفكّر إلا في رجاء رضاها, بذكرها يستيقظ صباحًا, وبتفكيرها يعيش نهارًا, وهى آخر زاده ليلاً! لله در القائل:

من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب[1]

وقد أحبّها الشاعر الأديب حبًّا بلا حدود, وسلّم إليها زمامه بلا قيود, وقد تبادلا الأشواق, حتى امتزجا امتزاج الماء بالخلّ, والجسد بالروح, والحياة بالنفس, واللحم بالدم, فلا يستطيع أحدهما أن يعيش بدون الآخر!

فحبِّي لها حبّ تمكّن في الحشا * فما إن أرى حبًّا يكون له مثل[2]

أما في البيت الثالث والرابع, فالعاشق قد بلغ سدرة المنتهى, في حبّ هذه الظبية النضرة, ويتعاهد بأن يكون مخلصًا في حبِّه,

---

[1]- راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاولات الشعراء والبلغاء, المرجع السابق ص:304

[2]- راجع: ديوان مجنون ليلى, المرجع السابق. ص:18

وفيّا في عهده, ملازمًا إياها في السراء والضراء, في الغضب والرضاء, في الغنى والفقر, في المرض والعافية, في الحياة والموت! كما يقول شاعر آخر:

فإن شئت أن تحي سعيدًا فمتْ به * شهيـــــدًا وإلا فـــــالغرام لـــــه أهل[1]

ومن لم يمت في حبّه لم يعش بـه * ودون اجتناب النحل ما جنت النحل

إنه يتعاهد بمواصلة حبّه لها, مهما كانت الأحوال حتى إذا وقعت الواقعة, وحدثت الكارثة, ورجعت الأرض الثابتة ارتجافًا, وتزلزلت الأرض زلزالاً, ونسفت الجبال نسفًا, وذهلت المرضعة عن رضيعها ذهلاً, وأصبح الناس حياري سكرى, وعمّ البلاء وانتشرت المصيبة, وكل هذه الأهوال لا تجعل قلبه فارغًا عن حبِّها, ولن يهاجر حبِّها!

أيتها الزهراء الناضرة, حبّك باقٍ في أحشائي حتى في يومٍ يفرّ منه الخليل من خليله, والوالد من ولده, والقريب من قريبه, والصديق من صديقه, لهول ما حولهم, وحبّك لم يغادر ضميري, ولن يرحل عن فؤادي, ولن يهاجر فكري, ولم يفارق خاطري!

أيها الأديب العاشق, لا شك أن حبك لهذه الزهراء قد فاق التصوّر, حتى في مشهدٍ تهزّ فيه الأرض, وتمور تحت أقدام المستمعين, مشهدٍ تخلع فيه القلوب, مشهدٍ يفزع فيه النفس, وينزع عنها وعيها, مشهدٍ كلٍ في شأن ولديه كفاية, ومع كل هذا الأهوال, وأنت أيها الشاعر الأديب العاشق, لم تكن في حبك إياها بناس ولا متناس, فيا له من تصوير رائع وجميل!

ثم استمرّ شاعر الأديب في البيت الخامس إلى السابع قائلاً:

5. فـــــيوم القيامة لـــــو جاء حـــــور * وعـــــاينّ بِنْتَ لا خـــــترنهـــــا
6. فـــــحور إمـــــاء بـــــدون عبـــــادة * فقد عبدت بِنْتَ في عيشها
7. وصلّت وصامت كما قد أمرت * وأدت نـوافل مـــــن فضلهـــــا

[1]- راجع: ديوان ابن الفارض, المرجع السابق. ص:48

وهكذا أخذ الشاعر الأديب, يقارن بين حبيبته وبين الحور؛ نساء في الجنة, في صفاء اليقوت, وبياض المرجان, مرتفعات الأقدار؛ في حسنهن وكمالهنّ, قاصرات لحاظهن على أزواجهن.

من القاصرات الطرف لو دبّ محولٌ * من الذرِّ فوق الإتب منها لأثّرا[1]

ويرى الشاعر العاشق: أن الفضل لعشيقته, فقد فاقت هؤلاء الحور جميعًا, حسنًا وصفاءً, ورفعةً وكمالاً, ولو فُرض أن هؤلاء الحور, شاهدن هذه الغزالة الفاخرة, لفضّلنها على أنفسهن, ولا ختارنها, ملكة الحسن والجمال من بينهنّ!

فكيف لا يختارنها؟ فهنّ إماء, وهى حرة, خلقن لخدمة أهل الجنة, وهى سيّدتهن فيها, وهن لم يشرّفن بشرف العبادة لمولاهم, وهى قد حظيت بهذه المرتبة, صلت خمسها, وصامت شهرها, وأطاعت ربها, وتبرّعت بالتطوّع والنوافل بطيب نفسها! والفرق واضح, وشتان ما بين الأرض والسماء! كما يقول شاعر آخر:

لقد فضّلت لبنى على الناس مثلما * على ألف شهر فضّلت ليلة القدر[2]

كان الشاعر مشغوفًا بحبّ عشيقته, لا يصيب لسانه فتورٌ عن ذكرها, ولا تنام عيناه عن التفكير عنها, لما اتصفت به من المحاسن والمحامد خُلقًا وخَلقًا!

8. فكنتُ شغفت عليها بحـــــبّ * لأنـي حـــــريص لأخـلاقهـــا
9. مـــرادي زواجك قبل الصيـــام * أمامـــــي شـــراء ملابسهـــا
10. ولـــــو كنـــــت ذا ثـــروة طائلـــة * لأنفقت أحدا على حقهـا
11. ولـــكن رويـــــدك سوف نـــعد * شهـــور الـــرواتب رابعهـــا
12. فـــــإن تم قبل فـــهذا مـــــرادي * أفـوّض أمـــــري إلـــــى ربهـــا

---

[1]- من شعر امرؤ القيس. راجع ابن عادل, تفسير اللباب, الحاسوب الآلي. ص:533

[2]- راجع: ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى). المرجع السابق. ص:79

13. إذا شاءت البنت من فضلها * يـــــكون الزفاف على رأيها
14. قبل الصيـــــام وبـــــعد الصيـــــام * تركت الأمور على أمـــــــرها

وكان حبّ الشاعر حبًّا عفيفًا, ولا يريد به إلا الزواج بها, ولا حياة له إلا بها! [1]

هذا هو بلاء الشاعر العاشق, فهو يتمنى أن لو تمّ الزفاف, قبل غرّة رمضان المبارك, ولكن العراقل تعرقله, والقيود تقيده؛ عمّا ينفق من مؤنة الزواج, وتجهيز العروس, ولو استطاع لأنفق كلّ الغالي والثمين, ومهما يكن في الأمر, سيدّخر من راتبه شهريًّا, ويفوّض أمره إلى الله, ثم على ما رأت عشيقته.

ثم أخذ هذا الأديب البارع رييشته الفنّانة, ليرسم لنا صورة هذه الفتاة الباهرة في جمالها, زينة الحياة الدنيا, وروضة لحسن والبهاء, صاحبة الجمال التى فاقت به الأتراب, وصادت به أرباب العقول والأبصار, وتحيّر لمشاهدتها النجباء والعظماء بقوله:

15. إذا نطقت في دياجير ليل * ترى النور يخرج مـــــن قولها
16. تبسمها يا له من صفاء * فرائحة المسك مـــــن فمها
17. وإن نظرتني بطرف كحيل * يـــــرقّص قلبـــــــي طـــــربًا لهـــــا
18. إذا ما مشت ستراها غزلاً * وإن وقفت لا مثيـــــــلا لهـــــا

فتاة, إذا تحدثت بليل غاسق, ترى نبت الدرّ من فمها, والكوكب الدريّ يخرج من ثناياها, يكاد ضوؤه يذهب بالأبصار, وكلماتها تقوم مقام الماء العذب, تسقي الغليل, وتشفي العليل.

---

[1]- ومن ذلك قول شاعر آخر:
فيا أبتي إن كنت حيًّا تريدني * وترجو حياتي بينكن أقيم
فجُدني بليلى واصطفيني بقربها * أسيرلها زوجًا وأنت سليم
راجع: ديوان مجنون ليلى, لمرجع السابق. ص:74

ومتى ما تبسّمت, ترى البدر يضئ تحت نقابها, والنور الصافي يتلألأ في فمها, والبرق اللامع يخرج من ثغرها, ورائحة المسك والعنبر يفوح من فمها.

هل البدر إلا ما حواه لثامها * أو الصبح إلا ما جلاه ابتسامها[1]

وإذا نظرت إليك بطرفها الكحيل, ذي حاجبين دقيقتين, ترى نورًا ساطعًا, وبرقًا لامعًا, يستضيئ به نواظر العقلاء, ويصغي إليه أذهان المفكّرين, ويرقّص قلوب المحبّين, ويمرّض جسد العاشقين, ويفوّض بهم إلى الجنون, ويدني أهل المنى من الموت!

فهي مستوية في قامتها, معتدلة في مشيتها, مقتصدة في خطاها, لا مترسلة ولا متبطئة, تحاكيها الغزالة في حركاتها, وسكاناتها, بهرت العالم في ذهابها ومجيئها, وفقدت مثيلاً في وقوفها, وحسن قدها. [2]

ثم استمرّ الشاعر البارع قائلاً:-

19. هى السبب في جرح قلبي لكن * دواء الجراح علـــــــى قلبهـا
20. أقول ونفسي يرجـــــي رضاهـــــــا * ودمعي يسيل على حبّهـا
21. إذا نلتُ منها الرضى كل شيء * يسير, فكل علـــــى قولـها

أحقًّا أيها الأديب, أن الحبّ يجرح القلب, ويمرّض الجسد, ويورث الأسى والأسف, ويجلب الوسواس والأرق؟؟!

فالشاعر الأديب؛ يجيب إجابة إيجابية, ويقول نعم بكل تأكيد, فعشيقته هي السبب في جراحه وأمراضه, وهى الباب الرئيسي في

---

[1]- راجع: أحمد الهاشمي, سلطان الغرام, المرجع السابق. ص:103

[2]- وما أحسن قول شاعر آخر:

يقولون الصفها, فأنت بوصفها * خبير أجل عندي بأوصافها علم

صفاء ولاماء, ولطف بلا هـــــوا * ونور ولا نـــــار وروح ولا جســـم

محاسن تهدي المادحين لوصفها * فيحسن فيها منهم النثر والنظم

فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحيًا * ومن لم يمت سكرًا بها فاته الحزم

راجع: عمر بن علي ابن الفارض, ديوان ابن الفارض, المرجع السابق. ص:194-195

أحزانه وآلامه, وهي نفس نعمته وعذابه, لو تكرّمت لقدّمت الدواء الشافي, لهذا العليل العاني!

وهكذا كان الشاعر يظن أن الحبّ أمر سهل, فلاقي في سبيل ذلك ما لا يتصوّره العقل, ولا يكاد أن يصدّقه إنسان, فضلاً من أن يؤمن به!

ومع كلّ ما يعانيه من جراح عميقة, وما يكابده من الأحزان وضيق المعيشة, بسبب إعراضها عنه, فنفسه متعلقة بها, فقلبه لا يفارقها, ودمعه يجري على خدّيه مدرارًا شوقًا لها, وما زال يسليها, ويرجو موافقتها, ويطلب رضاها, ويغفل عمّا جنت عليه يداها, كأن إساءتها عليه إحسان تولّتها. ولله در القائل:

وإذا الحبيب أتـــى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع[1]

فرضاها له هو غاية كل شيء, مهما كلّفه ذلك من الثمن الغالي, فإذا تحقق ذلك فكل ما يأتي بعده لا يبالي, فليكن ما يكون بعد الفوز برضاها, وليحدث ما يحدث بعد أن ملكها وما ملكت يداها!

ثم عاد الشاعر, ليجدّد حبّه وشوقه, ويوضّح لها غاية مراده بها.

22. فهذي القصيدة في حبّ بِنْتَ * حبيبك حافظ قد قالها
23. "مـــرادي زواجـــــــك" ذا اسمها *
فعولن فعولن وذا وزنهـــا

فالشاعر, ما قال هذه القصيدة, في حق هذه الفتاة, إلاّ لأجل حبّها الذي تمكّن في أحشائه, حتى فاض في أعماق قلبه, وأن حبّه لها ليس كحبّ بعض العاشقين لمن يعشقون, الذين ليس لهم في عشقهم همّ ولا وطر, سوى قضاء حوائجهم في اللهو والمجنون! فحبّ الشاعر حبًّا عفيفًا, لا يريد به إلا الزواج, وإحياءً لسنة خير الأنام, صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ختم القصيدة, بحمد الله الذي خلقه وخلق له هذه الحبيبة, وجعل بينهما المودّة والمحبّة, ثم صلى وسلم على الحبيب الأول, سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, تبرّكًا وتيمّنًا, رجاء أن تتحسّن العلاقة بينه وبين حبيبته وتدوم!

---

[1]- راجع: عائض بن عبد الله القرني (الدكتور), مصارع العشاق. المرجع السابق. ص:179

24. ثناءً وحمدًا على خالقي * فخالـق بِنْتَ وربّ لهـــــا
25. صلاة وتسليماتان على * رسولي كذاك رسول لهـا

القصيدة السادسة: "على هل من مبلّغ الثقلين":

التعريف بالقصيدة وأبياتها:

وهذه القصيدة غزلية تحتوي على خمسة عشر بيتًا (15). قالها الشاعر حافظ ثروما كبر هذه القصيدة لما تزوج بالزوجة الثانية, وذلك بتاريخ 1990/4/11م.

دراسة القصيدة:

1. ألا هل من مبلّغ الثقلين طـــــرًّا * بأنـــــي قد بلغتُ إلى مـــــــرادي
2. مرادي توأمين من النساء * جمال العيش في الإثنين عندي

بدأ الشاعر هذه القصيدة, ببيان غاية ما وصل إليه من الفرح والسرور, متخيّلاً أن الناس لا يعرفون ما هو فيه من الغبطة والحبور, فأخذ يصرح وينادي بأعلى صوته؛ من منكم أرفع وأندى مني صوتًا, فيكون لي ناصرًا ومساعدًا ومبلغًا, يعلن على رؤوس الأشهاد, في معشر الجن والإنس, يأتي: قد بلغتُ إلى غايتي, وحصلت على مرادي, ونلتُ مناي ومقصودي, وتزوّجت بامرأتين اثنتين جميلتين حبيبتين, ما أجمل حياتي, وما أطيب عيشي, وما أحسن حالي!

ومن لم يتزوّج باثنتين؛ فلا يعرف حقيقة الحياة كيف يكون؛ ولم يتزوق حلاوة الزوجيّة كما ينبغي, وليس من الجدّ والحزم أن يعيش الإنسان بزوج واحدة, والأكيس هو الذي يرد الماء بالماء!

فمذهب الشاعر يخالف ما ذهب إليه بعض الأدباء, الذين يعتقدون توحيد الحبّ[1].

وإن بعض من يتبنّون هذه العقيدة في الحقيقة كاذبون.

قال رجل لامرأته: "قد أخذت قلبي, فلستُ أستحسن سواك! فقالت: إن لي أخنًا أحسن مني, وها هي خلفي. فالتفت الرجل, فقالت: يا كذاب! تدعي هوانا, وفيك فضل لسوانا!".[1]

---

[1]- كأمثال العباس بن الأحنف (هو أبو الفضل العباس الأحنف بن السود اليمانمي, الشاعر المشهور, جميع شعره في الغزل, لا يوجد في ديوانه مديح. وكال وفاته سنة193هـ وقيل: 192هـ.) في قوله:

يقولون لي واصل سواها لعلّها * تغار وإلا كان في ذاك ما يسلـــي
ووالله ما في القلب مثقال ذرّة * لأخرى سواها إن قلبي لفي سغل

راجع: محمود سامي البارودي, مختارات البارودي. المرجع السابق. ص:4/193-194

ثم شرع الشاعر في البيت الثالث إلى الخامس, في بيان إحدى كوراث التى حدثت له في حياته الزوجية؛ تزوّج فتاة على حبّ بينهما, لكن الحبّ في بعض الأوقات أحلام وآلام, يورث الأسف والأسى, ويجلب الندامة والحسرات, وتأتي الرياح تارة بما لا تشتهيه السفن! ولله در القائل:

فـــــــــالحبّ فيه هنـاة * مـوصولـــــة بهنـــــــاة

يعقبن طـــــــــورًا سرورًا * وتـــــــارة حســـــرات[2]

حاول الشاعر بقدر استطاعته على أن يكون لزوجه خير زوج- وخصوصًا كونها هى شريكة حياته الأولى وأم بعض أولاده- رقةً وعطفًا, وتسامحًا ومودةً! ولكن النساء خلق آخر, وطبيعتهن عجيب! يغلبن كلّ كريم, ويغلبن لئيم. وقديمًا قيل: "المرأة إن أحبتك آذتك, وإن أبغضتك خانتك".[3] ولتستمع إليه قائلاً:

3. تـزوّجت الرهينة في البدايـــــة * فضاق بنا الصدور مع الفؤاد
4. فهذا الأمـر أرغمنـى الطـلاق * بلا حبّ علـــــى كرهٍ شديـــــد
5. ففوّضت الأمـور على إلهـــــي * ولذت به علـــــى شر الأعـاد

لقد زاد الطين بلة, سعاية بعض الناس في الأمر, بمآمرات حاقدة, وإشاعات ماكرة, بقصد إشعال نار الفتنة بين الشاعر وزوجته, فقد تمّ مرادهم فعلاً, مما جعل الشاعر يطلّق حبيبته الأولى, على رغم أنفه! علمًا بأن" أبغض الحلال إلى الله الطلاق"[4] لكن الأمر بيد الله, إذا جاء مالا بدّ منه فمرحبًا. ففوّض أمره إلى الله,

---

[1]- راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء, المرجع السابق. ص:312/2

[2]- من شعر أبو نواس. راجع:محمد عبدالله خير الدين, 1000 طرفة وطرفة فيها الصدق والابتسامة. المرجع السابق: ص:708

[3]- راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. المرجع السابق.ص:320/2

[4]- رواه أبو داود ابن حاجة والحكم. راجع: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (أبو الفضل), بلوغ المرام من أدلة الأحكام دار الفكر 1422هـ- 2002م بيروت- لبنان. ص:19

ولاذبه مما أصابه, طالبًا منه أن يحفظه من شر الأعداء والحسّاد, وأن يعوّض الله له من تكون له خيرًا.

6. فزوجنى رقية بنت خـــــير * أبوها صـــــالح نعم الحميـــــد
7. فربّت إبنتي بلا سآمـــــة * ولا ملل علـــى سفه الوليـــد
8. وكانت لي وللأبناء عونا * جزاها الله من خلص الوداد
9. أيا أم لمصـــلح يـــــا رقيـــــة * وقاك الله من عمل الفساد
10. ويدخلك الإله جنان نعم * ويجمعنا معًا فـــــوق الوساد

وصدق الله في قوله:"ومن يتوكل على الله فهو حسبه"[1] وحينما صبر الشاعر واحتسب, وقدّم شكواه إلى مولاه, وفوّض أمره إليه وتوكّل عليه, عوّضه الله تبارك وتعالى بزوجة صالحة, من بيت صالح, نشأ أهله منذ نعومة أظفارهم على تقوى الله تعالى, والأخلاق الفاضلة, والآداب السامية, والعادات الطيبة, والصفات الجميلة, فكانت له ولأولاده خير عون, تشعر برغبة وحرص عميق, على مساعدته على القيام بالأعمال التى يحبها ويهتمّ بها, وتقوم بتربيّة أولاده على أحسن وجه, من غير ملل ولا سأمة.[2]

كان الشاعر يعترف بإحسان هذه الزوجة الجديدة إليه, وإلى أولاده على حد سواء, وأن حبها له كان حبًّا خالصًا لوجه الله تعالى, رضيت عن التنازل من كبرياء المرأة, وقدّمت اهتمامًا كبيرًا في خدمة البيت الزوجية, فنالت من زوجها صالح الدعوات, "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان".[3]

---

[1]- سورة الطلاق:3

[2]- كما يقول شاعر النيل:

الأم مدرسة إذا أعـــــددتها * أعددت شعبًا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهّده الحيا * بالـــــرأي أو رق أيّمـــا إيـــــراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى * شغلت مآثرها مدى الآفاق

راجع: حافظ إبراهيم (شاعر النيل), ديوان حافظ إبراهيم. المرجع السابق: ص:376

[3]- سورة الرحمان:60

ثم استمرّ الشاعر في عقيدة الإشراك في الحبّ وأن زوجة واحدة لا تكفي, ها هو ذا يقول:

11. فزادني الإله نكاح بِنْتَ * هى الأخرى تميل إلى الـوداد
12. معلّمة تفيء بكل خير * ترجّـــــي رحمـــــة يـــوم التنـــــاد

فكان من نتيجة صبره وتحمّله وتوكّله وتفويض الأمور إلى الله, في قضية زوجته السابقة المطلقة, بعد تزوّجه بتلك الصالحة- رقية- أن زاد الله له زوجة أخرى, ذات علم وأدب, لا تقلّ صلاحًا وإخلاصًا ومودّةً عن الأولى. أينما توجّهها تأت بخير.

"كان لجُحا زوجتان, وجلس معهما يتسامران, وطاب لهما أن يخرجاه, فسألتاه: أينا أحبّ إليك؟ قال: أنتما معًا حبيبتان إلى قلبي. قالتا: لا. إنك لا تستطيع أن تضحك منّا بهذه المراوغة, وأمامك هذه البركة, نخيّرك في إغراق إحدانا بها, فمن منا تلقي بها في الماء الآن؟

وحار في أمره, ثم التفت إلى الزوجة الأولى, وقال لها: أذكر أنّك تعلمت السباحة قديمًا يا عزيزتي"[1]

ورحم الله تعالى ابن زيدون الموحد في حبّه حيث يقول:

والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
أما هواك فلم نـعدل بمنهله * شـــــرابًا وإن كـــــان يـــرويـنا فيظمين[2]ا

وفي الأبيات الختامية, يقرّ الشاعر على إصراره في عدم اعتناق عقيدة التوحيد في الحبّ, قائلاً:

13. مـــــرادي ثم لا أرجـــــو مـــــزيدا * وهذا مـــا يبـــــوح به فـــــؤادي
14. لـــــــعل مشيئـــة تسطـــــو علـــــيّ * تحوّلني إلـــــــى عكس المـــــــراد

---

[1]- راجع: محمد عبد الله خير الدين, 1000 طرفة وطرفة فيها الصدق والإبتسامة المرجع السابق. ص:191

[2]- راجع: المرجع السابق نفسه. ص:1110

15. إلـــــى ربّـــــي أفوّض كلّ أمـــــر * فَجُدْ يا ربّ بالأمر السديد

كان غاية ما يريده الشاعر أن يتزوج باثنتين, بدون زيادة ولا نقصان, فطيب العيش, وهدوء البال, واطمئنان القلب, وراحة النفس, في الزواج بامرأتين في رأى الشاعر, "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"[1]

فلا يوافق الشاعر مع قصة الأعرابي, ولا يرى فيها صوابًا, "قيل لأعربي: من لم يتزوّج امرأتين لم يذق لذة العيش. فتزوّج بامرأتين, فأتعبتاه من كثرة الغيرة, والخصام والشجار".[2]

فالشاعر لا يريد أن يتزوّج بأكثر من امرأتين في حياته, وإن كان الأمر بيد الله, يفعل ما يشاء, ويحكم ما يريد, فإن قدّر الله تعالى له الزواج بأكثر من اثنتين, فذلك أمر من الله, فلا رادّ لقضائه, فيفوّض أمره إليه تعالى." عسى أن تكرهو شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئًا وهو شرلكم, والله يعلم وأنتم لا تعلمون"[3].

وهكذا ختم الشاعر قصيدته, بتفويض أمره إلى الله تعالى, في شأن حياته الزوجيّة, رجاء أن يبارك الله فيها قائلاً:

---

[1]- سورة النساء:3

[2]- فقال يصف ما جرى له منهما وهو حزين:

تـــــزوّجت اثنتين لفـــــرط جهلـــــي * بمـــــا يـــشقـــــى بـــــه زوج اثنتيـــــن

فقلت أصيـــــر بينهمـــا خـــــروفـــا * أنـــــعّم بيـــــن أكـــــرم نـــــعجتيـــــن

فصرت كنعجة تضحـي وتمســـــي * تـــــداول بـــيـــــن أخـــــبث ذئـــــبتيـــــن

رضى هذي يهيّج سخط هذي * فما أعـــرى مـــن احدى السخطتين

وألقى في المعيشة كل ضـــــر * كـــــذاك الضـــــر بيـــــن الضرتيـــــن

لهـــــذي ليلـــــة ولتـــلك أخـــــرى * عتـــــاب دائـــــم في الليـــــلتيـــــن

فـــــإن أحببت أن تبقى كـــــريمًا * مـــــن الخيـــــرات ممـــــلوء الـــــيديـــــن

فعش عزبًـا فـــــإن لم تستطعـــــه * فضربًـــــا في عراض الجـــــحفليـــــن

راجع: محمد صديق المنشاوي, فن التعامل بين الزوجين, دار الفضيلة- القاهرة (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع) ص:76

[3]- سورة البقرة:216

إلـــــى ربـــــــي أفوّض كل أمـــــــــر * فجد يـــــا رب بالأمر السديد

القصيدة السابعة هذه ورقتي:

التعريف بالقصيدة:

قال الشاعر حافظ ثروما كبر هذه القصيدة لزوجته الثالثة, بِنْتَ محمد عثمان بتاريخ 2000/4/2م. وهي قصيدة غزلية تحتوي على ستة عشر بيتًا (16).

دراسة القصيدة:

فتح الشاعر هذه القصيدة- بأسلوب رائع وجميل- بكتابة رسالة حبّ وغرام إلى حبيبته, معتبرًا نسخة هذه الرسالة عنده كشخصية المحبوبة أمامه, لها منزلة رفيعة, ودرجة عالية, ومكانة سامية, ومقام مرموق.

وكلّما نظر إلى الرسالة, أو أعاد قراءتها, ذاق لذةً وحنينًا, وزادته سعادة وسرورًا, يشعر كأنه بجانب هذه الحبيبة, يسامران ويتحدثان حديث الفتى مع الفتيات.

1. هـــــذه ورقتـــــــى كـــــــإسم ســـــــارة *
   إنهـــــا دائـما تـــــزيـــد ســـــــرورى
2. تظهر الحق عن مقامـــــي لديـــــك * كلّ ما قلتُ
   ليس خدعا وزورا
3. بغيتـــــــي حيـــــن تقرئين كتابـــــي *
   إلـــــزمي في الدعـــــاء ليل نهـــــارا
4. إنمـــــا أمـــــرنا بـــــعونـــــك ربـــــي *
   عـــن قريـــــب يتـــم يـــا مفخـــــورا

فكأن الشاعر الأديب, يرسم لنا صورة عشيقته في الرسالة, كلّما نظر إليها هيّجه الشوق والغرام, وتغمّده الفرح والسرور, وأخذته البهجة والبهاء! [1]

إنها رسالة فيها الحق والصدق, تحمل في طيّانها الأمانة والوفاء, وتظهر الحقائق كالشمس في كبد السماء! توضح لكِ غاية

---

[1]- كما يقول شاعر آخر:

خططتُ مثالها وجلستُ أشكو * إليها ما لقيتُ على انتحاب
كأنـــــي عندها أشكو همـــــوي * إليها والشكـــــاه على التـــــراب

راجع: محمد صديق المنشاوي, فن التعامل بين الزوجين, دار الفضيلة- القاهرة (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع) ص325

بغيتي, وحقيقة مرادي, ومقامكِ عندي, وموقفك في نفسي, ومنزلتكِ في ضميري, وحبّك الذي تغلغل في أعماق قلبي! لله در القائل:

شهدتُ بأني لم أخل عن مودة * وإنّي بكم لو تعلمين ضنين
وأن فؤادي لا يلين إلـــى هوى * ســـواك وإن قالوا بلى سيلين[1]

وكلّما أرجوه منك وأتمنّاه, عندما يأتيك كتابي هذا, فاقرئيه قراءةً صادقةً, مؤمنةً بما جاء فيه, راضية بما حواه, مسلّمةً بفحواه, شكلاً ومضمونًا, مبتهلةً إلى الله بالدعاء, آناء اليل وأطراف النهار؛ أن يديم المودّة فيما بيننا, ويجمع شملنا, ويقدّر الزواج بيننا, ويسعد حياتنا, ويرزقنا ذرية طيبة, ويجعلنا غدًا "في مقعد صدق عند مليك مقتدر"[2]

فبفضل الله تعالى ورحمته, وبتوفيقه وإحسانه وبعونه ونصرته, سيتمّ زواجنا عن قريب, فيومئذ يفرح العروسان بفضل الله, ويغمرهما السعادة, وتسري في مفاصلهما لذة بالغة الكمال, وتعمّ قلوبهما سرورٌ وحبورٌ.[3]

ثم استمرّ الشاعر الأديب قائلا:-

5. لا أرى فـــــي ذه الدنية بكـــــرًا * قـــد تـــدانيـــــك صفة ووقـــــارا
6. أنت حـــــورٌ قد تفوقين حـــــورًا * ما تـــــغاليت قلت ذاك مـــــرارا
7. أو ليس الإلـــه ضاعـــف أجـــرًا *للمصليـــن والـــبيتيـــن ذكـــرًا
8. صائمات وصائميـــن ولـــيس * الأجر فـــي ذاك يـــدرك حـــورًا
9. ليس حـــور سوى خليقة ربـــي * في جنان وليس من طال أجـــرًا

---

[1]- راجع: ديوان مجنون ليلى, المرجع السابق. ص:114

[2]- سورة القمر:55

[3]- كما يقول شاعر آخر:

يقول أبي يا قيس عندي خلافها * وأكـــثر منها بهـــجة ونعيـــم
فيا أبتـــي إن كنت حيًّا تريدنـــي * وترجو حياتـــي بينكن أقيم
فجدلي بليلى واصطنعني بقربها * أسيرلها زوجًـــا وأنت ســـليم

راجع: ديوان مجنون ليلى, المرجع السابق. ص:74

هنا يوضّح لنا الشاعر ؛ ما وهب الله تعالى لحبيبته, من الحسن والجمال, ومن البهجة والكمال, حتى أصبحت عنده فريدة عصرها, ووحيدة دهرها, زينة الحياة الدنيا, كعبة الناظرين, قرة عيون العاشقين!

وكيف لا! وقد شبهها الشاعر بالحور تشبيهًا بليغًا, بل يرى أن الحور لا تدانيها, بهجة وجمالاً, ورفعة ومكانة؛ فالحور تتشرف بحسن الخلق, وهى تزيد عليهن بشرف عبوديتها لأحسن الخالقين, فجمع الله لها صفات الكمال, ووهب لها ما وهب من الفضل بين الأنام, ورفع منزلتها بين حور مقصورات في الخيام!

فمن كانت هذه أحوالها وصفاتها, فلا أحتاج إلى غيرها, ولا أبغي عنها بديلاً, ولا أميل إلاّ إلى هواها, ولا أذكر إلا اسمها, ولا أستريح عن التفكير عنها! فقد أحسن من قال:

يا أكمل الناس من قرن ومن قدم * وأحس الناس ذا ثوب وعريانا

ولا أرى مثلكم في الناس من بشر * فقد رأيتُ بـــــه حيًّا ونسوانـــــا[1]

يبدو أن هناك تساؤلات من قبل عشيقة الشاعر, بعد أن صاد قلبها, ووقعت في شبكته, وملك قلبها وقالبها, فإذا هى واقفة أمامه, متضرّعة سائلة: لقد طال العهد بنا, فمتى يتمّ الزفاف يا حبيبي؟!

فأجابها الشاعر قائلاً:

10. سيكون الـــــزفاف إن شاء ربـــــي * أقصى الحد كان خمسة شهرا
11. أعنـــــي ذاك بـــــعد عيد صيـــــام * قد دعوت الإله ربًّـــا غفـــــورا
12. فإن لـــــم يكن مـــــن الله عـــــون * ساء حالـــــي وويـــلتاي كثيـــــرا

وهكذا أجابها الحبيب العاشق, بكلّ ابتهال إلى الله تعالى داعيًا؛ أن يفتح له أبواب الخيرات, وأن لا يجاوز العقد خمسة أشهر, أليس الموعد بقريب-؟! ومن حسن حظنا؛ أن هذا الموعد سيكون بعد

---

[1]- راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء, المرجع السابق. ص:113-114

رمضان, حيث لا صيام ولا قيام, نأكل ما لدّ وطاب في كلّ حين, ويكون ذلك من تمام سعادة الزوجيّة!

أما إذا لم يتمّ الأمر كما نريد- لا قدّر الله – أكون حتمًا في حالة سيئة, وموقف حرج, وحياة ضنكًا, أخسر عمري, وأفقد نومي, وأسهر ليلي, وتلازمني كربات وأحزان, وأسقام وآلام! ورحم الله بشار بن برد[1] في قوله:

هـــــام قلبـــــي بـــــاللوانـــــي *
هـــــن دائـــــي وشقائـــــي
لا أطيـــــع الـــــناس فيهـــــا *
أبـــــدًا حتـــــى الممـــــات
ذاهـــــب اللـــــبّ إليهـــــا *
مـــــعلنـــــا بـــــالـــــزفـــــرات

ثم أخذ الشاعر الأديب في الأبيات الختامية, يعلل أسباب شقاوته وخسارته, وسوء حاله وبلائه, إن لم يتزوّج بمحبوبته, وفريدة حياته, الفائزة بجائزة الحسن والجمال, الجامعة بصفات الحمد والكمال, ولنستمع إليه قائلاً:

13. سال في العرق حبّها وتسرى * في عظامي فشدّ في ذاك أمـرا
14. وجرى في دمي فداخل مخي * وأغـــــار العقـول والأفكـــــارا
15. فبقى الجسد جثّة دون روح * إنما الـــــروح نحو حبك طـــارا
16. إن وعدي فيما حوته كتابي * كـلـه قـــاصد وليـس غـــــرورا

وهكذا أصبح هذا الأديب محبًّا حائرًا, وغريقًا في بحر حبه ساكرًا, يرفع صوته صارخًا, يا حبيبة قلبي, ويا خلاصة عدّتي, ويا مناي في حياتي, ويا غاية مرادي وسروري! أن تنقذيني من الهلاك!

فحبك يجري في جسدي مجرى الدم, بل هو مخلوط بدمائي, سائل في عرقي, داخل في عظامي, متغلغل في مخّي, وقد صار

---

[1]- راجع: الراغب الأصفهاني, محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء, المرجع السابق نفسه. ص:565 - 567

مني وصرت منه لحمًا ودمًا, أتنفسّ بأنفاسه, وأتحرك بحركاته, وأسكن بسكناته! فما أجمل قول شاعر آخر:

صدعتُ القلبَ ثم ذرتُ فيه * هواكِ فَلِيمَ فالتأم الفطور

تغلغل حيث لم يبلغ شراب * ولا حزن ولم يبلغ سـرور[1]

هكذا أغار الحبّ عقله وفكره, وانتصر عليه حتى صيّره أسيرًا, واستعبده حتى أصبح جسدًا بلا روح, وصار روحه بين اصبعين من أصابع حبيبته, تقلّبه كيف تشاء؛ والفكر فكرها, والرأي رأيها, والقول قولها![2]

ثم يعود ويذكرها مرة أخرى؛ بأن جميع ما ذكره في الرسالة, إنما هو نابع من صميم قلبه, وهو غاية قصده ومراده, هو لا يكذب ولا يعرف الغرور في حياته!

إنما أمرنا بعونك ربي *
عن قريب يتم يا مفخورا

---

[1]- راجع: ديوان قيس بن دريح. المرجع السابق.ص:81

[2]- كما يقول شاعر آخر:

وإن قلتُ ردّي بعض عقلي أعش به * مع الناس قالت: ذاك منك بعيد

من شعر جميل بن معمر, راجع: ديوان مجنون ليلى, المرجع السابق, ص:46

الفصل الرابع: التجربة الشعريّة وقيمتها عند الشاعر.

المبحث الأول: الشاعر وتجربته الشعريّة

كان الشاعر حافظ ثروما كبر ذا تجربة شعرية عجيبة, والدارس لقصائده الغزليّة, يلاحظ أنها مملوءة بالخصائص الفنيّة والنواحي الأدبيّة, ومن الجدير بالذكر أنه كان يجعل عنوان قصائده بما يلائم الغرض ويدل عليه, فعناوين قصائده تنبئ بمعانيها وتدل على مطاويها. ويمكن ملاحظة ذلك من ثنايا تلك القصائد:

كانت قصائد الشاعر تناسب عنوانها, ففي قصيدته الثالثة- حسب ترتيب الباحث- التي سماها: "الروض العاشق". واعتبرها روضة من رياض العاشقين, "والروضة الموضع المعجب بالزهور".[1] وهو اسم لمكان مخصوص منعّم في الجنّة, فالكل يتمنّى أن يعيش فيها ويتمتّع بلذّاتها.

فالشاعر يتمنّى أن يعيش مع معشوقته طول الحياة في متعة وسرور, فكانت القرينة واضحة؛ بين حياة الشاعر مع معشوقته, وحياة الإنسان في روضة من رياض الجنة, وجاءت القصيدة تحمل في طيّاتها معنًى لعنوانها شكلاً ومضمونًا! ويقول فيها:

حبّذا العيش كلُّه في وداد * وحديث الفتى مع الفتيات

ذقتُ حلوًا أتى به شدّة الشو * ق ضحاءً وفي الدّجى وغداة

لا حياة بدون شوق وحبّ * كيف طال الحياة من سنوات

ولما كانت قصيدته الثانية تدور حول النصيحة لمحبوبته, "روضة النصائح". استهلّها بإخلاص النصيحة لمحبوبته, ودعاها إلى التفكّر في اختيار شريك حياتها, والتمييز بين الغنيّ العاري عن الأخلاق الفاضلة, والفقير المتديّن صاحب الخلق العظيم. ونبّهنا قائلاً:

فكم رأينا خبيث الخلق ذات غنى * وربّما كان في أنسابه بتر

---

[1]- راجع: أحمد بن محمد بن علي, المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. الحاسوب الآلي: 13/4

فناسبت القصيدة عنوانها, وأدت غرضها, ونبّأت عن معانيها, ودلت على مطاويها. والمتتبّع لقصائد هذا الشاعر, يدرك جليًّا أنها تتمشّى على نحو هذا المنوال.

كان الشاعر حافظ ثروما في تجربته الشعريّة, يستدرج في أبيات قصائده ويحسن ترتيبها, بغية تقريب معشوقته إليه, والتلطّف لها, ليسهل عليه صيدها. كما يظهر ذلك جليّا في قصيدته التي قالها عن مخطوبته هاجر بنت سليمان ياكسي, التى استهلّها ببيان ما وصل إليه من الشغف, في حبها الذي لا يعرف سبيله ولا مأتاه, ثم أخذ في إخبارها؛ بأن هذا الحبّ قد دخل صميم قلبه حتى أسقمه, وبعد ذلك أنبأها أنه قد أصبح على شفاحفرة من الهلاك, إن لم تتداركه بإجابة طلبه ويكون لها زوجًا! وفي ذالك يقول:

شُغفتُ بحبّ هاجر حبّ صدق * ولم أعلم بأن الحبّ داء

وداء الحبّ ليس له دواء * ألا والله آخره اللقاء

فقلبي لا يزال على هواك * متى يا هاجر يأتي الشفاء

أجيبي وانقذيني من هلاك * لعمرك إن أجبت شفا البلاء

وهكذ تجد الشاعر يتدرّج في عرض قصائده على أحسن وجه, منتظمة في حلقات متسلسلة, للوصول إلى غايته ومرماه.

كان هذا الأديب حافظ ثروما كَبَرَ متنبها إلى حالة المخاطب النفسية في هذه التجربة؛ خبيرًا بأحوال النساء, وما تكِنّ به صدورهن, يعرف أماكن ضعفهنّ تمامًا, وكان له من المهارة في معرفة مايحمدن من الصفات وما يستقبحن ويستعمل شبكته السحّارة في صيد قلوبهنّ.

وخير مثال لذلك: قصيدته التى قالها, عن زوجته الثالثة؛ سارة بنت محمد عثمان, وأرسلها إليها, زاعمًا: أنه كلّما أعاد قراءة هذه الرسالة أخذه الطرب, وأحاط به الفرح والسرور, وشعر كأنها ممثّلة أمامه. وما زال يتسلّل إلى أعماق قلبها بكلماته المعسولة, حتى وصل إلى مقتلها, حيث استطاع أن يريها أنها قد أصبحت عديمة المثلى في هذه المعمورة, بل حتى في الجنّة تفوق الحور حسنًا

وكمالاً, فقد أصبح مقتولاً بحبّها, فالويل كلّ الويل له إن لم تكن شريكة لحياته!

لا أرى في ذه الدنية بكـــــرًا * قـــــــــــد تـــــدانيك صفة ووقـــــارًا

أنت حور وقد تفوقين حـــورًا * ما تغاليت قلت ذاك مرارًا

كان الشاعر الأديب يراعي مقام حبيبته, ويخاطبها بما يناسب قدرها ومقامها, وتظهر البراعة الفائقة, في قصائده الغزليّة؛ في مراعاة الزمن المناسب, والمقام اللائق, والكلمات المثيرة, في تبليغ رسائله الغزليّة, لأن لكل زمان كلامًا, كما أن لكل مكان مقالاً, كما يقال, ولا يتساهل عن هذا ولا ذاك, كي لا تفوت الفائدة, وتنعدم المنفعة.

ألا ترى أنه في قصيدته التى سمّاها: "الداء عند الحبيب". كيف استطاع أن ينتهز فرصة ذهبيّة, ليحيط بمعشوقته علمًا, بأن عينيه لا تكفّ عن البكاء عند ذكرها شوقًا وغرامًا, وأن سهمها قد أصابه وتركه مغشيًّا سقيمًا, كما استطاع أن يستغلّ مقام المرأة في حبّها السيطرة على الرّجل- وخصوصًا الزوج, فإذا هو يبوح لها بكل صراحة؛ أنه أصبح تحت سيطرتها, تفعل به ما تشاء, وليس في مقدوره أن يخالفها قولاً ولا رأيًا, فقد استعمل هذه الكلمات المعسولة, والألفاظ المثيرة, والعبارات الرائعة, ليثير عاطفتها, ويحرّك وجدانها, لمعرفته بمقام هذه الكلمات والعبارات في نفسية المرأة, علّها تنقاد إليه ويملك زمام أمرها.

يقول ذالك في كلماته المعسولة في هذا الجانب:

بكت عيناي مـــــرات عديـــدة * لذكرك بِتُّ شوقًا أو غرامًا

ملـــيكة حـــــافظ حسًّا ومعنًـــا *

وربـــك لا أخالفك الـــزمامًـــا

رمت قلبي بسهم الحب حتى * جرحتُ وبتُّ مغشيًّا سقيمًا

اختيار الكلمة الملائمة من ناحية الذوق الأدبي:

فالأديب الماهر هو الذي يحاول إستيعاب الفنّ الأدبي, ليقنع غيره بأفكار طارئة في أعماله, وعلى هذا يعمد الشاعر إلى اختيار

الكلمات التى تلائم قصيدته من حيث رضاه, وما يهيج سخطه وغضبه, أو ما يجعله يستعطف غيره, فكأنه يخاطب العقل ويناجي الفكر "ولا بد له أن يعني باختبار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها, خالية من الاشتراك, وتؤلف هذه الألفاظ في سهولة وجلاء, حتى تكون ثوبا شافا للمعنى المقصود, وحتى لا تصح مثارا للظنون, ومجالا للتوجيه والتاويل"[1]

إن من المفردات ما تكون شائعة في عصر من العصور, ثم تهجر أو يقل استعمالها, ولا شك أننا إذا أردنا أن نفهم أدب عصرنا, فلا بد أن نعرف معجم ذلك العصر, فلا نحكم بالغرابة على مفردات الشعر الجاهلي مثلا اعتمادا على
مقاييس عصرنا الحاضر على أن الواحد يعرف درجات من الغرابة في المفردات وهو ما يسمى: السهولة والصعوبة.

وقد نبهنا الله تعالى على مكان اختيار الكلمة المناسبة من أدب الحديث, وذلك حيث يقول *"يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا"*.[2]

فكلمة راعنا مأخوذة من مادة الرعاية والراعي, ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: *"كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئول عن رعيّته"*[3]. ومعناها: احفظنا وارقبنا. ولكن الله استبدلها بكلمة: وأنظرنا. " عند اليهود في العبرانية والسريانية كلمة راعنا ومعناها: الرعونة". "والجمهور على أن راعنا أمر من المراعاه؛ وهى النظر في مصالح الإنسان وتدبّر أموره"[4].

وكانت هذه الكلمة شيئًا قبيحًا بلغة اليهود, "وإذا أرادوا أن يمحقوا إنسانًا قالوا: راعنا. بمعنى: يا أحمق"[5]. يقولونها على وجه الاستهزاء والمسبّة, فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم. وأمرهم أن يختاروا للتخاطب من الألفاظ أحسنها, ومن المعاني أرقّها.

---

[1]- راجع: علي الجارم والآخرون: البلاغة الواضحة, للمدارس الثانوية, الطبعة العاشرة, دار الفكر- القاهرة. ص:8

[2]- سورة البقرة: 104

[3]- رواه المسم.

[4]- محمد متولي الشعراوي, تفسير الشعروي من الحاسب الآلي, ص: 196/1

[5]- الحسن بن مسعود البغوي (أبو محمد), معالم التنزيل (تفسير البغوي), الطبعة الرابعة 1417هـ 1997م دار الطيبة للنشر والتوزيع, ص:132/1.

وهكذا نجد كلمتين في كلام العرب, تكونان مستعملين بمعنى واحد, فتأتي الكراهة أو الاستنكار أو عدم الملائمة, باستعمال إحداهما في مكان أو مقام أو زمان, واختيار الأخرى عليها في مثل هذه الحالة عند التخاطب. كما في كلمة راعنا, وكلمة أنظرنا اللتان تفيدان معنًا واحدًا, وتزيد كلمة راعنا بأن لها نظير في لغة اليهود, التي تعني الإساءة.

ومثل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: *"ولا تقولوا عبدي, ولكن قولوا: فتاي "* [1].

ومصادر اللغة العربية غنيّة بأمثال هذه الكلمات, والأديب البليغ؛ يمكنه التمييز واختيار الملائم والأنسب لكل زمان ومكان, ليأثّر في حرفته عند التعبير في نفوس المستمعين.

وتطبيقًا لما سلف من البيان, إذا نظرنا إلى هذه القصائد, والعصر الذي نظمها ورتبها صاحبها- في العقد الأخير من القرن العشرين وثقافة ذلك العصر, ندرك جليًّا؛ أن هذا الشاعر, قد اختار من الكلمات أنسبها, ومن الألفاظ أسهلها, فخذ على سبيل المثال البيت السادس عشرة في قصيدته الأول "إلى المخطوبة". كيف أحسن الشاعر اختيار كلمة (القوم) لتكون ضدّ كلمة النساء, بدلاً من استعمال كلمة (الرجال), حيث يقول:

وكنت لما سمعت أشكّ شيئًا * أقـــــــــــــوم مـــــــانعوه أم النســـــاء

فكلمة القوم في اللغة: اسم يقع على جماعة من الرجال؛ وفي نفس الوقت لها دلالة على القيام بالأمور على أحسن وجه؛ *"الرجال قوّامون على النساء"* [2] ولا يقع هذا الاسم على النساء والأطفال, وبه نطق القرآن: *"يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم, ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرًا منهنّ"* .[3] *فلو كانت النساء من القوم لم يقل: "ولا نساء من نساء"* .

---

[1]- رواه البخاري ومسلم

[2]- سورة النساء: 34

[3]- سورة الحجرات:11

وجاء في الحديث: "إن نسَّاني الشيطان شيئًا من صلاتي, فليسبِّح القوم, وليصفق النساء".[1]

وعلى هذا جاء قول زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي:

ولا أدري وسوف أخال أدري* أقـــــــــوم آلـــــــــ حصن أم نســـــــاء[2]

وقال ابن أثير: "القوم في الأصل: مصدر قام, فوصف به, ثم غلب على الرجال دون النساء, ولذلك قابلهن به. وسمّوا بذلك لأنهم قوّامون على النساء, بالأمور التى ليس للنساء أن يقمن بها"[3]

لما كان حق القوامة في تزويج البنات وتدبير أمورهنّ, كان متعلّقًا على أعناق الرجال, كان المترقب أن يكون الوليّ رجلَ الوفاء, وقويًّا في تنفيذ العهود, فالمرأة يغلب عليها عدم الالتزام, لكونها سريعة الانفعال, وقلّما تثبت على حال, وخصوصًا فيما يتعلق بالبيوت الزوجية.

وكان جديرًا للشاعر, أن يستغرب الأخبار التي تأتيه بنقض العهود. ويستخبر عن وجهة التي صدرت, وأن يستعمل كلمة القوم في استفهامه, لملائمتها وحسن إيقائها في هذا المقام, ولما فيها من الدلالات التى لا يكون في غيرها في هذه المناسبة!

ثم انظر كيف اختار الشاعر كلمة (الوعد) في البيت الأخير, من قصيدته التى سمّاها: "هذه ورقتي", رافضًا استعمال كلمة العهد أو الميثاق عند قوله:

إن وعدي بما حـــــــوته كتابـــــــي * كـــــــــلّه قـــــــاصد وليس غـــــــــرورًا

لأن العهد ما كان بين اثنين, وأنه يكون بشرط, كما في قوله تعالى: *"ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا"*[4]. أي

---

[1]- راجع: محمد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير), النهاية في غريب الحديث والأثر, دار الفكر 1421هـ - 2000م, بيروت – لبنان. ص:124/4

[2]- راجع: يوسف بن سليمان بن عيسى (الأندلسى), أشعار الستة الجاهليين, الطبعة الأولى, 1402هـ - 1982م دار الفكر. بدون ذكر الدولة), ص:330

[3]- راجع: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير), النهاية في غريب الحديث والأثر, المرجع السابق, ص:124/4

[4]- سورة طه:115

"أنه لا يخرج من الجنة ما لم يأكل من الشجرة, بخلاف الوعد. ويقال: نقض العهد, وأخلف الوعد" [1].

أما الميثاق فتوكيد العهد, كما في قوله تعالى: *"وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا"* [2].

فاختيار الشاعر لكلمة الوعد واستعمالها في هذا المقام غاية في الروعة والملائمة, لأنه يعد معشوقته وعدًا من عنده, ولا يفرض عليها شروطًا, ولا يقيّدها بقيود, ولا يريد أن يرهقها من أمرها عسرًا, بل يترك الحبل على غاربها بلا حدود!

أما في قصيدته التى سمّاها: "الروضة النصائح", فقد اختار الشاعر كلمة التفكّر واستعملها في أول بيت منها, وليته اختار كلمة التدبر في مكانها, لكانت أنسب وأقوى دلالة في هذا المقام. لأن كلمة التفكّر تعني: "صرف القلب بالنظر في الدلائل, أما كلمة التدبّر تعني صرف القلب بالنظر بالعواقب". [3] فالشاعر في هذه القصيدة يدعو حبيبته إلى النظر في العواقب إن هي أساءت الاختيار في من يكون لها زوجًا, وليس يدعوها إلى النظر في الدلائل لمن يكون لها زوجًا, استمعوا إليه يقول:

تفكّري بِنْتَ في الأعمال آخرها * خذي بقوة صدق ما بدا الخير

أما في عجز البيت فقد أحسن اختيار كلمة القوة كما قوله تعالى: "خذ الكتاب بقوة" [4] حيث لم يستعمل كلمة الشدّة, لأن الشدّة ليست من قبيل القوة كما في قوله تعالى: *"أشد منهم قوة"* أي أقوى منهم" [5] فكانت الكلمة ملائمةً بالمكان والمقام.

في البيت الثاني من القصيدة التي سمّاها: "الداء عند الحبيب"استعمل كلمة: مليكة عند قوله:

مليكة حافظ حسًّا ومعنًا * وربك لا أخالفك الزماما

---

[1]- راجع:الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري), القطوف الشهيّة من الفروق اللغوية, الطبعة الأولى, 2007م دار الفضيلة – القاهرة. ص:20

[2]- سورة النساء:20

[3]- راجع:الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري), القطوف الشهيّة من الفروق اللغوية, المرجع السابق, ص:24

[4]- سورة مريم:12

[5]- راجع:الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري), القطوف الشهيّة من الفروق اللغوية, المرجع السابق, ص:32

يرى الباحث أن الشاعر قد أحسن اختيار هذه الكلمة في هذا المكان, ولو استعمل كلمة غيرها مثل: حبيبة, أو محبوبتة, يستقيم البيت ويؤدي المعنى المراد, ولكن استعماله لكلمة (المليكة) في هذا المكان أجمل وأليق لحسن إيقائها في هذا المقام, ولما فيها من دلالات السيطرة التى لا تكون في غيرها في هذه المناسبة.

ثم انظر كيف اختار الشاعر كلمة مشغوفًا في البيت الحادي عشر من هذه القصيدة نفسها عند قوله:

11. لأني كنت مشغوفًا بحبٍ * فشغف الحب ليس له لجاما

وهكذا استعمل الشاعر كلمة مشغوفًا في البيت السابق رافضًا استعمال أيّ كلمة غيرها, ككلمة: مشغولاً, أو مهمومًا, أو محزونًا, واستعماله لهذه الكلمة في هذا المقام, في غاية الروعة والملائمة, مما لا يوجد في غيرها من تلك الكلمات, لأن الشغف: " وهو أن يبلغ الحبّ شغفان القلب وهو جلدة دونه".[1]

وكما أنه يبتعد عند اختياره الكلمات الملائمة في قصائده الغزلية عن ذكر كلمات قبيحة, والألفاظ الخسيسة, التي تشين صاحبها وتحط من قدره؛ مثل ذكر نهد المرأةكما يحفظ لسانه عن التراكيب والعبارات النابية, ولا يأنس بها طبع المجتمع المحيط به, مثل ذكر قبلة عند لقاء المحبوبة ويستعمل ألفاظًا صائغًا, وعبارات نزيهة وتراكيب سليمة, المؤدي إلى معنى جليل, ومن ذلك قوله بالوصول بالمحبوبة:

فلما زرتُها يوم الخميس * رأيتُ الحبَّ كلّمني كلامًا

وهكذا كان الشاعر يتمشى مع الأدب الإسلامي الذي رفض القول بالفحشاء, وحثّ على عدم الجهر بالسوء من القول, كما جاءت أحاديث كثيرة, داعية إلى هجر الفواحش في الكلام, مثل قوله عليه السلام: *"ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذي"* [2]

---

[1]- راجع: عبد الملك بن إسمائيل الثعالبي (أبو منصور). فقه اللغة وأسرار العربية, دراسة وتحقيق: مجدي فتحي السيد, المكتبة التوفيقية, القاهر – مصر. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع). ص:133

[2]- رواه أبو داود

وكما نصح الأدباء بذلك في أشعارهم منها:[1]

عوّد لسانك قول الخير تحظ به * إن اللســـان لمـــا عـــــــوّدت معتـــــاد

موكّلٌ تبعًا فـــــي مـــا سننت لـــه * فـاختر لنفسـك فانظر كيف ترتاد

وهكذا استطاع الشاعر حافظ شروما كبر أن يختار من الألفاظ التى تليق بموضوع قصائده الغزلية, من حيث شوقه وغرامه, ومن حيث شغفه وحنينه, ليخاطب العقل, ويناجي الوجدان, فاختار للألفاظ مـن الأحـرف أحسـنها وأرقّهـا, ليكتسـب رشـاقة التـأليف. وهجـر الوحشـي والغريـب النـافر, وجـاءت الألفـاظ مألوفـة الاسـتعمال, وحروفها منسجمة, تؤدي غرضها بسهولة ويسر, ويكون معناها في ظاهر لفظها, خفيفة على اللسان, لذيذة على المسامع, وزد على ذلك كون الشاعر موفّقًا في استعمالها.

التركيب:

فقد جعل الشاعر اهتمامًا كبيرًا بتأليف تراكيبه في هذه القصائد الغزلية, وتجنب بذوقه الأدبي الحشو وفضول القول, وإدخال ألفاظ لا تفيد معنى في سياق الجمل, كي لا يُدخل إيهامًا في الكلام, وشرودًا في الذهن, فجاءت تراكيبه سهلة, كأنه يغرفها من البحر, ينالها كل من أدلى بدلوه في الدلاء, ويجنيها القائم والقاعد والمضطجع, وهى واضحة وضوح الشمس في كبد السماء, لا تعقيد فيها ولا غموض. ومن أمثال هذه العبارات قوله:

شغفت بحب هاجر. فإني قد صبرت على قضاء.

داء الحب ليس له دواء. ألستِ فريدة أدبًا وخلقًا؟

لها حور العيون. تركتِ حافظ لا تبالى!

متى يا هاجر يأتي الشفاء؟

وهكذا تجده يتشكّل بصور الخطاب المختلفة, بألفاظ سهلة, وتراكيب سليمة, ومعان واضحة, من الإخبار بحاله تارة, وإلى مدح عشيقته أخرى, ثم اللجوء إلى أسلوب الاستفهام, ثم العودة إلى

---

[1]- راجع: محمد كشاش (الدكتور), علل اللسان وأمراض اللغة, الطبعة الأولى, 1419هـ-1998م المكتبة المصرية, صيدا – بيروت. ص:146

العتاب اللطيف, ثم استعمال أسلوب الحث والتحريض, وأخيرًا التسليم للقضاء والقدر. ومن ذلك قوله:

شغفتُ بحبِّ هاجر حبَّ صدق * ولـــــم أعـــــلم بـــــأن الحـــــب داء

وداء الحـــــــبِّ لـــــيس لـــــــــه دواء *

ألا واللـــــــــه آخـــــــره اللقـــــــاء

لها حـــــور العيون وحسن خـــدّ * وبـــــيض السنّ والجيد الرعـــاء

فقلبـــــي لا يـــــزال على هـــــواك *

متـــــى يا هاجر يأتـي الشفاء

فكنت تركت حافظ لا تبالـى *

بـــــــعيشتـــــه ومـــــيتتـــــه ســـــواء

ألست فـــــريدة أدبًـــا وخلقًـــا * ألـــيس يقـــال أن لك الحيـــاء

فإني قد صبرت على قضاء * إلـــــى وقـــت يعمّمنـــي الرخـــاء

وبعودة إلى قصيده الرابعة (الداء عند الحبيب), يجد الباحث والقارئ ألفاظها وتراكيبها, لا تقلّ عن سابقتها روعة وجمالاً, وسهلولة وانسجامًا, ورشاقة ووضوحًا, واقرأ وتأمل تركيب هذه العبارات:

بكت عيناي. رأيتُ الحب كلمني.

رمت قلبي. عذاب الحبِّ في جسمي.

دواء الجرح. أحبّك غـــاية.

يا ترى! إنه من العجيب الرائع؛ استعمال الشاعر بذوقه الأدبي أسلوب الإخبار, في جميع أبيات القصيدة, من استهلالها حتى أبيات الدعوات الختاميّة, وجاء الشاعر بتراكيب وعبارات سليمة جذّابة, وتنوّع في معانيها, ببكائه عند ذكرى معشوقته تارة, وإخبارها بأنه صار من ممتلكاتها تارة أخرى, وأنها قد أصابته بسهمها, وهى الدواء الشافي, وقد بلغ في حبّها المنتهى, واستقرّ عذاب ذلك الحب في قلبه, وإن كان يكلّمه هذا الحب إذا زارها. ومن ذلك قوله:

بـــــكت عيناي مـــــرات عديـــدة *
لذكـــرك بِنْتَ شـــوقًا أو غـــــرامًا
مـــليكة حـــــافظ حسًّـــا ومعنًـــــا *
وربـــــك لا أخـــــالفك الـــــزمامًا
رمت قلبـــي بسهم الحب حتـــى * جـــــرحتُ وبـــــتُّ مغشيًّا سقيمًـــا
دواء الجـــرح ليس لـــــدى طبيب * وإن الطـــبّ يـــــزداد الهـــــمومًـــا
أحبّـــك غـــــاية أقصـــى الـــــوداد *
فـــلا مـــاء أحـــــــبّ ولا طعامًـــــا
عذاب الحبّ في جسمي وقلبي * دبيـــب النمـــل بـــــل حتـــى العظامًا
فـــــلما زرتهـــــا يـــــوم الخـــــميس *
رأيـــت الحبَّ كلمنـــــي كلامًـــا

انظر إلى القصيدة مرّة ثانية, حيث كانت الألفاظ تحمل المعاني القائمة, وعندما يردّد الباحث والقارئ هذه الأبيات مرّات عديدة, يشاهد ألفاظًا وتراكيبًا وتعبيرات وُضعت في أماكنها, تروقه وتؤنسه, لمناسبتها المقام, ولمطابقتها بمقتضى الحال.

الأفكار:

الكلام في حقيقته يدلّ على ما يقوم في النفس؛

إن الكلام ففي الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلاً[1]

والأصوات التى تخرج من فم الإنسان, تدل على ما يحول في خاطره, ويراوده فكره, ولهذا يُكشف عن طريقه؛ ما في قلب صاحبه من كمال أو نقصان, ويؤيد ذلك قول زهير بن أبي سلمي:

وكائن ترى من صامت لك مُعجبًا * زيادته أو نقصانه في التكلّم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[1]

---

[1]- راجع: ديوان الأخطل, باعتناء الأب أنطوان صالحاني اليسوعي, الطبعة الثانية, دار المشرق- بيروت (بدون ذكر التاريخ) ص:508

فكلام الإنسان يدل دلالة واضحة؛ على قدراته الذهنية, ومكانته الأقلية, وصحته الفكرية, لما بين اللغة والفكر من علاقة متينة, وترابط وثيق, حتى اعتمد علماء النفس؛ في تقرير حالة الانسان الأقليّة, على الأفكار التي تتضمّنه كلامه؛ وحتى قالوا: "كلام الأحمق أقوى دلالة على حمقه"[2].

وقديمًا كان الناس يستغربون, عند سماعهم كلام مجنون يجري على مقاييس البلاغة وقواعد اللغة, مثل استغرابهم إذا سمعوا العكس من مفكّر وأديب.

فالأفكار التي تحملها الألفاظ والتراكيب بمنزلة الأشخاص, فإذا كانت الألفاظ تحمل أفكارًا واضحة, وآراءً سديدة, ومعنًى رائعة, اكتسبت مهابة وجلالة ووقارًا, وإن كانت عارية عن هذه المعاني, لبست ثوب الذلّ والمهانة. ولسبب هذا الترابط الوثيق, جعلوا الفصاحة والبلاغة في الكلمة والكلام والمتكلّم؛ "إن أيّ خلل يطرأ على اللسان ينعكس على الإنسان فكرًا"[3]

وما من قصيدة أدبيّة, تكتب وتنشد في غرض من الأغراض, إلا وهي تحمل في طيّاتها أفكارًا, يقوم عليها بناء القصيدة, ويريد الشاعر أن يقرّ تلك الأفكار في ذهن القارئ والسامع. وقد استطاع هذا الشاعر البارع, أن يوصل إلينا فكرته, من خلال قصائده الغزلية الممتعة, حتى تسربت إلى عقولنا وتمكّنت فيها. وتتضح أفكار الشاعر في هذه القصائد على النحو التالي:

فأفكار الشاعر في قصيدته الأولى – حسب ترتيب الباحث تدور حول النقاط التالية:

- هيام الشاعر وشغفه بمعشوقته, بما حوته من صفات الجمال والكمال.
- مدى تأثير هذا الهيام في قلب الشاعر.
- ما خلفه هذا الهيام من الجروح والأسقام في جسد الشاعر, ومن الآلام والأوجاع في نفسه.

---

[1] راجع: محمد كشاش (الدكتور), علل اللسان وأمراض اللغة, الطبعة الأولى, 1419هـ - 1998م المكتبة العصرية, صيدا – بيروت. ص:23

[2]- راجع: المرجع السابق نفسه. ص:34

[3]- راجع: محمد كشاش (الدكتور), علل اللسان وأمراض اللغة, المرجع السابق. ص:27

- إظهار ما في نفسه من الغلق, نتيجة اللامبالات الحبيبة بحاله من اخلاف الوعد.

استمعوا إلى هذه الأبيات:

شغفتُ بحب هاجر حبّ صدق * ولم أعلم بأن الحبّ داء

لها حور العيون وحسن خدّ * وبيض السنّ والجيد الرعاء

فكنتِ تركت حافظ لا تبالي * بعيشته ومِيتته سواء

فالملاحظ هنا؛ أن الأفكار في هذه القصيدة, وإن كانت قديمة, لكنّها تتمشّى مع الواقع, وقد وفّق الشاعر صياغتها في قالب جديد جذّاب.

وبالرجوع إلى القصيدة الثانية؛ يتضح للباحث؛ أن الأفكار فيها تدور حول النصائح, مع الرغم من كونها قصيدة غزلية, فقد نجح الشاعر في ترسيخ أفكارها, بتقديم نصائح غالية إلى عشيقته في اختيار الزوج الصالح, بعبارات غزلية لا بأس بها, وبأسلوب حكيم رجاء أن يكون هو البطل الفائز في النهاية. فاستهل القصيدة قائلاً:

تفكّري بِنْتَ في الأعمال آخرها * خذي بقوّة صدق ما بدا الخير

كما ختمها بقوله:

هذي النصائح قد تمّت بقدرة من * بأمره وجد الأنثى مع الذكر

وهذا خلاف ما تعوّدنا سماعه في قصائد غزلية غالبًا, ويبدو: أن لهذا الاتجاه تأثيرًا اجتماعًا كبيرًا, كون المجتمع متديّنًا, والشاعر ابنه.

أما القصيدة الثالثة؛ فأفكارها تدور حول الحياة في ظلال الحبِّ, وضعها الشاعر, في قالب رائع ممتع, يحسّ الباحث فيها بوحدة الموضوع, استهلّها الشاعر بقوله:

حبذا العيش كلّه في وداد* وحديث الفتى مع الفتيات

وأردف في أثناء القصيدة قوله:

ملكتـــــــــــني وخـــــــــــاطري وجنانـــــــــــــي *
سكناتـــــــــــي تحرّكـــــــــــــي وحياتـــــــي
وختمها بقوله:
ربّ قدّر لحـــــــافظ مـــــــع بِنْـــــتَ *
جنـــــــيّ ما تُشتهى مـــــن الثمرات
وبـالعودة إلـى القصـيدة الرابعـة؛ يجـد الباحـث أفكـار الشـاعر؛ تعبّـر عـن لوعـة الحـب وعذابـه, وإحـراق قلـب المحـب بنيرانـه, وصـدمات الشـوق وجروحـه, وسـموم العشـق وسـكراته, واسـتطابة العاشـق جميـع أنـواع الأذى مـن أجـل معشـوقته. اسـتمع إلـى هـذه الأبيات وتدبّرها:
رمت قلبي بسهم الحب حتى * جُـــــــرحت وبـتّ مـــــــغشيًّا سقيمًا
دواء الجرح ليس لـــــدى طبيب * وإن الطـــــــــــبّ يـــــــزداد الهمومـــــــــا
لأنـــــــــي كنت مشغوفًـــــــا بحـب * وشـــــــــغف الحـــــــــب ليس لـــــه لجاما
أما القصيدة الخامسة, فالأفكار فيها لم تكن جديدة وهى نفس الأفكـار التـى وردت فـي القصـيدة الثالثـة, وإن كـان الشـاعر متمنّيًـا باستمرار حياتهما في ظل واحد, حتى في يوم الفزع الأكبر, وأن لمعشوقته أفضلية كبرى على سائر النساء حتى الحور, وأن فكرتـه الأخيرة, ومنتهى رجائه أن تكون له زوجة.
ردّد معي هذه الأبيات:
فليست تعيش على غير حافظ* ولستُ أعيش علـــــــى غيـــــــرها
أحبّـــــــك دومًا إلـــــى يـــــوم دكّت *
وزلـــــــزلـــــــت الأرض زلـــــــزالهـــــــا
"مـــــــرادي زواجـــــــك" اسمهـــــــا *
فعولـــــن فعولـــــن كـــذا وزنـهـــــا
فالأفكـار فـي القصـيدة السادسـة تحمـل بشـارة الفـرح والسـرور, ببلـوغ الشـاعر مـا يريـد, بـأن عـوّض الله تعـالى لـه زوجـة صـالحة حنونـا, تقـوم بأعبـاء البيـت خيـر قيـام. فتعـالوا بنـا نسـتمع إلـى هـذا الشاعر الأديب:

ألا مـــــــن مبـــــــلّغ الثقلين طـــــــرًّا *
بأنـــــــــي قد بلغت إلـــــــى مرادي
فزوجنـــــــــي رقيّـــــــة بنت خيـــــــر *
أبـــــــوها صـــــــالح نـــــعم الحـــــــميد
وكانت لـــــــي وللأبناء عـــــــونا *
جـــزاها الله مـــن خلص الـــــــوداد

أمـا الفكـرة فـي القصـيدة السـابعة والأخيـرة, فهـي شـبيهة بمـا وردت في القصيدة الثانية, فكأنها امتداد لها, ولو اختلفت الحبيبـة فـي السـابقة واللاحقـة. ومهمـا يكـن فـي الأمـر, فقد وضـعها الشـاعر فـي صورة جميلة جذّابة, فهي قصـيدة غزليـة مدبّجـة بالعشق والنصـائح, ممـا يـدل دلالـة واضـحة علـى أثـر البيئـة والمجتمـع لأفكارهـا. وفيهـا يقول الشاعر:

هذه ورقتـــــــي كـــــــاسم ســــــارة *
إنهـــــــــــــا دائمًـــــــا تـــــــزيـــــــــــــد ســـــــــــــروري
بغيتـــى حين تقرئين كتابـــــــــي *
إلـــــــــــزمي في الدعاء ليل نهارا
إن وعدي فيما حوته كتابي * كـــــــــــــــــــــله قـــــــــاصد وليس غـــــــــرورا

ويبـدو للباحـث: أن الأفكـار التـى وردت فـي القصـائد لـم تكـن جديدة مبتكرة إنما هي مألوفة معروفة, واردة بصـورة أو أخـرى فـي الشـعر العربـي القـديم, فقـد هـيّج الـذكرى ولوعـة الحـب كثيـرًا مـن شـعراء العـرب علـى بكـاء حبيبـتهم كمـا حـدث لشـاعرنا. وأصـيبوا بجروح من سهام الشوق ممـا أعيـا الأطبـاء علاجـه, وقضـوا حيـاتهم فـي عـذاب أليم مـن لوعـة الشـوق وسـكراته, ولكـنهم مـع مكابـدة هـذا الشقاء والبلاء, لم يستطيعوا الصبر على ترك حبيبتهم كما هو ظـاهر وجليّ في قضيّة شاعرنا.

ومن الـرغم مـن أن الأفكـار قديمـة, أن الشـاعر قد صـاغها فـي قالب شعر ممتع وجذّاب مما جعلها معسولة, نتذوق حلاوتهـا, ونتلـذذ بقراءتها, غارقين في بحر الحب شوقًا وغرامًا.

العاطفة:

لا بدّ للإنتاجات الأدبيّة أن تتضمن قدرًا من المعاني المعقولة, يستنار بها العاطفة, وتهيّج منها المشاعر. فالأديب لا ينظر إلى الأشياء إلا من حيث أثرها في عواطف الناس, وأن يتمشى مع عاطفته وعواطف مستمعيه, فإن كانوا فرحين مرحين؛ تأتي إنتاجاته فرحة مرحة, وإن كانوا باكين محزونين؛ تكون إنتاجاته حزينة باكية, ليس من المعقول إظهار عاطفة الفرح والسرور في مأتم, أو نغمة حزينة باكية في عرس – "وقد كان الناس يقصدون إلى الشعراء, يشيرون إليهم عواطفهم, ويطلبون منهم شعرًا يناسبها ويرونها".[1]

فقد حاول الشاعر حافظ ثروماكبر؛ أن تكون عاطفته متمشّيةً مع أغراض قصائده, كما يظهر ذلك في ثنايا القصائد التالية:

- فعاطفة الشاعر في القصيدة الأولى, عاطفة شوق وهيام, يصرخ بها بصوته الرنّان, مملوء بالآلام والأوجاع. مكلّل بالرجاء تارة, وبالعتاب اللطيف تارة أخرى, والتملّق الشديد حينًا, والاستغاثة حينًا آخر.

أما من حيث قوة هذه العاطفة أوضعفها؛ فإنها قويّة كما يلمسها الباحث في القصيدة؛ فقد كان الشاعر مشغوفًا بحبّ معشوقته, مما سبب له مرض عضال, لا السقام يفارق جسده الهزيل, ولا النفس تغادر هوى حبيبته الفريدة, وقد أشرف على الهلاك, وهو في أمس الحاجة إلى الإنقاذ, ولات حين مناص! تصوّر معي عاطفة الشاعر في مثل:

شغفتُ بحبّ هاجر حب صدق * ولم أعلم بأن الحبّ داء

وداء الحبّ ليس له دواء *
ألا والله آخره اللقاء
فقلبي لا يزال على هواك *
متى يا هاجر يأتي الشفاء
أجيبي وانقذيني من هلاك *
لعمرك إن أجبت شفي البلاء

---

[1]- راجع: أحمد أمين, فيض الخاطر, الطبعة الأولى, 1431هـ- 2010م, المكتبة العصرية, صيدًا- بيروت. ص:48/10

ويلمس الباحث في القصيدة الثانية؛ عاطفة نصح وإشفاق, إلى ما تصير إليه حال معشوقته الشاعر الأديب, إن لم تستجيبي إلى ما يرشدها هذا الحبيب الحنون, وكما تبدوا في القصيدة أن هناك عاطفة أخرى؛ وهى عاطفة تضرّع وانكسار, بقلّة ذات يده, ويحاول أن يقنع محبوبته بأن السعادة ليست بكثرة الأموال, وإنما هى بالقناعة والعلم والأخلاق.

والعاطفة في هذه القصيدة كما يراها الباحث؛ عاطفة متوسطة الضعف والقوة, كما يبدو في هذه الأبيات:

تفكّري بنت في الأعمال آخرها * خذي بقوّة صدق ما بدا الخير

إني أحبك حبًّا لا يخالطه * كذب ولا فيه تدليس ولا غدر

ما ضرّني كرم الأخلاق أو نسب * وإنما ضرّني إن كان ذا فقر

لا تصحبي غير ذي علم وطالبه * ذو العلم صحبته حتما لها نصر

أما عاطفة الشاعر في القصيدة الثالثة, فهي عاطفة شوق وغرام, وقد فاضت من صاحبها قويّة, وبدونها لا سبيل له إلى الحياة, وقد أصبح أمام معشوقته كالدمى, أو الميت أمام غاسله, والأبيات الآتية لأكبر شاهد فيما يراه الباحث:

حبذا العيش كله في وداد * وحديث الفتى مع الفتيات

لا حياة بدون شوق وحب * كيف طال الحياة من سنوات

ملكتني وحاطري وجناني * سكناتي تحركي وحياتي

أما القصيدة الرابعة؛ فهي تمثل عاطفة عاشق متحسر منقطع حزين, لا تنقطع الدموع عن عينيه عند ذكرى معشوقته, وهي قد أصابت مقتله, وخلّفته مغشيّا بين الموت والحياة, لا هو يستطيع الصبر عنها, ولا هى تأتي وتداويه, وما زال مجروحًا يعاني الآلام والأوجاع.

بكت عيناي مـــــــرات عديـــــدة * لذكـــــــرك
بِنْتَ شـــــــوقًا أوغـــــــرامًـا
رمت قلبي بسهم الحبّ حتى * جـــــــــــرحت
وبـــــــتّ مغشيًّا سقيمًـا
دواء المـــــرض حقا عـــــند بِنْتَ * تعالـــــــــي
واخرجـــــــي هذا السهـام
فلا قلبـــــــــي يطاوعنـــــــي لصـبر * هنـــــاك
فلست أحيانًـــــا حـــــــليمًـا

ففي القصيدة الخامسة؛ تبدو عاطفة الشاعر ساخنة؛ يرى أن الحب بحر عميق لا ساحل له, كما لا يدرك قعره, ولا يستطيع أحد تحديده, ولا يمكن للعاشق مفارقة محبوبته, مهما حدثت الحادثة, ووقعت الواقعة, ومهما كانت المصائب والبلايا, حتى يفوز بها كشريكة لحياته, ومأوى لفؤاده, ومربيّة لأولاده؛ وبسبب ذلك ينفق الغالي والثمين في سبيلها.

ويظهر للباحث: أن عاطفة الشاعر في هذه القصيدة كانت قويّة, إذ افتتح القصيدة معلنا؛ بالإشارة إلى حياته- من ألفها إلى يائها- غارقة في الحبّ, بلا حدود ولا قيود, وعبّر عن ذلك بكلمات حسّاسة, توضّح للقارئ والمستمع مدى شعور الشاعر, وما يجيش في صدره, استمع إليه قائلاً:

أعيش وأحيا علـــــــى حـــــــبّ بِنْتَ * ولا حـــدّ
في كنه حبّـــــي لها
أحبّـــــــك دومًا إلـــــى يـــــوم دكّت *
وزلـــــــزلت الأرض زلـــــــزالها
مـــــــرادي زواجك قبـــــل الصيـــــــام *
أمامـــــــــي شـــــراء ملابســها
ولـــــــو كنـــــــت ذا ثـــــــروة طائلـــــــــة
* لأنـفقت أحدًا على حقها

يبدو للباحث؛ أن العاطفة في القصيدة السادسة عاطفة فرح وسرور, وفيها يعلن الشاعر الأديب بأنه قد وصل إلى غايته, ونال مطلبه, وأصبح محظوظًا في حياته ومعيشته, بزواجه اثنتين من النساء. كما يظهر للباحث: أن في القصيدة عاطفة أخرى مغايرة

للأولى, وهى عاطفة الضيق والتحسر, باستذكار واستحضار مآسي الفراق مع معشوقته وزوجته الأولى.

ويلمس الباحث؛ أن عاطفة الشاعر في هذه القصيدة عاطفة معتدلة, لا إسراف فيها ولا تفريط, واقرأ معي هذه الأبيات بتأنّ وتأمل:

ألا من مبلّغ الثقلين طـــــرا * بأنـــــــــي قـد بلغـتُ إلـــــى مـــــــرادي

مرادي توأمان من النساء * جمـال العـيش فـي الاثنـين عندي

تزوجت الراهينة في البداية * فضاق بنا الصدور مـــع الـــــفؤاد

فهذا الأمر أرغمني طلاقًا * بـــــــــلا حـــــــبّ علـــــى كـــــــره شديـــد

أما القصيدة السابعة والأخيرة, فالعاطفة فيها متنوعة؛ ومنها عاطفة شوق وغرام, وفيها نشاهد الشاعر الأديب, أصبح حائرًا, غريقًا في بحر حبّه ساكرًا, وهو يبوح بهذا الحب قائلاً:

سال في العرق حبّها وتسرى * في عظامي فشدّ في ذاك أمرا

فبقـــى الجسد جثّة دون روح * إنمـــــــــا الـــــــروح نحو حبّك طـــــــارا

وأخرى عاطفة تمنى ورجاء, وفيها نشاهد الشاعر كثير التفائل, طموح إلى ما يتمنّاه, دائم الرجاء, بأن عسى أن تصبح هذه الحبيبة زوجة له, ويظهر ذلك في قوله:

إنمـــــا أمـــــــرنا بـــــــعونك ربـــــي * عن قريب يـــــتم يا مـــــــــفخـــــــــورا

سيكون الزفاف إن شاء ربي * أقصـــــــــى الحـدّ خمسة كان شهـــرا

كما يلمس الباحث في القصيدة عاطفة نصح وإرشاد, فنجد الشاعر ينصح عشيقته, ويدعوها إلى الايمان بكل ما جاء في رسالته, وما حوته تلك الرسالة. وأن تبتهلي إلى الله بالدعاء بلا انقطاع, راجية من الله السميع العليم؛ بأن ييسر الأمور, ويسهّل السبل, حتى يتم زواجهما على أحسن حال. استمع إليه قائلاً:

هـذه ورقتـــــى كـــــاسم ســـــارة *
إنهـــــــــا دائـــــــمـــــا تـــــــــزيد سـســـــــــروري
تظهر الحق عن مقامي لديك * كـل مـا قلـت لـيس خـدعًا وزورا
بغيتـــــي حيـــن تقرئين كتابـــــي * إلـــــزمي فـي الدعاء ليل نهـــــــارا

وهكذا كانت حياة الشاعر العاطفية في شعره الغزالي "ولا خير في الأدب إذا لم يصف الحياة, ويغذي العواطف, ويجد الناس في كل موقف يقفونه قولاً أدبيًّا قويًّا يشرحه, وشعرًا جميلاً يعبّر عنه"[1]

خيال الشاعر:

فخيال الشاعر في قصيدته الأولى خيال رائع؛ أنه حاض في بحر الحبّ يعوم في أعماقه, ويتلذّذ بالسباحة فيه, ولم يتفطّن بالعاقبة والنتيجة, حتى أسقمه, وغادره في مرض شديد.

وحبّ بدا بالجسم واللون ظاهر * وحبّ لدى نفسي من الروح ألطف
وحبّ هـــــو الـــــداء العَيَاءُ بعينه * لـــــه ذكـــــــر تـــــــعدو علـــــــيّ فـــــأدنـــــف

ولم يتوقف الشاعر عند هذا الحدّ, حتى أخذ قلمه الساحر, يصوّرلنا زهرته الباهرة, وغزالته الفاخرة, ذات منظر حسن, وهيئة بديعة, وقدّ مستقيم, وثغر باسم, وعين بارقة خاطفة, وتعلو النضارة في وجهها, مما جعل الشاعر تائهًا هائمًا, شارد الأفكار, مشغوفًا بحبها, مبتلاً بذكرها, مصابًا بداء شوقها, حتى غرق في بحر الهيام, وهو على شفاحفرة من الهلاك, يمدّ صوته في موج الغرام؛ هل من منقذ يأخذني إلى برّ المودّة ولقاء المحبوبته, فإذا هو بغزالته التى ألقته في هذا البحر العميق, تتمثل واقفة أمام الشاطئ كالسراب, فإذا هو يهتف إليها بصوته الرنين مستغيثًا:

[1]- راجع: أحمد أمين, فيض الخاطر, المرجع السابق, ص:48/10

أجيبي وانقذيني من هلاك * لعمــركِ إن أجبــتِ شــفا البلاء

وهذا بلا شك, غاية في الخيال والتصوير, ونهاية في البلاغة والفصاحة, ومهارة في الفنّ والأسلوب؛

وأما في القصيدة الثانية, ونشاهده بتذوّقه الخيالي, وموهبته الفطرية, يتصوّر شخصية معشوقته قد ذهبت بعيدًا, تتيه في الأرض, فاقدة الوعي, شاردة التفكير, لا تدري من أيّ باب دخلت, وفي أيّ مكان كانت, وأين المخرج والسبيل؟!

ها هي ذه تقلّب نظرها إلى السماء, وتكاد قدماها أن تنزلّ بسوء الاختيار, فإذا بهذا الشاعر الأديب الفصيح, يمدّ صوته ويرفعه, ينادي تلك الفتاة الشاردة التائهة, ليردّها عما كانت عليه من الغفلة, ويكشف عنها الستار, ويبصّرها الأمور على حقائقها, ويأخذ بزمام عقلها إلى الصحوة, ويدلّها على ما فيه صلاح لها, للوصول إلى بغيتها, والضالة التى تنشدها, فهو أهل لها ولأمثالها:

تفكري بِنْتَ في الأعمال آخرها * خذي بقوّة صدق ما بدا الخير

إنـــــي أحبّـــــك حبًّـــا لا يخـــــالطه *

كذب ولا فيه تدليس ولا غدر

وهكذا استطاع الشاعر بخياله الرائع, أن يثير وجدان معشوقته, ويحرّك شعورها, وعاطفتها, ويشعل نار انفعالاتها!

كما استطاع أيضًا بخياله الساحر؛ أن يصوّر محبوبته؛ أن الغنى وكثرة الأموال ليست نهاية كل شيء, ولا بهما توزن الأشخاص, وأن الفقر لا يعيب رجالاً, وليست الثروة من مقوّمات السعادة الزوجية فحسب, وكثيرا ما تذهب هباءً منثورًا, أو تكون "كسراب بقيعة يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا".

ما ضرّني كرم الأخلاق أو نسب * وإنما ضرني إن كان ذا فقر

فكم رأينا خبيث الخلق ذات غنى * وربمـــا كـــان فـــي أنسابه بتـــــر

وهكذا نجد خياله بكل جدّيّة, يظهر أمام معشوقته الحقائق, ويبيّن لها دعائم حسن الاختيار, لتتميّز الخبيث من الطيب.

- أما خياله في القصيدة الثالثة, فهو يرى بعمق نظره, وحسن إدراكه, أن الحياة كلها تعب, "لقد خلقنا الإنسان في كبد"[1] ولعله يتأسى بأبي العلاء المعري في قوله:

تعبٌ كلها الحياة فما أعجب * إلا من راغب في ازدياد[2]

ومن هذا المنطلق يظهر لنا الشاعر في هذه القصيدة, أنه رجل أصقلته التجارب, وتخرج من كلية المقاومة, في جامعة معركة الحياة, وكان خبيرا باستراتيجية بلايا الشوق والغرام, وقد أتقن من خلال دراساته: أن الحياة تمحيص وامتحان, متصلة الحلقات, يخرج الإنسان من امتحان, ليقتحم في امتحان آخر, ولا راحة ولا سكينة, ولا اطمئنان ولا استقرار, إلا تحت الانقياد لسطان الغرام, في ظله يمكن للعاشق أن يرتع ويستريح, يتناول ما طاب ولذّ!

فما أطيب الحياة, بطولها وأحداثها, وحلوها ومرّها, وسرورها وحزنها, إذا كانت في شوق وغرام! وما أتعسها وأنكدها, وأشقاها وأكدرها؛ إذا كانت عارية عن معنى الحب والشوق والغرام, ما هى سوى جسد بلا روح, ونهر بلا ماء, وشجرة ذات أشواك, لا ظل فيها ولا ثمر, ضررها أكبر من نفعها, وكيف يأوي العاقل بنفسه في بيت منقضّ على أركانه!

حبّذا العيش كلّه في وداد * وحديث الفتى مع الفتيات

ذقتُ حلوًا أتى به الشو * ق ضحاءً وفي الدجى وغداة

لا حياة بدون شوق وحب * كيف طال الحياة من سنوات

نعم أيها الشاعر, إنها حياة الغرباء, وإنها حياة الوحشة, حتمًا إن الحياة لا تطيب بدون أنيس, ولله درّك من خيال رائع وجميل!

ثم أخذ الشاعر يصورلنا, بريشته الفنانة؛ كيف استطاع هذا الملك القاهرة- سلطان الغرام- أن يسيطر عليه ويملكه قلبًا وقالبًا

---

[1]- سورة البلد:4

[2]- راجع: أحمد الإسكندري وآخرون, المنتخب من أدب العرب, دار الكتاب العربي بمصر 1953م ص:جـ 87/2

كليًا, آخذا بزمام نفسه, يقوده حيث يشاء كما يريد, ويلعب به كالدمى:

ملكتني وخاطري وجناني * سكناتـــــــــــــــــي تحركـــــــي وحياتـــــــي

صدقت أيها العاشق, فالأمر ليس غريبًا, من منّا يستطيع مقاومة أسد باسل, فضلا عن الجنس اللطيف, ولا أرى في خيالك إلا محبًّا صادقًا, وعاشقًا مخلصًا!

وفي القصيدة الرابعة أطلق الشاعر عنان خياله؛ وهو يتألم ويحترق بنار الشوق, ويصلى بلوعة الغرام! وأن محبوبته صيّادة ماهرة, وكان في قدرتها صياد القلوب بسهام الحب, التي لا تخطئ مرماها!

رمتْ قلبي بسهم الحب حتى * جُـــرحْتُ وبتُّ مغشيًّا سقيمًا

ومن العجيب لهذه الصيّاد أنها تملك نبالاً مخصوصة تدعى بسهام الحبِّ, وهى في خيال الشاعر مسمومة قاتلة فتّاكة, لا تبقى ولا تذر! تجرح بها الحبيبَ, وتتسلل الآلام والأوجاع متغلغلة في جسده وفي أعماق قلبه بدون شعور! وتدبّ دبيبًا في عظامه, أخفي من دبيب النمل على الصفا.

عذاب الحبّ في جسمي وقلبي * دبيب النمل بل حتى العظاما

ولم يكتف هذا الشاعر الغزلي بهذا الخيال, حتى أخذ بقلمه المرموق؛ يصوّر لنا الحب – بينه وبين حبيبته – وكيفيته, ويشخصه تشخيصًا؛ وها هو ذا يأتي بنفسه, ويتوسّط بينه وبين حبيبته, يمدّ يد العون إليهما ليفكّ العاني, ويطلق سراح الأسير, وينقذهما من بحر السكوت الشامل الطويل, ليواصلا سيرهما إلى شاطئ الشوق والغرام, متبادلين حديث الحب, الذى تنتهي مسافته إلى محطة الزواج والعرس.

فلما زرتهـــا يـــوم الخـــميس * رأيـــتُ الحـــبَّ كلّمنـــي كلامًـــا

كلانا ساكت وقتًا طويلاً * تـــسيل دمـــوعنا مثل الـــدراما

فقالت حـــافظ والله إنـــــي * بلغت بشغف حبّك ذا المـقاما

وبالعودة إلى القصيدة الخامسة, فالشاعر يصوّرلنا حاله وهو واقع في شبكة الحبّ, وتتجلى الصورة أمامنا جليّة كالشمس في ضحاها, ويشرح لنا ذا الشغف الذي أحاط به وسوّره بخيال عجيب, وأسلوب رائع جميل.

فالحب عنده راسخ في قلبه رسوخ الجبال, وفائض من نفسه كالبحر الذاخر, فهو يتعاهد الوفاء بوطنيّته لهذه المملكة, التى يترأسها سلطان الهوى والغرام, وهو سلطان جائر, وملك جبار, وطاغية كبيرة, يقهر الناس على العشق, ويجبرهم على الوداد؛ فأديبنا وقع في هذا الشَرَك, فها هو يجدد وطنيّته, ويؤكد عهده وميثاقه؛ فبالحبّ يعيش وبه يموت مهما كانت الأحوال,, فهو نفس الحياة ولا حياة إلا به!

أعيش وأحيا علـــــى حبّ بِنْتَ * ولا حـــدّ فـــي كنْـــه حبّـــــى لها

فليست تعيش على غير حافظ* ولست أعيش على غيرها

ولم يتوقف الشاعر عند هذا الحدّ, بل انفجر شوقًا: أن حياته الشوقية مستمرة, ولو زلزلت الأرض زلزالا, فلستُ بناس حبيبتي, ولا متناس بها فضلاً عن الفرار عنها. كقول الشاعر:

وعشق القدود الهيف عندي عقيدة * وطبع عليه قد ربيت ومشرب[1]

أما في القصيدة السادسة؛ فإن الشاعر يصوّر في خياله؛ غاية ما وصل إليه من السعادة الزوجية, وما أحاط به من الفرح والسرور, متخيّلاً بأن جُلّ الناس, لا يعرفون ما فيه من الغبطة والحبور.

ويزعم كذلك؛ أن صوته كان قاصرًا عن إبانة ما في أعماق قلبه, وحلاوة يتذوقها في صميم نفسه, مما جعله يصرخ مستغيثًا, بمن هو أرفع وأندى منه صوتًا, ليكون له مساعدًا ومعينًا, يبلّغ الناس بأن هذا العاشق قد وصل إلى غايته, ونال مراده, وتزوج باثنتين فما أجمل الحياة, وما أطيب المعيشة, وما أحسن الحال, لمن كانت تحته امرأتين!

---

[1]- راجع: صلاح الإمام, مائة شاعر و مائة قصيدة, المرجع السابق, ص:324

ألا من مبلغ الثقلين طرًّا* بأنـــــي قـــــــد بلغـتُ إلـى مـــــــرادي

مرادي توأمان من النساء * جمـال العـيش فـي الاثنـين عندي

فالشـاعر فـي قصـيدته الأخيـرة السـابقة يتمثّـل كأنـه شخصـية منعزلة وبيدها ورقة تحمل رسالة شوق وغرام, تستحضـر مـا حوتـه الرسـالة فيأخـذها الطـرب, وتسـتذكره مـا طوتـه فيغشـاها السـرور والفرح, وتتفكّر في فحواها فيذهب بها الغبطة إلى كل ميدان.

فالشاعر في خياله يعبّر عن شخصية عشيقته وهـي ممثلـة بـين يديـه, لهـا منزلـة رفيعـة, ومقـام مرمـوق, كلمـا نظـر إليهـا أو أعـاد قراءتهـا, هيّجتـه الشـوق والغـرام, وأخذتـه البهجـة والبهـاء, وذاق لـذةً وحنينًا, وزادته سعادة وسرورًا.

المبحث الثاني: سمات شعر حافظ ثروماكبر وقيمتها:

كان لهذا الشاعر سمات شعريّة, تميّزه بين شعراء الغزل النيجيريين: ويمكن مناقشتها على النحو التالي:

الطبع وعدم التكلف:

والمتتبع لقصائد الشاعر يدرك جليًّا؛ أن هذا الشاعر, مطبوعًا في شعره بدون تكلّف ولا تصنّع, وكان يملك الشعر في لغته وأحاسيسه, وأنت تشعر وتحس بذلك في قصائده. ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدته الأولى:

شغفتُ بحبّ هاجر حب صدق * ولم أعلم بأن الحب داء

وداء الحب ليس له دواء * ألا والله آخره اللقاء

واقرأ قوله أيضًا في القصيدة الرابعة:

بكت عيناي مرّات عديدة * لذكرك بنت شوقا وغرامًا

مليكة حافظ حسًّا ومعنًا * وربك لا أخالفك الزمامًا

وقوله في مطلع القصيدة السادسة:

ألا من مبلّغ الثقلين طرًّا * بأني قد بلغت إلى مرادي

مرادي توأمان من النساء * جمال العيش في الاثنين عندي

وأنت ترى في جميع هذه المطالع التى استهل بها هذه القصائد, جاءت على طبع, ليس فيها تكلف ولا تصنع.

الواقع النفسي الصادق:

ومما هو مطبوع عليه شاعرنا؛ كون قصائده تعبيرًا عن واقع نفسي صادق, ومعاناة الحبّ والشوق العميق المؤلم, ويظهر ذلك في أكثر قصائده الغزلية, كقوله في قصيدته الثالثة:

حبّذ العيش كلّه في وداد * وحديث الفتى مع الفتيات

ذقت حلوًا أتى به الشو * ق ضحاءً في الدجي وغداة

لا حياة بدون شـــــوق وحب * كيـــف طـــال الحياة من سنوات

وقوله في القصيدة الأولى:

وقلبي لا يزال على هواك * متى يا هاجر يأتي الشفاء

أما في قصيدته السابعة فاستمع إليه:

سال في العرق حبّها وتسرى * فـي عظـامي فشـدّ فـي ذاك أمـرًا

وجرى في دمي وداخل مخي * وأغـــــــــــــــار الـــــــعقـــــــول والأفكـــــــارا

فبقـــــى الجسد جثة دون روح * إنمـــــــــــا الـــــــــروح نحـــــــــوك طـــــــارا

والمتأمـل لهـذه الأبيـات ومـا يضـاهيها فـي قصـائد الشـاعر, يسـتطيع الإدراك بكـلّ سـهولة؛ بـأن قصـائده نابعـة مـن واقـع نفسـي صـادق, ومـن وجـدان وأحاسـيس مـن قلـب منفجـر, ومـن شـعور وانفعالات من روح فائض!

لم يكن غزله معكوسًا:

ومن أهم سمات الغزل عنده, أن غزلـه لـم يكـن معكوسًـا, فهـو دائمًـا محبًّـا, لا يعتـزّ بنفسـه إلـى درجـة الغـرور, ووصـف نفسـه فـي غزلـه بأنـه المحبـوب المطلـوب, ولا يـدعي فـي غزلـه بـأن المحبوبـة هـى المحبّـة الطالبـة, الأمـر الـذي يكـون عكسًـا لمـا هـو معـروف فـي طبيعـة الغـزل العربـي, مـع الـرغم مـن وجـوده فـي الشـعر العربـي القديم, كما هو الحال عند عمر بن أبي ربيعة عندما وصف إعجاب ثلاث فتيات بـه, فقيل لـه: إنـه لـم يتغـزل بهـنّ, وإنمـا يتغـزل بنفسـه"[1] فالمتتبع لشعره يجد ذلك جليًا[2].

---

[1]- راجع: عبد الرحمان محمد العمراني, شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين. المرجع السابق, ص:83

[2]- ويصدق ذلك هذه الأبيات:

بينمـــا يذكرننـــــــــي أبصرننـــــي * دون قيد الميل يعدوبـــــــي الأغـر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى * قالت الوسطى: نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيّمتها * قد عرفناه وهل يخفي القمـر

راجع: السيد أحمد عمارة (الدكتور), الحوار في القصيدة العربية, إلى نهاية العصر الأموي, الطبعة الأولى, 1414هـ - 1993م مطبعة التركي – طنطا. ص:69

أما شاعرنا حافظ ثروماكبر؛ لا يوجد شيء من هذا النوع في قصائده الغزلية, ولم يحك لنا مشهدًا قط, تتحدّث فيه الفتيات عنه, ويذكرن صفاته ومحاسنه. وغاية ما وجدنا في قصائده, هو الحوار الذي يدور بين الحبيب ومحبوبته, وهذا أمر طبيعي في شعر الغزل, كما في قوله:

فلما زرتهـــــا يـــــوم الخميس * رأيـــــت الحـــــبَّ كلّمنـــــي كـــــلامًا

كلانا ساكـــت وقتًا طويلاً * تســـيل دموعنـــــا مثـــــل الـــــدرامًـــــا

فقالـــــت حـــــافظ والله إنـــــي * بلغـت بشـغف حبّك ذا المقامًا

فكنت أراك في وقت وحين * وتـــــفقـــــــــــد شكوتـــــي قـــــومًا نيامًـــــا

فأجابها قائلاً:

فقلتُ لها اصبري يا نورعيني * قريبًا سوف نضحك ابتسامًا

بعون الله سوف أكون بعلا * لـذلك أى ستنكشـف الظلامًا

ونلاحظ أنه لم يجاوز على تصوير ما يجري بينه وبين حبيبته عند اللقاء؛ من علاقات بريئة, تتمثّل في النظرات والبسمات والحديث عن المتاعب التي تقف في طريق الحبّ.

البوح باسم الحبيبة:

كثير من الشعراء الغزليين تقوم قصائدهم الغزليّة على عدم ذكر اسم الحبيبة, بل يكتفون بالإشارة إليها, إما خوفًا من التحرّج أو وقوعًا في المشاكل الاجتماعيّة, أو رجاء أن يكون شعرهم أكثر قبولاً, إذا كان الاسم ليس محدودًا ولا معيّنًا, يمكن أن ينطبق على أية حبيبة, أو تقليدًا للشعراء القدامى, كما تجد ذلك كثيرا حتى في الشعر العربي النيجيري, كأمثال أمير المؤمنين محمد بلّو بن الشيخ عثمان بن فودي,

في أبيات غزلية له[1]

---

[1]- التى كان مطلعها:

وبيضاء خـــــود زانها عـــطل جـــيد * إذا ما تخلت غيرها بالعناقيد

وهكذا نجد ذلك في قصيدة الأديب عمر إبراهيم التى سمّاها: (الكون موات لولا الحبّ) [1]

كما هو واضح في أبيات غزلية للشيخ أبي بكر محمود غومي[2].

وقد ذكر ابن رشيق: "أن للشعراء أسماء تخف على ألسنتهم, وتحلو في أفواههم, فهم كثيرًا ما يأتون بها زورًا, نحو: ليلى, وهند, وسلمى, ودعد, ولبنى, وعفرى, وأروى, وريا, وفاطمة, ومية, وعلوة, وعايشة, والرباب, وجمل, وزينب, وأشباههن".[3]

ويرى طه حسين أن هذه الأسماء التقليدية "أسماء نساء إتخذها الشعراء للمثل الأعلى, الذي كانوا يلتمسونه ويطمحون إليه حين يتغنون الحبّ وإن هذه الأسماء عند العرب تشبه (هيلانه) بالقياس إلى القصاص من شعراء اليونان الأقدمين, وأكبر الظنّ أنها لم توجد, وإنما هى المثل الأعلى في الجمال والحب واللين والرقة, وغير ذلك من هذه الخصال التي يتغناها الغزالون"[4].

وأما هذا الشاعر, حافظ ثروماكبر, فهو صريح بطبعه, يذكر اسم حبيبته, ولا يكني ببعض الأسماء التى اتخذها الشعراء المثل الأعلى في الجمال والحبّ, بل ما من قصيدة من جميع قصائده الغزلية كلّها, إلا وقد ذكر فيها اسم حبيبته صراحة, يقول في مطلع قصيدته الأولى:

شغفتُ بحبّ هاجر حبّ صدق * ولم أعلم بأن الحب داء

يطيب شذاها وهي للطيب فارك * إذا عطرت أترابها بالزراويد

شيخو أحمد غلادنثي (الدكتور), حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا, المرجع السابق. ص:128

[1]- التى افتتحها بمطلع يقول فيها:

يا حبيبي يا حبيبي * أصغ سمعًا للحبيب

راجع: عمر إبراهيم (القاضي), حديقة الأزهار المرجع السابق. ص:78

[2]- التى استهل مطلعها بقول له:

ظبية بل مهاراة الشارب * جيدها لحظها ظلها الشاهد

شيخو أحمد غلادنثي (الدكتور), حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا, المرجع السابق. ص:167

[3]- راجع: عبد الرحمان محمد العمراني, شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين. المرجع السابق, ص:85

[4]- راجع: طه حسين (الدكتور), حديث الأربعاء, الطبعة الثالثة عشرة, دار المعارف القاهرة (بدون ذكر التاريخ), ص:22

وافتتح قصيدته الثانية بقوله:

تفكّري بِنْتَ في الأعمال آخرها * خذي بقوة صدق ما بدا الخير

ويقول في ثنايا القصيدته الثالثة:

كأن حبي لبِنْتَ بنت كرام *
فاق وصف لها جميع البنات

كما استهل قصيدته الرابعة يقوله:

بكت عيناي مرّات عديدة * لذكرك بِنْتَ شوقًا أو غرامًا

أما قصيدته الخامسة فقد بدأها بقوله:

أعيش وأحيا على حبّ بِنْتَ * ولا حدّ في كنه حبّي لها

ويقول في قصيدته السادسة:

أيا أم لمصلح يا رقية *
وقاك الله من عمل الفساد

أما في قصيدته الأخيرة؛ إستهل مطلعها قائلاً:

هذه ورقتي كاسم سارة *
إنها دائمًا تزيد سروري

وهكذا كانت طبيعة الشاعر حافظ ثروماكبر, يبوح باسم حبيبته صراحة في جميع قصائده الغزلية بدون تحرّج ولا خجل, ليفتح لنا صفحة جديدة في الغزل وليعلّمنا ما ينبغي أن يكون عليه مسير هذا الفنّ في مستقبل الأدب النيجيري.

العفّة في جميع مواقف الحب:

ومما طبع عليه الشاعر, حتى صار سمة من سمات قصائده الغزلية؛ العفّة في جميع مواقف الحب, مهما قويت جاذبية الشوق والهيام, لا تطيق أن تقوده إلى تصريح بكلمة ماجنة, أو عبارة فاحشة, بل يعبّر في غزله بألوان من الصور التى لا تخرج برمّتها عن الصراط المستقيم. ومن أمثال ذلك قوله:

تبسّمها يا له من صفاء * فرائحتة المسك من فمها

وإن نظرتني بطرف كحيل * يرقّص قلبي طربا لها

إذا ما مشت ستراها غرالا * وإن وقفـــــــــــت لا مثيـــل لهـــــــا

ومن ذلك قوله في قصيدة أخرى:

لها حور العيون وحسن خدّ * وبـيض السـنّ والجيـــــد الـــــرعاء

وهكذا كان الشاعر, عند تصويره المشاعر والأشواق, وعند إظهار وجدانه وانفعالاته, يلتزم العفاف, ويبتعد عن المجون, تمشيًّا مـع روح المجتمـع الـدني, وتطبيقـا لمـا جـاء فـي الـذكر الحكـيم:- "وليستعفف الـذين لا يجـدون نكاحًـا حتـى يغنـيهم الله مـن فضـله"[1]. ورحـم الله ابـن القيم فـي قولـه:- "أن العفّـة تبقـى الـودّ, بينمـا الحـرام يفسده"[2]. ولله درّ الشاعر في قوله:

مالحب إلا خصلة محمودة * مـــالم يعكّـــر صـــفو ذاك محرم[3]

ولأجـل ذلـك أعـرض حـافظ ثرومـاكبر عـن ذكـر بعـض الأعضـاء, عند وصـف جمـال حبيبتـه تعفّفًـا. فلنهدي الحسناء أهميـة خاصـة عند الغزليين, لأنهمـا من أهم مـا يميّز جمـال المرأة, ولكن الشاعر لم يتعرّض لذكرهما تحفّظًا, ولأن فـي ذكرهمـا اقتـراب أكثر من الناحية الحسيّة.

كما أعرض في جميع قصائده الغزلية عن الكلام عن القبلة, لأنهـا من العلاقـات الحسية التـى تـدل علـى المجون المحـرم! خلافًـا لقول بعض الشعراء[4]

العتاب الرقيق:

---

[1]- سورة النور: 33

[2]- راجع: عبد الرحمان محمد العمراني, شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين. المرجع السابق. ص:155

[3]- نفس المرجع والصفحة.

[4]- كما يقول الشاعر:

يـــــقول لـــــي المحـــبوب لما لثمتـــه * وقبّلـت فـاه وهـو كالبدر سافر

أجـــوّز هـــذا يـــا محـــمد ربـــنا؟ * فقلـت لـه ربـــي لمثلـــي عـــاذر

ولا ذنب في عشق العفاف لعاشق * ومفتيك فـــي هذا فقيه وشاعر

راجع: عبد الرحمان محمد العمراني, شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشري. المرجع السابق. ص:148

ومن سمات الشعر الغزلي, التى يتمتع بها الشاعر حافظ ثروماكبر؛ العتاب الرقيق, واللوم اللطيف, الذى لا يجرح قلبًا, ولا يهدم بناءً, وقد وردت في ثنايا قصائده الغزلية أبيات, يفهم من مضمونها أنها عتاب, وإن جاءت بدون تصريح؛ كما نجد ذلك في قوله:

فكنت تركت حافظ لا تبالي * بعيشته وميتته سواء

لأنك كنت في أمن وفرح * عيونك لا يعارضها البكاء

ولو رأيت حقي في هواك * لشاهدنا كما تبكي السماء

وفي قصيدته الأخرى عند قوله:

إني أحبك حبًا لا يخالطه * كذب ولا فيه تدليس ولا غدر

ما ضرني كرم الأخلاق أو نسب * وإنما ضرني إن كان ذا فقر

فكم رأينا خبيث الخلق ذات غنى * وربما كان في أنسابه بتر

وكما يقول ذلك في قوله:

هي السبب في جرح قلبي لكن * دواء الجراح على قلبها

أقول ونفسي ترجي رضاها * ودمعي يسيل على حبِّها

وليس هذا عجيبًا, وقديمًا قال ابن داود:- :من لم يعاتب على الزلة, فليس يحافظ للخلة"[1]

تسليم الأمور إلى الله تعالى:

ومما طبع عليه الشاعر حافظ ثروما كبر بدون تكلّف, حتى أصبح ذلك سمة من السمات التى تتميّز به قوّة الرجاء, وصدق اليقين, كلما واجهته العقبات, تجده مؤمنًا بأن الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر, وأن الأيام دول, ومهما كانت المصائب والبلايا

[1]- راجع: عبد الرحمان محمد العمراني, شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين. ص:160

فإنها كالليل الغاسق, تطرده طلوع الغزالة, فالمتأمل لقصائد الشاعر الغزلية, يجد هذه الظاهرة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء. فاقرأ هذا البيت:

إلـــــى ربـــي أفوّض كل أمـــري * فجـد يـا رب بـــالأمر السديـــد

تعالوا نتدبّر هذا البيت:

إنمـــا أمـــــرنا بـــــعونك ربـــي * عـــن قـــريب يتمّ يـــا مفخـــورا

شاركوني في ملاحظة هذا البيت:

سيكون الـــزفاف إن شاء ربـــي * أقصـــــى الحدّ كان خمسة شهرا

يسعدني لو تكرمت بالوقوف على هذا البيت ساعة:

فـــإن شاء الإلـــه لنا نكاحًـــا * بـــــرغم أنـــوفنا يجـــدي القضـــاء

وهكذا صار التسليم والتضرّع عند الشاعر, سمة من سمات شعره, وطبع من طبائع قصائده, تأتي في ثنايا قصائده عفوًا, بدون تكلف ولا تصنّع.

صاحب القلم الحرّ:

ومما يتمتع به هذا الشاعر حافظ ثروما كبر كونه مروزقًا في طبعه بعفة النفس, والاستغناء بكسبه والقناعة بما يملكه, كان قلمه حرًّا, ولم يكن مأجورًا.

استمع إلى هذه الأبيات في قصيدته التى سمّاها (أين نحن من هذا الزمان):

هديّة أمـــوال علـــى كل شاعـــر *
وكل شقـــيّ فـــاسق أو ملاعـــب
بـــرغبة كلّ أن يـــكون مـــلونيا *
بمال الرشا أو من خبيث المكاسب
ومن يتّكل بالعيش في جدّ عمله * مصيبته الأقوى تكن في الرواتب

ولذا جاءت قصائده من ينبوع وجدانه, ودوافع انفعالاته, وأحاسيس شعوره, كما يجد الباحث ذلك في ثنايا قصيدته التى سمّاها (قصيدة المظلوم) التى كان مطلعها:

إلهـــــي قد شكوت إليك بثي * لأنـــــــي كنـــت مظلومًا إلهـــــي

إلهـــــي لا أبـــوح بسرّ قلبـــي * لمخلـــــوق ســـوى ربـــي إلهـــي[1]

ولـم يـأثر الباحـث منـه علـى قصـيدة واحـدة يمـدح بهـا إنسـانًا, ليكتسب مالاً, أو لينال بذلك جاها. بل تكون قصائده صدعًا بالحق, متى سال لعاب قلمه في قرطاس, كما كتب قصيدة إلى صديقه الذى قيل إنه قد كان متلبّسًا بجريمة اللواط- والعياذ بالله- ومما جاء فيها:

بلغتُ بأن السيل قد بلغ الزبي * وأن كبيـــــــــــرًا لا يخـــــاف المقـــــــارح

أغرّ به الشيطان يا ليت أنـــــه * أســـاء إليـــــــه مـــــا أطاـــع الجـــــوارح

خُلقت كـإنسان ولست بهيمة * فكـــاد عليـك العكـس أن يترجح

أو تأتي هذه القصائد ذ ينبوعًا, يبوح بها الشاعر بما في أعماق قلبه من الشوق والوجدان, كما هو واضح في جميع قصائده الغزلية التى يناقشها الباحث

أو يستعمل قلمه المرموق, في تقديم نصيحة غالية لأصدقائه الكرام, كما فعل لزميله المسمّى: (تجاني محمد طَنْطَا). (Danda) وقد ألغى دراسات اللغة العربية بالمستوى الجامعي, وتخصص في الدراسات الإسلامية ولغة الهوسا, فأخذ ينصحه بالعودة إلى دراسات اللغة العربية قائلاً:

يـــأيها الخـــــناس عـــــن عـــــربيـــــة * طَنْطَا أظنك لم تكن بجهول

كـــــــانت تحبّك حبّ أم للولـــــــد * فلغيـرها أبـــــــديت كـــل ميـــــول

مـــاالهـــــوسا إلا لـــــغة عـــــجميـــــة * عُـــــلّمنها زمنًا مـــــــع الأطفـــــال

فارجع إلى أدب بلاغة والعروض * والنحـو والصـرف الذى بجميل

---

[1]- نفس المرجع والصفحة

وهكذا كان الشاعر حافظ ثروماكبر, يتمتع بقلمه الحرّ, في بحر خياله الذاخر, يمجّ في سفينة أفكاره الفائض, يسقي الظمآن بمائه العذب السائغ.

تقويم شعر الشاعر بين التقليد والتجديد

لمن الصعب على الباحث, أن يحكم على القصائد الشعرية لأول مرة, بالأصالة والتجديد, أو الابتكار والتقليد, لأن هذا الحكم يحتاج إلى تتبع الإنتاجات الشعرية, كما يقتضى الاستقصاء, وهو بلا شك لمن أصعب الأشياء, ولا سيما في الأدب العربي النيجيري, لأن أكثر هذه الإنتاجات مخبوءة على أيد أكابر العلماء, وبيوتهم تغص بفيض من خزائن مخطوطاتهم, مما لا يعرفه كثير من الباحثين والدارسين.

ومهما يكن في الأمر, فقد أخذ الشعراء من معاني المتقدمين عليهم وأساليبهم, ومن المعاصرين لهم.

ومن أعجب ما طالعه الباحث في هذه القضيّة, ما أورده ابن رشيق في العمدة, عن البيت الذى قاله يزيد بن الطشريّة:

إذا ما رآني مقبلاً غضّ طرفه * كأن شعاع الشمس دوني يقابله[1]

فزعم أن أول صدر البيت مأخوذ من شعر جميل في قوله:

إذا ما رآني طالعًا من ثنيّة * يقولون من هذا وقد عرفوني؟

وادعى أن وسط البيت مأخوذ من شعر جميل في قوله

فغضّ الطرف إنك من نُمير * ولا كعبًا بلغت ولا كلابا

وأخيرً قال أن عجز البيت كله من قول عنترة الطائي في قوله:

إذا أبصرتَني أعرضتَ عني * كأن الشمس من حولي تدور

وهكذا أخذ ابن رشيق يلتقط عبارات بيت يزيد بن الطشرية, واحدة تلو أخرى, وينسبها إلى الشعراء المتقدمين عليه, وما برح حتى سلب البيت عنه كله, وتركه مفلسًا صفر اليدين!

---

[1]- راجع: الحسن بن رشيق القرواني (أبو علي), العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, 1424هـ - 2004م, الممكتبة العصرية, صيدًا- بيروت (بدون ذكر عدد الطبعة). ص: 189/2 - 190

فقد غلب التقليد في الأغراض والمعاني على الشعراء, في الأدب العربي النيجيري, ومن هذه المعاني ما هو مكرر منذ عصر الجاهلي, ويردده الشعراء في كل زمن؛ كذكر محاسن الميت وتعداد مناقبه وفضائله في الرثاء, وكأوصاف الغزلية, التى اتفق ذو الجمال على أنها مقاييس عالية للجمال, كحور العين, ولين الخدّ, وجيد الرئم, وغير ذلك من الأوصاف.

وإذا أردنا الحكم على شاعرنا حافظ ثروماكبر بإنصاف؛ على أنه من جملة السائرين على نهج القدامى, وأن قصائده تحمل طابع التقليد, أو أنه من زمرة المجدّدين, وأن في قصائده نوع من التطوّر والتجديد والابداع, فلا بد من المرور على بعض هذه القصائد بأغراضها المختلفة, لإظهار هذه الصورة في شخصيّته, واضحة وضوح الشمس في كبد السماء؛ على النحو التالي:

في الغزل:

وشعر الغزل ذو شقين؛ أحدهما:

غزل المقدمات, كما سمّاها الدكتور عائض بن بنيّه الردّادي[1]. حيث يفتتح الشاعر به مقدمة قصيدته المدحيّة أو الرثائيّة أو الهجائيّة, أو غير ذلك من الأغراض الشعريّة بالنسيب, وهو نوع من الغزل التقليدي, جرى عليه الشعراء مجرى سلفهم, دون أن يصوّروا تجاربهم, بل وجدوا طريقًا سلكه الأقدمون فسلكوه, كما كان الأمر عند الشعراء القدامى في الأدب العربي النيجيري؛ أمثال الشيخ محمد البخارى بن الشيخ عثمان بن فودي.

كما نجد ذلك في مرثية عمّه عبد الله بن فودي, حيث استهل مطلع القصيدة بقوله:[2]

ألا عجبت أميمة من بكائي * وعولـــــــــــــي
وانتحابـــــــي في النساء[3]

أو في مدحه لمحمد الجيلاني حيث يقول:

---

[1]- راجع: عائض بن بنيّه الردّادي (الدكتور), الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري. المرجع السابق. ص:290/2

[2]- راجع: غرب طن ظُوهُو زاريا (البروفيسور), محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبيّة, المرجع السابق. ص:262

[3]- راجع: غرب طن ظُوهُو زاريا (البروفيسور), محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبيّة, المرجع السابق. ص:262

فاجعتك أم فضل بالهجران * فبقيت بين الناس كالسكران[1]

كل ذلك تقليدًا بالشعراء الجاهليين الذين استهلوا مطالعهم غالبًا بالنسيب مع اختلاف أغراضها.

فالشاعر حافظ ثروماكبر, قد تخلّص عن هذا التقليد في جميع قصائده التى وصلت إلى أيدي الباحث على اختلاف أغراضها.

وثانيهما:

هو غزل فيه صدق فني, وهو ترجمة لأحاسيس عاطفة الشاعر أكنتها الصدور, وأباحت الألسن بمكنونها, ويتمثل هذا النوع من الغزل في وصف الشعراء لمحاسن النساء, التى فضلها العربي منذ القدم, وتناولها الشعراء قديمًا وحديثًا, ولا خلاف فيها إلا في ذوق كل شاعر وما يعشقه من الجمال, لأن صفات الحسن واحدة, والجمال الأخّاذ هو الجمال في كل زمان ومكان, وفنّ الغزل لمن أصدق الأغراض الشعرية التى قلّ ما تتغيّر موضوعاتها, بل يكون فيه التجديد والتقليد غالبًا على حسب ذوق الشاعر في الجمال, وقدرته على الإبتكار في وصف محاسن المحبوبة. فشاعرنا من هذه الناحية مقلد بارع.

- ومن موضوعات هذا النوع من الغزل منذ القدم, إلى وقت الخاضر: الأوصاف الجسمية, ووصف اللقاء, والوفاء بالحب, وعشق الجمال, وبلاء العاشق في حبّه, والدعاء للمحبوبة, والتشكّي من الواشين, وإظهار السلوان, والوصل والهجر, ونحو ذلك. ومن النادر أن تجد متغزّلاً يتخلص عن هذه المعاني الغزلية, ثم يكون لغزله قيمة تذكر.

فالشاعر حافظ ثروماكبر, قد طرق أكثر هذه الموضوعات الغزليّة وأجاد فيها, ومن خلال القيام بالمقارنة في بعض الأبيات لقصائده الغزلية, وقصائد المتقدمين وأشعارهم, يتبيّن مدى التقيد أو التجديد عند الشاعر, ويمكن النظر في هذه القضية على النحو التالي:

الأوصاف الجسميّة:

هناك أوصاف عامة للحسناوات, تحمل كل معاني الحسن في جسد المرأة, حسن يذهب بألباب الشعراء, وحسن إذا رآه من يعذل

---

[1]- راجع: المرجع السابق نفسه. ص:266

الشاعر, سارع للاعتذار عن عذله. فشاعرنا في هذه الناحية مقلد بارع, تجد في كثير من قصائده ملامح هذا التقليد والتناص ببراءة فائقة كما هو ظاهر فيما يلي:

يقول مجنون ليلي في نظر المحبوبة:

إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل * بخير وجلت غمرة عن فؤاديا[1]

واستمع إلى الشاعر حافظ يقول في هذا النوع:

وإن نظرتني بطرف كحيل *
يرقّص قلبي طربًا لها

ويقول بشار بن برد في وصف حديث المعشوقة:

وكأن رجع حديثها *
قطع الرياض كسين زهرًا
وكأن تحت لسانها *
هاروت ينفث فيه سحرًا[2]

لكن الشاعر حافظ ثروماكبر يصف حديث حبيبته ويقول:

إذا نطقت في دياجير ليل * ترى النور يلمع من قولها

ووصف امرؤ القيس بن حجر الكندي حسن عنق حبيبته قائلاً:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش * إذا هي نصته ولا بمعطل[3]

ووصف طرفة بن العبد البكري خدّ حبيبته قائلاً:

وخدّ كقرطاس الشآمي وثغر * كسبت اليماني قدّه لم يحرّد[4]

ووصف بشار بن برد عين الحبيبة قائلاً:

حوراء إن نظرت إليك * سقتك بالعينين خمرًا[5]

---

[1]- راجع: عبد الرحمان المصطاوي, ديوان مجنون ليلي, المرجع السابق, ص:56

[2]- راجع: محمود سامي البارودي, مختارات البارودي, المرجع السابق, ص:203/4

[3]- راجع: الحسين الزوزاني (أبو عبد الله), شرح المعلقات السبع, المرجع السابق, ص:30

[4]- راجع: المرجع السابق, ص:75

[5]- محمود سامي البارودي, مختارات البارودي, المرجع السابق, 191/4

ولكن الشاعر حافظ ثروماكبر استطاع أن يجمع هذه الصفات في بيت واحد في قوله:

لها حور العيون وحسن خدّ * وبيض السنّ والجيد الـــــرعاء

ويقول أحد الشعراء في وصف ثغر المحبوبة:

ثغر كلمـــــح البرق حسن بريقه * يشفـــــــــي غليل المستهام بريقه[1]

فقال شاعرنا:

سمرت اللون عنقها الطويـــــل * ســـــــــنها فـــــــالج نقـــــــي الـــــــــذات

وقد شبه كثير حبيبته بالشمس قائلاً:

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى* فـــي الحســـن عنـــد موفّق لقضى بها

لكن شاعرنا أخذ يقول:

أليس الشمس تسرق منك نورًا * وأنـــــــــــــت ضـــــــياؤه أنـــــــت الظبـــــاء

وبعد إمعان النظر والتأمّل, نجد الشاعر حافظ ثروما كبر قد وصف حبيبته بصفات غزلية, استعملها المتقدمين في قصائدهم, وتناولها الشعراء من بعدهم, ولكن الشاعر حافظ ثروماكبر قد استطاع بعبقريته أن يعيدها من جديد, بعبارات رائعة وجميلة, مما يدل على أنه مقلد بارع, يطوّر ويجدّد من بنات أفكاره.

وصف اللقاء:

ومن المعاني التى تداولها الشعراء, وترددت في شعرهم الغزلي قديمًا وحديثًا؛ وصف لقاء الأحبة. ولكل شاعر في ذلك ذوقه, فمجنون ليلي يحكي لنا ما جرى بينه وبين حبيبته عند اللقاء, مما جعله فاقدًا وعيه, وفي ذلك يقول:

قالت جُننتَ على رأسي فقلتُ لها * الحـــــــــــــبّ أعـــــــــــظم مما بالمجانيـــن

الحبّ ليس يفيق الـــــــدهر صاحبـــــه *

وإنمـــــــا يـــــــصرع المجنون في الحين

---

[1]- راجع: زكي مبارك, العشاق الثلاثة, المرجع السابق

لو تعلمين إذا ما غبتِ ما سقمي * وكيف تسهر عيني لم تلوميي[1]

أما عمر بن أبي ربيعة, فقد أصبح غارقًا في بحر دموعه وهو يخاطب حبيبته عند اللقاء, إستمع إلى قوله:

ولقد أذكر إذ قلتُ لها *
ودموعي فوق خدّي تطّرد
قلتُ من أنت فقالت أنا من * شفه الوجد وأبلاه الكمد
نحن أهل الخيف من أهل منًى * ما لمقتول قتلناه قود[2]

أما ابن الفارض فهو يصور لنا مدى ما يتمتّع به عند هذا اللقاء حيث يقول:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا * سرّ أرقّ من النسيم إذا سرى

إذا كان الحوار يجري بين الأحبة للشعراء القدامى في أول اللقاء, أو بيان سر من الأسرار هو أرق من النسيم, فشاعرنا حافظ ثروماكبر, لم يكن مقلّدًا كلّيًا لهذا ولا ذاك, بل له موقف مختلف, وذوق مغاير عن من سبقه من الشعراء في وصف هذا اللقاء, فنراه مع محبوبته يسكتهما الحب قبل الشروع في الحوار, استمع إليه قائلاً:

فلما زرتها يوم الخميس * رأيت الحبَّ كلّمني كلامًا
كلانا ساكت وقتًا طويلاً * تسيل دموعنا مثل الدرامًا
فقالت حافظ والله إني * بلغت بشغف حبّك ذا المقامًا
فكنت أراك في وقت وحين * وتفقد شكوتي قومًا نيامًا

---

[1]- راجع: عبد الرحمان المصطاوي, ديوان مجنون ليلى, المرجع السابق, ص:29

[2]- راجع: محمد عبد الله خير الدين, 1000 طرفة وطرفة فيها الصدق والابتسامة. المرجع السابق, ص:498

فقلتُ لها اصبري يا نورعيني* قريبًا ســـــــوف نضحك ابتسامًـــا

فأنت ترى الشاعر عند اللقاء؛ قد أصبح هو وحبيبته مكمّما أفواههما, ولا يستطيع أحد منهما أن يبوح بكلمة وقتًا طويلاً, وإن كانت الدموع تعبّر عما في قلوبهما, فحوار الشاعر هنا مع حبيبته, فيه نوع من التذوق يغاير تذوّق الشعراء القدامى, السابق ذكرهم, مما يدلّ دلالة واضحة على التجديد عند الشاعر من هذه الناحية.

بلاء الحب:

وقد أكثر الشعراء من الحديث عن عذاب الحبّ, وتداولتها قصائدهم الغزليّة, وطرقه عدد غير قليل من القدامى والمحدثين؛ كلّ يعبر عن ذوقه وشوقه, حسب قدرته الفطريّة, وإحساسه الوحدانيّة, فبلاء الحبّ هو الذى صيّر مجنون ليلي مجنونًا, وترك قلبه في عذاب هواها! استمع إليه وهو يقول:

على أنّي بها المجنون حقًّا * وقلبـــــي من هواها في عذاب[1]

أما الأديب عمر إبراهيم عندما يتحدث عن بلاء الحبّ في قصيدته التى سمّاها: (الكون موات لولا الحبّ), فهو يرى أن الحبّ كلّه عذاب يفوق كلّ عذاب, ولكن صاحبه أصبح كذي جرب يلتّذ من حكّ جسده. استمعوا إلى الأديب قائلاً:

إنمـــــــا الحـــــــبّ عـــــــذاب *
دونـــــــه كـــــل العـــــــذاب
إن يـــــــكن هذا عـــــــذاب * فهـــــو عـــــذب في فؤادي[2]

أما قيس لُبْنَي فقد أقرّ بأن حبّه لها عذّبه عذابًا شديدًا, لكنّه لا يستطيع الإقلاع والتخلّي عن هذا الحبّ, مهما كان الثمن, بل يفضّل الموت على حياةٍ بدون حبيبته. استمع إلى قوله:

لقد عذبتني يـــاحب لبنـــي * فقـــــــع إمـــــا بمـــــوت أو حيـــــاة

---

[1]- راجع: عبد الرحمان المصطاوي, ديوان مجنون ليلي, المرجع السابق. ص:109

[2]- راجع: عبد الصمد عبد الله (الدكتور), أضواء على الشعر العربي في غربي إفريقيا, المرجع السابق. ص86

فإن الموت أروح مـــن حيـاة * تـــــدوم علـــــــى التباعـد والشتات

وقال الأقربـون تـــــــعزّ عنها * فقلت لهم إذن حانـت وفاتـــي[1]

أمـا الشـاعر حـافظ ثروماكبر, فهـو يـرى: أن بـلاء الحـب قـد خالطه جسمًا وروحًا, وكسّر عظامه وصيّره رميمًا, ومع الرغم من هذا فالشاعر لا يستطيع الصبر عنه, لأنـه كـان مشغوفًا بـه. استمع إلى قوله وتأمّل:

عذاب الحب في جسمي وقلبي * دبيب النمل بل حتـى العظاما

فـــكسّـــــــــــــره وصـــــيّـــــــــــــره

وهـــــــيئًـــــا * وأوشـــــك أن يحـــــوّلـــــــه رمـــــيمًـــــا

فلا قلبـــــــي يطاوعنـــــــي لصبـــــــر *

هنـــــــاك فلست أحيانًـا حليما

وهكذا لـو تتابعنـا جميـع المعـاني الغزليـة, التـى تناولهـا الشـاعر حافظ ثروماكبر, لرأينا أنها تتدفّق من ذوقـه الخـاص, وأنـه مـن بنـات أفكاره, فكان في هذا المجال مجدّدًا لا مقلّدًا.

وإن كان الباحث لا ينكر؛ بـأن هنـاك ملامـح التقليـد فـي بعض النـواحي مـن قصـائد الشـاعر حـافظ ثروماكبر, كمـا نجـد ذلـك فـي قصيدته التى سمّاها: (مرادي زواجك), حيث يقول في مطلعها:

أعيش وأحيا علـــــى حبّ بِنْـــتَ * ولا حـــدَّ فـــي كنـــه حبـــــي لها

فليست تعيش على غير حافظ * ولستُ أعيش على غيرها

أحبّك دومًا إلـــى يـــــوم دكّـــت *

وزلـــــزلـــــــت الأرض زلـــــزالها

فقد استعار الشاعر بحرها وقافيتها وبعض أفكارها من قول الشاعر العباسي أبو العتاهية:

أتـــــتـــــــه الخـــــلافـــــــة منقـــــــادة *

إليـــــــه تجـــــــرّر أذيـــــــــالها

[1]- راجع: عبد الرحمان المصطاوي, ديوان قيس بن ذريح, المرجع السابق. ص:62

فـــــليست تـــــصلح إلا لـــــه * ولـــيس يـــــصلح إلا لهـا
ولـــــو نـــــالها أحـــــد غيـــــره * لزلزلت الأرض زلزالها

الرثاء:

وعنـدما يعـود الباحـث ليـتفحص عـن موقـف الشـاعر حـافظ ثروماكبر, بين التقليد والتجديد فـي شعر الرثـاء. من الجدير قبل أن نحوض في هذا الميدان, أن نعرض رأى الذى يذهب إلـى أن الرثـاء علـى ثلاثـة أقسـام: رثـاء رسـمي, ورثـاء ذاتـي, ورثـاء متوسـط بـين الرسمي والذاتي.[1]

أمـا الرثـاء الرسـمي: يشـبهه المـدح إلـى حـدّ بعيـد, ففيـه يعبـر الشاعر عن أمجـاد الفقيـد, فحرارة الحـزن فيـه يكـون ضـعيفًا, "وفـي الغالب لا تتصل العاطفة بنفس الشاعر"[2] وفي هذا النـوع مـن الرثـاء تجـد الشـاعر ينـادي النـاس إلـى الحـزن لفقـد الميـت, لأجـل دور أو مسؤولية قام به الفقيد, فمثل هذا اللون من الرثاء؛ يعتبر رثـاء تقليـديًّا, فهـو كثيـر عنـد الشـعراء النيجيـري, كمـا فـي قصـيدة عبـد القـادر بـن المصطفي, في قوله عند رثاء خاله محمد سمبو (Sambo) بـن الشـيخ عثمان:

فقد حمـــدت شمـــــائله قـــــديمًا * بصـدق الزهـد في جاه ومـــــال
وحسن تـوكل وعكـــوف قلب * علـى بـاب المهـيمن ذي الجلال[3]

كما تقرأ مثل هذا فـي قصـيدة أمير المؤمنين محمد بلـو, التـى رثـى بهـا أخواتـه وأقاربـه, فجـاءت مملـوءة بـالمواعظ, ولا يحـس القـارئ منهـا عاطفـة ذاتيـة, ولا مـرارة الحـزن والأسـى. استمع إليـه وهو يقول:

لعمـــــري مـــــالنا الـــــدنيا *
بـــــدار للـــــمســـــرات

---

[1]- للإلمام بهذه الأقسام, راجع: بابكر قدرماري (الدكتور) شعر الرثاء في سكتو خلال القرن التاسع عشر الميلادي, الطبعة الأولى, 1431هـ- 2010م دار الأمة لوكالة الطبوعات, كانو- نيجيريا, ص:80 - 82

[2]- المرجع السابق: ص:80

[3]- المرجع السابق ونفس الصفحة

ولـــــــكـــــن دار أكـــــــــدار * وأقـــــــدار مـــــــصيبـــــــات
وما أحـــــــد مـــــــن الـناس * مـــــــــــــن المـــــــــوت بمنجـاة[1]

وعنـدما يرجـع الباحـث إلـى شـاعرنا حـافظ ثروماكبر, ويقـرأ قصيدته التى قرضـها فـي رثـاء البروفيسور علـي نـائبي سويد, التـى تحتوي على ثلاثثين بيتا, يجد الشاعر قد وقع في هذا النـوع المذكور مـن الرثـاء, لأن أكثـر مـن ثمـانين فـي المائـة فـي القصـيدة (81%) يتحدث فيها الشاعر عن مناقب الفقيد, ثم يصبّر طـلاب اللغة العربيـة ويعزّي أهل الميت وزملائه من أساتذة الجامعة, استمع إليه قائلاً:

ما دام علم النحو يدرس دائمًا * فـــي الجامعـــات فحقـــك التبجيل
بحـــــــر العلـــــــــوم ورافـــــــــع رايـــــــــاتها
* جم المـــــــــروءة للسويـــــــد سليـــــل[2]

ثم يقول:

صبّـــرت طلاب العلوم لمـــــــوته * كلم الأسـى من ذي القلوب يسيـــــل

فالشاعر فـي هذه القصيدة لـم يخـرج عـن نـهج القدماء, فمـلاح التقليد أوضح فيها من التجديد.

أما بالنسبة لنوع الثاني من الرثاء الذى سمّينا: بالرثـاء الذاتي, الرثـاء الـذى يعبّـر تعبيـرًا صـادقًا, عـن عاطفـة الشـاعر, وأحاسيسـه الصادقة, الرثاء الذى يمتلـئ فيـه قلـب الشـاعر بـالحزن والأسـى, هذا الرثاء الـذى يمكـن تسميته بالرثـاء الصـادق, فقد أبلـى الشـاعر حـافظ ثروماكبر فيه بلاء حسنًا, ولم يكن الشاعر فيه مقلّدًا, بل وجدناه يجدّد ويطـوّر ويبتكـر أشـياء مـن بنـات أفكـاره, ومـن نتـائج وجدانــه وأحاسيسه, كمـا هو الحـال فـي قصـيدته التـى رثـى بهـا شيخه محمد المدني بن شمس الدين كبر, القصيدة التى تحتوي على اثني وأربعين بيتًا, وكـان جلّ أبياتهـا نابعـة من عاطفـة صـادقة, وإحسـاس عميـق, وقلب مملوء باللوعة والأسى, فهيّابنا لنستمع إلى بعض أبياته:

---

[1]- المرجع السابق ونفس الصفحة

[2]- من قصيدة الشاعر حافظ ثروماكبر. قال في رثاء الروفيسور علي نائبي سويد المتوفي في اليوم السبت 16/ ذو القعدة 1428هـ الموافق 1998/3/14م.

وقوع الخبر يـــوم وفاة شيخـــــي * أشـدّ علـيّ مـــــن ضرب الحـــــسام

بـــقيت لمـــــــــوته جسدًا وروحـــــا * همـــوم القلب تسري في عظامي

قضيت اليوم ما شاهدتُ نورا * كـأن الشـمس ترسـل بـــــالظلام[1]

وتأمل أيضًا قوله:

شعـــــرتُ كأننـــــــي يـــعد الفقيد * أرفقـــــــــه إلـــــى بـــيـــــت الـــــــدوام

فكان يزورنـــــــي في كل ليل * شفانـــــــي الله أنـــــــواع السقـــــام

فأنـت تـر مـن خـلال هـذه الأبيـات صـدق العاطفـة, وعمـق الإحساس, وشدّة الحزن, وإظهـار الأسـى علـى فقد الميت, كلّ ذلك بكلمـات وعبـارات, ذات إيقاعـات شـديدة, تنبـئ عـن حـزن الشـاعر وتحسّره, مثل: وقوع الخبر, ضرب الحسام, هموم القلب. وأضـف علـى ذلـك بـأن الأفكـار والمعـاني كانـت متولـدة مـن صـميم خيـال الشـاعر, ومـن فـيض خـاطره. وأرى أن الشـاعر فـي هـذه القصـيدة أقرب إلى التجديد فيها من التقليد.

وبقى لنا اللون الثالث من الرثـاء, الـذى كـان وسطًا بين نـوعي الأول والثاني, فالشاعر يعبّر فيه عن الحزن العميق لفقد الميّت, ثم يضيف بعد ذلك ذكر مناقبه ومآثره وفضائله, فقد كثر هذا النـوع فـي الشعر العربـي النيجيري. ومن أمثلـة ذلك قول الشيخ مصطفي بن محمد التورودي, يرثي شيخه عبد الله بن فودي:

يـــــــا ليوم ظلامـــــه قمطريـــــــر *

مـــــــــــــر فيـــــــــــه مـــــــــــــاء نـــــــميـــــــــر

حين قالوا جرى بغندقضاء * غـاب فـي القبـر فيـه بدر منيـر[2]

---

[1]- راجع: بابكر قدرماري (الدكتور), شعر الرثاء في سكتو خلال القرن التاسع عشر الميلادي, المرجع السابق. ص:81

[2]- راجع: بابكر قدرماري (الدكتور), شعر الرثاء في سكتو خلال القرن التاسع عشر الميلادي المرجع السابق. ص:81.

وبعد أن ذكر هذه الصور الوجدانية أخذ في ذكر المناقب والمآثر قائلاً:

نـــــاصر الديـــــــن رافـــــــع للـــواء *
العلم في الوقت جهبز تحرير

فقد كان للشاعر حافظ ثروماكبر هذا النوع من الرثاء, تجد ذلك في قصيدته الرثائية للشيخ الفاضل محمد ابن شمس الدين كبر, إذ رثى الفقيد فيها, بعاطفة صادقة, وحزن عميق. أكبر مثال في ذلك قوله:

لما سمـــــــعت مـــــــن البـــــــعيد بموتـــــه *
قد ضاق قلبـــــــي ثم زاد صلاء
قد كنتُ محظووظا بأخذ نعاشه * مـــــــن ثَـمَّ زرت تـــــأسفا وبكـــــاء
لو يفتدى نفس بنفس يا ترى * إن المعلـــــــــــــــــم يـــستحـــــــــق فـــــــداء[1]

ثم أخذ يعدّد مناقب الميّت ومآثره وفضائله, استمع إليه قائلاً:

ورث الولاية كـــــابرا عـــــــن كابـــــر *
فـــــأجادها ثـــــــم استزاد بناء
فـــــأتمَّ كل مـــــــــراده في حينـــــــه * لمـا رأى أبـــــنـــــــاءه عـــــلمـــــاء

والعجيب في الأمر؛ أن الشاعر قد استطاع أن يبتكر أفكارًا جديدًا في الأدب العربي النيجيري في شعر الرثاء, كما يراها الباحث في قوله:

بكت السماء لفقده مدرارًا * والكهربـــاء عديمـــة الأضـــــــواء
وغدا الجدار لحزنه متا سقط * والناس من أحزانهم شهداء
إني ذكرتك في الرثاء ترحمًا * عيناي ترسل للبكاء دمـــاء

---

[1]- هذه القصيدة قالها الشاعر حافظ ثروماكبر, في رثاء الشيخ الفاضل محمد إنوا ابن شمس الدين المتوفي يوم الأربعاء 5/محمرم/1409هـ الموفق 1988/8/17م.

فالشاعر هنا فيما يراه الباحث: قد جمع بين التقليد والتجديد في آن واحد.

وعلى ضوء ما ناقشه الباحث, يتبيّن للقارئ بأن الشاعر حافظ ثروماكبر, كان متوسطا بين التقليد والتجديد, وإن غلبت عليه ملامح التجديد, وخاصة في قصائده الغزلية, كما يفهمها الباحث.

الفصل الخامس: التصوير الفني وتقويمه في القصائد.

التمهيد:

فقد استطاع الشاعر حافظ ثروما كبر تصوير الأحداث تصويرا حقيقيا بلاغيا في مواضع كثيرة في هذه القصائد لأن التصوير من أحسن أنواع التعبير في الدلالة على المراد, وبه تظهر الميزة بين قول وقول, وبين معنى وآخر. لأن المعاني في هذه الطريقة يخاطب بها العقل وجميع قُوى الإدراك؛ السمع والبصر, الشمّ واللمس والذوق فإذا اجتمعت في أداء عمل أدبيا "ترسم لوحة شعرية متكاملة الجوانب".[1]

وبجانب هذه الحواس الظاهرية؛ فهناك حواس داخلية, مثل حاسة الشعور بالرضا والغضب, وحاسة الحبّ والبغض, وحاسة الإطمئنان والسكينة, وحاسة الشهوة الجنسية, وما سواها من الحواس.

"وحين يخاطب الشاعر أوالكاتب أوالخطيب الناس, ويحسن التصوير بهذه الطريقة, يصبح الإنسان بكل شعوره وحواسه؛ آلة إدراك وتذوّق وتأمّل, ويصل إلى الأهداف والمقاصد, ويحيط بالعلم والمعرفة عن مراد الشاعر تمامًا, يتذوّق الجمال تذوقًا تامًا. ولا شك أن التصوير هو الموصّل إلى ذلك, والطريق المفضي إليه, ولذا كان من أفضل وسائل التعبير الهادف إلى الغرض المنشود"[2].

وقد امتن الله علينا بإعطائنا هذه الحواس, في معرض حديثه عن خلق الإنسان, وجعله في أحسن تقويم: "ثمّ سوّاه ونفخ فيه من روحه, وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة, قليلا ما تشكرون"[3]. وقال تعالى: "ألم نجعل له عينين, ولسانًا وشفتين, وهديناه النجدين"[4]

المبحث الأول: الصور البيانية:

---

[1]- راجع: عبدالرجمن محمد (العمراني)، شعر الغزل التقليدي في اليمن، المرجع السابق. ص: 177

[2]- راجع: محمد كشاش (الدكتور)، اللغة والحواس، الطبعة الأولى 1422ه/ 2001م المكتبة العصرية، صيد- بيروت. (بتصرف كثير) ص: 29- 30

[3]- سورة السجدة:9

[4]- سورة البلد: 8-10

عندما يقرأ الباحث قصيدة الشاعر حافظ شِرُومَا كَبَرَ, تظهر أمامه صور بيانيّة وصفيّة في التجربة الشعرية, فيلمح ملامح حسيّة ومعنوية في المفردات والتراكيب, تحيي المعاني التى يهدف إليها الشاعر, التي تمّت بصلة إلى عالم الاحساس والشعور. ويقوم الشاعر بتزيين وتقديم لوحات جميلة في الحياة, في صورة سارّة ممتعة, يشاهدها المتفرّجون في شاشة بيضاء نقيّة على اختلاف أنواعها, من تشبيه واستعارات وكنايات.

ويمكن مناقشة هذه الصور في جانبين:

أ- الصور الأدبية.

ب- الصور البيانية الخالية.

أ- **الصور الأدبية**:

الصورة وسيلة هامة للتعبير عن العاطفة والفكر والشعور تعبيرًا مؤثرًا وهذه الصورة لا تعتمد على عناصر الخيال, وإنما تقوم على اللغة التصويرية, وما توحي به الألفاظ والعبارات من دلالات, و"أن الكلمة يمكن أن توحي بالصورة والإيقاع, والملمس والطعم, واللون والرائحة"[1]

قد تتغير دلالة الكلمة تارة بتغير تراكيب وسياق الذي جاءت فيه، فيكون لها دلالة إفرادية التي وضع لأجلها الكلمة أصليا، ودلالة تركيبية التي هي عبارة عن زضع خاص للمتكلم، كما استعمل الله تعالى كلمة اللمس في إتيان الرجل أهله فيى قوله: "أو لا مستم النساء"[2].

إذًا فالشاعر البارع, هو الذي يستطيع أن يؤلف هذه الكلمات بعضها مع بعض, على طريقة مخصوصة, من التقديم أو التأخير, حسب ما يحتاجه الناظم من المعاني. لأن الألفاظ المجردة قد لا تحمل في طياتها مزيّة قيّمة, كما هو الأمر غالبًا: "وإنما مناط المزية هو النظم والمعاني الكامنة وراء التركيب".[3]

رحم الله جاحظا في قوله: "المعاني مطروحة في الطريق, يعرفها العجمي والعربي, والبدوي والقروي, وإنما الشأن في إقامة

---

[1]- محمد كشاش (الدكتور), اللغة والحواس, الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م المكتبة العصرية, صيدا – بيروت. ص:11

[2]- سورة المائدة : 6

[3]- بسيوني عبد الفتاح فيود (الدكتور), دراسات بلاغية, الطبعة الثانية, 1426هـ - 2006م مؤسسة المختار القاهرة. ص:6

الوزن, وتخير الألفاظ, وسهولة المخرج, وكثرة الماء, وفي صحة الطبع, وجودة السبك, وإنما الشعر صياغة, وضرب من التصوير".[1]

ولا شك أن للفظ التصوير دلالات واضحة, في معرض التعرّف إلى خفايا الضمائر, من خلال القول لأن القول يظهر بما في الضمائر من أسرار يقول الله تعالى مصداقا لذلك في وصف حال المنافقين. وما تكنّ به صدورهم في قوله:"فلتعرفنّهم بسيماهم, ولتعرفنّهم في لحن القول, والله يعلم أعمالكم"[2]

أي تظهر فساد ضمائرهم, وتبرز سرائرهم بالاستدلال بفحوى كلامهم, ومقاصد ألفاظهم ومعانيها.

وأمثال هذا التعبير التي تتجلى في ألفاظ دقيقة, تبين للسامع المعنى المراد, ويدرك فحواها بحواسه ومشاعره ووجدانه, مملوءة بكتاب الله عزّ وجل إقرأ قوله تعالى:"إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم, وإن يقولوا تسمع لقولهم" ثم قال:"يحسبون كل صيحة عليهم".[3] صور الله حالهم في كلمات هي غاية في الدقة والروعة.

فالشاعر حافظ ثروماكبر؛ اختار ألفاظا موحية, التي تظهر ما في نفسه من خواطر وأفكار, وتبرز ما أراد من صور وأشكال.

ويمكن مشاهدة هذه الصور في قصائد الشاعر الغزلية فيما يلي:

يقول الشاعر في قصيدته التي كتبها إلى مخطوبته هاجر بنت سليمان يَاكَسَيْ:

أجيبي وانقذيني من هلاك * لعمرك إن أجبت شفي البلاء

فالعبارة التي تحتها خط في صدر البيت؛ تقدّم لنا صورة إنسان مشرف على الهلاك, وأحاطت به المصيبة من كل جانب, وساوره البلاء, ووافته أسباب المنيّة. وأمامه صورة شخصيّة قائمة, قادرة على إنقاذه, يستغيث بها ويطلب العون من عندها. وكان بإمكانها أن تخرجه من ذاك الضيق والحرج, لو تكرّمت وأجابت الطلب,

---

[1]- نفس المرجع ص:14 نقلا من كتاب الحيوان للجاحظ جـــــ:131/3

[2]- سورة محمد:30

[3]- سورة المنافقون:4

لانتهت المصيبة, ونزعت الكارثة من جذورها وتخرج الشاعر من وطأة لوعة الشوق والعشق والغرام.

فالتعبير العاطفي والوجداني الذي في هذا البيت من الإبداع الفني للخيال الرائع، قدم لنا تصويرا فنيا رائعا.

ويقول في قصيدته التي سمّاها: (الروض العاشق):

ملكتني وخاطري وجناني * سكناتـــــــــــــي

تحركـــــــــي وحياتـــــــــي

وهنا نشاهد – من خلال المفردات- صورة الشاعر, توضح لنا حاله وموقف حبيبته في ضميره, وقد ملكته كليًّا؛ قلبًا وقالبًا, شكلاً ومضمونًا, حتى أصبح لها أسيرًا, وتلعب به كالدمى. كما أن المفردات في البيت, توحي بشمول هذه الصورة واتساعها, في جميع نواحي أجزاء الشاعر وحياته. كما أن في البيت مبالغة فيما تضمنته المعاني، فيا لها من جمال تصوير وروعته.

ومن هذا القبيل قوله في قصيدته التي سمّاها: (مرادي زواجك) التي قال فيها:

أقول ونفسي يرجي رضاها * ودمعـــــــــــــي

يسيل علـــــــــــى حبّها

فالعبارات في البيت المذكور؛ تتجسد صورة إنسان غارق في بحر الحبّ, متمثل أمام حبيبته الغاضبة, وهي لا تبالي بما هو فيه من لوعة الحب وعذابه – كما تشير إلى ذلك بقية الأبيات التي سبقت هذا البيت - وهو يعاني جراحًا عميقة, ويكابد أحزانًا وضيقا, بسبب إعراضها عنه, فنفسه توّقة إليها, وقلبه متعلق بها, والفكرة تدور بخاطره قائلة: أن فراقها أمر غير ممكن, ومن صنف المستحيل, وما زال يسليها, ويطلب رضاها, ويتمنى موافقتها, بدون عجز ولا فتور, والدموع تجري على خديه مدرارًا!

لله درّك أيها الشاعر من هذا التصوير العجيب.

ونعود إلى قصيدته التي قالها عن زوجته سارة بنت محمد عثمان التي يقول فيها:

<u>فبقي الجسد جثة دون روح</u> * إنمـــــــــــــا

الـــــــــروح نحـــــوك طـــــــارا

وعندما نمعن النظر إلى المفردات التي تحتها خط في صدر البيت السابق, نجدها تقدم لنا شاشة بيضاء, تبرز فيها صورة الشاعر

العاشق صافية نقية؛ وقد أصبح جسدًا بلا روح, وصار روحه في يد المعشوقة, تقلبه كيف تشاء, وقد شغفه حبّها وقضى عليه, وجرى في جسده مجرى الدم, وتغلغل في مخّه تغلغل المطر في الأرض وسال في عرقه سيلان الماء في الجداول, يتنفّس بأنفاسه, ويتحرك بحركاته! حتى أصبح كالجثة بلا روح.

وهكذا يعرض لنا الشاعر هذه الصور في لوحة واضحة, في ثنايا قصائده, قد حوت تجربته النفسية, بكامل جوانبها الفكرية والوجدانية, وعبّرت بمفرداتها عن دقائقها وتفاصيلها.

ب- الصور البيانية الخيالية:

عقد الشاعر في قصائده تشبيهات رائعة, واستعارات ومجازات ذات مغزى, في تقريب المعاني وإثباتها, وتوضيح المراد وبيانه, في شاشة بيضاء نقية, بعاطفته حسّاسة, وخيال جيّاش, لنقل أفكاره ووجدانه, نقلاً حيًا مؤثرًا على النحو التالي:

وفي البيت الأول من القصيدة الأولى, شبه الشاعر بلاء الحبّ وآلامه بالداء في قوله:

شغفت بحبّ هاجر حبّ صدق * ولم أعلم بأن الحب داء

ففي البيت السابق, ذكر الشاعر المشبه وهو(الحبّ). والمشبه به وهو (الداء). وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه, على سبيل تشبيه بليغ, للمبالغة والإغراق في ادعاء أن المشبه هو نفس المشبه به, حتى تتضح الصورة في النفوس.

وفي البيت العاشر من نفس القصيدة استعارة مكنية في قول الشاعر:

ولو راعيت حقي في هواك * لشاهدنا كما تبكي السماء

يتهم الشاعر محبوبته بعدم مراعاة حقه في هواها ولو أنها راعت حقه لفاضت الدموع من عينيها كما ينزل من السماء الماء، فشبه فيضان الدموع من العين بنزول الماء من السماء، ثم شبه نزول الماء من السماء بالبكاء واشتق من (النزول) ينزل ومن (البكاء) تبكى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

كما توجد في القصيدة تشبيه مقلوب في قول الشاعر:

أليس الشمس تسرق منك نورًا * وأنـــــــــــــت ضيـــــاؤه أنـــــــت الظبـــــــاء

يـدعي الشـاعر فـي هـذا البيـت بعاطفتـه الجياشـة؛ أن وجـه عشيقته أقوى وأظهر في الإشراق والضياء من الشمس فـي ضـحاها. وأن الشمس تقتبس نورها من نور معشوقته.

وهكذا قلب الشـاعر القضيّة وعكسـها؛ فجعل المشبه هو نفس المشبه به في خيال رائع, للمبالغة والإغراق, فأصبح التشبيه مقلوبًا.

استعمل الشاعر كلمة "تسرق" وعقد بها تشبيها, ويا حبذا لو استعمل كلمـة "تقبس" لكـان أليـق بالمقـام, لأن السـارق يأخـذ ذات الشيء ويوقع الإضرار على المسروق, بيد أن المقتبس لا يضر لمن اقتبس منه ولا ينقصه شيئا.

كما أن في عجز البيت تشبيهان بليغان في قوله: "أنت ضياؤه" وفـي قولـه: "أنـت الظبـاء", قـد اقتصـر الشـاعر علـى ذكـر المشـبه والمشبه به على سبيل التشبيه البليغ.

وبـالرجوع إلـى القصـيدة الثانيـة (روضـة النصـائح): نجـد فـي البيت الثامن منها مجازًا لغويًّا عند قول الشاعر:

مركّب الجهل يؤذي من يصاحبه * والله يـــــا نـــــور قلبـــــــي إنه خطـــر

في البيت السابق؛ مجاز عقلى فى استعمال المصدر مكان اسم الفاعل يريد بنور قلبى منور قلبي. توضيحًا للمعنى.

ويوجد في البيت العاشر من هذه القصيدة استعار تمثيلية في كلمتي: (الظلم) و (الأنوار). عند قوله

لا يستوي الظلم والأنوار كيف وذا * فـــــــــــــأنت عـــــــــالمة عـــــربية بحـــــــــر

أي يريد لا يستوي العلم بالجهل كما لا يستوى النور بالظلم. فاستعمل واو العطف محل الباء لتأخيره معمول (يستوى) حتي لا يفيد التعبير خلاف المقصود. وأراد بعدم استواء الظلم والأنوار استعارة تمثيلية، ليظهر ما في العبارة من روعة وجمال.

كمـا يوجـد فـي عجـز البيـت تشـبيه بليـغ حيـث شـبه الشـاعر محبوبتـه فـي علمهـا بـالبحر الـذي لا يـدرك سـاحله, فـذكر المشـبه والمشبه به وحذف الأداة ووجه الشبه, على سبيل تشبيه بليغ.

أما في البيت الحادي عشر من القصيدة يوجد فيه تشبيه تمثيلي في قوله:

لازمت سنة خير الناس كلهم * كما يلازم شمسًا ضوؤها القمر

شبه الشاعر هنا حال محبوبته؛ في ملازمتها هدي خير الخلق عليه السلام, واقتباسها من النور المحمدي, لينوّر لها طريق حياتها, وتهتدي به في ليلها ونهارها, بحال القمر الذي يلازم ضوء الشمس دائما, ويقتبس من نورها, ولا غناء له عنها, ثم يرسله إلى الآفاق ليلاً, يهتدي به الساري.

واستطاع الشاعر في البيت السابق – بخياله الخصيب – أن يصوّرلنا حال معشوقته, في صورة مكوّنة من أشياء عدّة عن طريق التشبيه التمثيلي تقريبًا للمعنى الذي يريد.

وبالرجوع إلى قصيدة الشاعر المسمى بـــــــــ(الداء عند الحبيب), نجده يقول:

عذاب الحبّ في جسمي وقلبي * دبيب النمل بل حتـــــــى العظاما

شبه الشاعر تسرّب لوعة الحب في جسده بدبيب النمل واستطاع عن طريق هذا التشبيه المفصل المؤكد أن يبرز صورته؛ وهو يعاني عذابًا أليما, وتعبًا شديدًا, والكلمات التي تحتها خط؛ هي التي قدّمت لنا صورة هذا الإنسان, يتسلّل العذاب والآلام إلى جميع جسده, ويحترق نار البلاء أعماق قلبه, ويجري مجرى الدم في عروقه, ويدبّ دبيب النمل في عظامه.

وبالعودة إلى القصيدة الخامسة (مرادي زواجك): نجد استعارة تصريحية في البيت العاشر في قوله:

ولو كنت ذا ثروة طائلة * لأنـــــــــفقت أحـــــــــدًا علـــــــى حقّها

فذكر الشاعر المشبه به وهو (جبل أُحُد) وحذف المشبه وهو (الدنانير أو الأموال الطائلة), يريد لو كان ذامال لأنفق مثل جبل أحد من الدنانير مهرا لها. على سبيل الاستعارة التصريحية.

وفي البيت الثاني عشر في القصيدة استعاره تمثيلية أيضًا في قوله:

إذا نطقت في دياجير ليل * تـــــرى النور يـــــــلمع مـــن قـــــولها

شبه الشاعر تلألأ أسنان محبوبته وبراقته فى دجى الليل بتلألأ البرق الساطع بالنور فى الظلامات الغمام. على سبيل استعارة تمثيلية ليظهر ما في العبارة من الجمال والروعة.

أما البيت السابع عشر؛ ففيه استعارة التصريحية عند قوله:

وإن نظرتني بطرف كحيل * يـــــــــــــرقص قلبـــــــي طـــــربًا لها

شبه عشق قلبه مشغوفا بالرقص طربا واهتزازا للحب واشتق من العشق يعشق ومن الرقص يرقص وحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المرشحة بذكر ما يلائم المشبه به. ذلك لأن الطرب من ملائم الرقص. ليقرب المعنى ويوضحه إلى ذهن السامع.

أما في البيت الثامن عشر ففيه تشبيه بليغ عند قول الشاعر:

إذا ما مشت ستراها غزالاً * وإن وقفـــــــــت لا مثيـــــــل لها

شبه الشاعر في البيت حبيبته بالغزال, واكتفي بذكر طرفي التشبيه؛ المشبه وهي (معشوقته). والمشبه به وهي (الغزال), على سبيل تشبيه بليغ, ليوضح الفكرة التي تدور في خاطره, ويقوى المعنى الذي يريد أن يتأثر في ذهن السامع.

وفي البيت الأول من القصيدة السابعة, يوجد تشبيه مرسل مفصل عند قول الشاعر:

هذه ورقتـــــي كاسمك سارة * إنهـــــا دائمًـــــا تـــــــزيد ســـــــرورا

شبه الشاعر هنا نسخة رسالته إلى محبوبته باسمها, ويعتبر هذه الرسالة أمامه كشخصية هذه المحبوبة مكانة ومقاما, كلما نظر إلى الرسالة وأعاد قراءتها يشعر كأنه يتلو اسم محبوبته التي يهواها؛ يتسامران ويتحدثان حديث الأحبّة فتغمره غبطة وسرور.

فالمشبه هنا (نسخه الرسالة الشعرية). والمشبه به هو (إسم المعشوقة) والأداة هو (الكاف) ووجه الشبه هو (السرور والفرح). الذي ينتج عند قراءة الرسالة, كما يوجد عند مسامرة الأحبّة.

فالتشبيه مرسل مفصل أتى به الشاعر؛ ليوضح الفكرة, ويوصل المعنى إلى ذهن المستمع والقارئ.

أما البيت السادس ففيه تشبيه بليغ عند قول الشاعر:

أنت حور قد تفوقين حورًا * ما تغاليت قلت ذاك مرارًا

شبه الشاعر محبوبته التي يهواها بنساء أهل الجنة (حور العين). واكتفي بذكر طرفي التشبيه فقط, هما (المشبه والمشبه به), على سبيل تشبيه بليغ, ليقوّي المعنى الذي يريده في ذهن القارئ والسامع.

المبحث الثاني: التشكيل المعنوي.

فاللغة العربية غنية بثراء المعاني, "قد يوضع اللفظ الواحد ويراد به معان متعدّدة, دون تعدّد اللفظ"[1] فالمعاني عبارة عن "قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام بمقتضى الحال, حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له".[2] وبه نقف على أسرار البلاغة نظمًا ونثرًا.

فقد استعان الشاعر حافظ ثروما كبر بهذا العلم في قصائده الغزلية, لإظهار وجدانه وعاطفته, ليبلّغها إلى القارئ والمستمع واضحة كالشمس في كبد السماء. كما يتضح ذلك في النواحي الآتية:

تقديم المسند إليه:[3]

فقد استعمل الشاعر حافظ ثروما كبر هذا التعبير في ثنايا قصائده الغزلية, لتوافق المعاني التي يريدها, ومن ذلك قوله:

فقلبي لا يزال على هواك

* متى يا هاجر يأتي الشفاء

---

[1]- راجع: عبد العظيم إبراهيم المطعي (الدكتور), خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية, الطبعة الأولى, 1413هـ - 1992م, مكتبة وهبة – القاهرة. ص:13

[2]- راجع: أحمد مصطفي (المراغي), علوم البلاغة, طبع 1430هـ - 2009م. المكتبة العصرية. صيدا – بيروت. ص:36

[3] لزيادة البيان فى هذا الباب: راجع بسيونى عبد الفتاح فيود (الدكتور) علم المعانى، المرجع السابق ص: 120 – 127.

فقدّم الشاعر المسند إليه في البيت السابق "قلبي" على الخبر الفعلي "لا يزال" فسرّ إفادة التقديم هو التأكيد في الأخبار بما امتلأ في قلبه من الحب والشوق لمن يهواها ليعجل المسرة فى قلب محبوبته للتفاؤل، "لأن السامع إذا فرغ سمعه فى ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور دهش وفرح"[1].

كما نجد تقديم المسند إليه على اسم الفاعل العامل عمل فعله, في البيت السادس عشر في القصيدة الأولى أيضًا:

وكنت لما سمـــــعت أشك شيئًا * أقـــــــوم مـــــانـــعـــــوه أم الـــــنساء

فتقديم المسند إليه هنا على اسم الفاعل يفيد الاختصاص، فالشاعر شاك ومرتاب من الكلام الصادر؛ بعدم الاكتفاء بدفع المهر لزواجه مع حبيبته بعد إتفاقهم على ذلك أجاءت هذه القضية من قبل الأولياء خصوصا, أم أنه صادر ومقصور من هذيان النساء.

ويقول في البيت الثاني من القصيدة الثانية:

إنـــــي أحبك حبًّا لا يخـــــــالطه * كذب ولا فيه تدليس ولا غدر

قدم الشاعر المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله "إني أحبّك" ليؤكد حبّه, ويثبت ما في قلبه من الرغبة إلى الاقتران بمحبوبته. وأخبر بالمضارع إيذانًا بأن حبّه إياها مستمرّ وراسخ, فلا مجال للشك فيه "وليتمكن الخبر فى ذهن السامع لأن فى المبتدأ تشويقا إليه"[2]. كقوله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[3]

كما نجده يقول في البيت العاشر من القصيدة الرابعة:

فلا قلبـــــــي يطاوعنـــــــي لصبـــر *
هنـــــاك فلـــــست أحيانًـــــا حـــــليمًا

فتقديم المسند إليه "قلبي" يفيد تعظيم لوعة الحب الذي أعدم للشاعر صبره وحلمه في قضية حبيبته.

تنكير المسند وتعريفه:[4]

---

[1] المرجع السابق: ص: 87.

[2] أحمد مصطفى (المرغى)، علوم البلاغة، المرجع السابق ص: 87

[3] سورة الحجرات: 13.

[4] لم يتعرف لهذا الباب كير ممن كتب في هذا فن، وأول من قتف أكمام أزهاره صاحب الكشاف، وتبعه من جاء بعده من علماء البيان. راجع أحمد مصطفى (المرغى)، علوم البلاغة، المرجع السابق ص: 107

سلك الشاعر حافظ ثروما كبر هذا المنهج لغرض بلاغي كما يتضح فيما يأتي:

يقول الشاعر في القصيدة الثانية في البيت الثامن:

مركّب الجهل يؤذي من يصاحبه * والله يـــا نـــور قلبـــي إنه خطـــر

فتنكير المسند في البيت "خطر" يفيد تعظيم أمر الجهل, وتفخيم خطورته.

ويقول في البيت السادس من القصيدة السابعة:

أنـت حـــور قد تفوقيـــن حـــورًا * ما تـــغاليت قـــلت ذاك مـــرارًا

فتنكير المسند في البيت السابق أفاد تعظيم جمال الممدوحة وتفخيمه, وأنه قد بلغ هذا الجمال درجة لا يدرك كنهه.

إستعمال اسم الإشارة لغرض بلاغي:

استعمل الشاعر حافظ ثروما كبر أسماء الإشارة لغرض بلاغي, ومن ذلك قوله في البيت السادس عشر من القصيدة الثانية:

هذي النصائح قد تمت بقدرة من * بـــأمره وجد الأنثـــى مع الذكـــر

فاسم الإشارة في البيت "هذي" يفيد الإشارة بأهمية هذه النصائح وعظمتها، التي قدمها إلى محبوبته, وأنها لا تندم في حياتها ما دامت ملتزمة بما جاء فيها فالغرض البلاغي هو التعظيم.[1]

ونفس الشئ نجده في البيت الرابع عشر من القصيدة الرابعة:

فقالـــت حـــافظ والله إنـــي * بلغت بشغف حبّك ذا المقاما

أشارت هذه الحبيبة إلى درجة مقام الحب الذي تكنّه في نفسها, وتعظيم خطورته في قلبها, فكأنها تستعطفه ليرحمها فالغرض من الإشارة هو التعظيم.

ويقول الشاعر حافظ؛ في البيت الثاني عشر من القصيدة الخامسة:

فـــإن تمّ قبل فـــهذا مـــرادي * أفـــوّض أمـــري إلـــى ربهـــا

[1] راجع: أحمد مصطفى (المرغى)، علوم البلاغة، المرجع السابق ص: 98 – 99.

استعمل الشاعر اسم الإشارة للقريب في البيت السابق, ليبين شدة شغفه, بأن عسى أن يكون عقد الزواج بينه وبين حبيبته قريبًا وليميزه "أكمل تمييز لاحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة الحسية[1].

ويقول الشاعر في البيت الخامس في نفس القصيدة أيضًا:

فهذي القصيدة فـي حق بنت * حـبيبـــــك حافظ قـــــد قـــــالها

اسم الإشارة هنا للقريب, "هذي". استعملها الشاعر ليحقق لحبيبته عظمة الحب الذي تكنّه نفسه, وأن قلبه قريب منها ومتعلق بها.

ونجده يقول في البيت الثالث عشر من القصيدة السادسة, بعد أن تزوج زوجته الثالثة:

مـــــــرادي ثم لا أرجـــــو مزيـــــــــدًا *

وهـــــــذا ما يبـــــــوح به فـــــؤادي

استعمل الشاعر اسم الإشارة للقريب, ليظهر عظمة ما هو فيه من النعمة, وما حققه من المراد, وليبوح بما غمره من السرور والغبطة.

أما في القصيدة السابعة استعمل الشاعر اسم الإشارة للقريب في البيت الأولى:

هذه ورقتـــــــــي كـــــــاسمك ســـــــارة *

إنهـــــــا دائـــــــما تـــــــزيد ســـــــرورا

استعمل الشاعر هذا الأسلوب لإفادة قرب حبيبته منه, وإن باعدتهما المكان فمكانتها في قلبه ما هو عليه ببعيد.

ويقول في نفس القصيدة السابقة الذكر في بيتها الثالث عشر:

سال فـي العرق حبها وتسـرى * في عظامـــــي فشدّ فـــــــي ذاك أمـــرًا

فكلمة "ذاك" اسم إشارة لمتوسط البعد؛ فهي تفيد مع الرغم من هذا القرب والإندماج بين قلب الحبيب وقلب حبيبته, لكن الحبيبة بعيدة المدى خطورة الشأن.

الغرض من إلقاء الخبر:

[1] راجع: المرجع السابق ونفس الصفحة.

ألقى الشاعر حافظ ثروما كبر بعض الأخبار في قصائده الغزلية, ولم يرد بها إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة, ولا الإفادة بأن المتكلّم عالم بهذا الحكم, بل ألقاها لأغراض بلاغية أخرى تستفاد من سياق الكلام على النحو التالي:

نجد الشاعر في القصيدة الأولى في البيت الخامس منها يتمنى قائلا:

فقلبي لا يـــــزال علـــــــى هــواك * متى يـــــا هاجر يأتي الشفـــــاء

فالشاعر في هذا البيت, لا يقصد أن يخبر حبيبته ويفيدها عمّا وقع فيه من المشاكل بسبب حبه إياها. لكونها تعلم يقينا ما هو فيه, بل أنها هي التي أوقعته في هذه القيود والأصفاد. وإنما يتمنى من حبيبته, ويرجو شفقتها ورضاها, بأن تصغي إليه راضية بطلبه, لتسير هذه السفينة في بحر الحب,وتطيب لهما الحياة. فالاستفهام هناك يفيد معنى التمنى، بما فيه من التماس اللقاء كي يشفي القلب من شغف الحب. لأن الخبر الذى قبل الاستفهام ليس هو الرئيسي، بل هو تمهيد للإنشاء الطلبي.

ونجد <u>الاسترحام</u> في البيت التاسع عشر وفي البيت العشرين في القصيدة الخامسة في قوله:

هي السبب في جرح قلبي لكن * دواء الجروح علـــــى قلبها

أقول ونفســـــــي ترجـــــــي رضاها * ودمعي يسيل على حبها

نجد الشاعر حافظ ثروما كبر يظهر الأسى والحزن في البيت العاشر من القصيدة الرابعة:

فقلبـــــــي لا يطاوعنـــــي لصبـــــر * هناك فلست أحيانًـــا حليمًا

فالشاعر في البيت السابق لا يقصد إفادة حبيبته بشئ تجهله من حاله الذي وجد فيه نفسه من الضجر وعدم الصبر مهما حاول تكليف نفسه ذلك. إنما يتحسر ويظهر الأسى والحزن لعدم فوزه بحبيبته وبعدها عنه؛ علّها تعطف له بعد سماع شكواه, وتركن إليه, وتمسح له دموعه شفقة ورحمة, وحينئذ تنتهي المشكلة.

فالغرض البلاغي من إلقاء الخبر هو: <u>التحسر</u>.

أما في البيت العاشر من القصيدة الثانية يقول فيها الشاعر:

لا يستوي الظلم والأنوار كيف وذا * وأنـــــــــت عـــــــالمة عـــــــربية بحـــــــــر

فالشاعر هنا لا يريد إفادة المخاطبة بما تضمنته البيت الشعري من القضايا والأخبار, بل غايته القصوى: التذكير بما بين العلم والجهل من تفاوت الدرجات, وهي الحاكمة في موقف الذي تختار لنفسها. إذا فالغرض من إلقاء هذا الخبر هو: التذكير.

أساليب الاستفهام:

ومن أهم وسائل يسلكها الشاعر في إظهار وجدانه, وتبليغ رسالته؛ أسلوب الاستفهام. "والتجربة الشعرية التي يشكّلها الشاعر من خلال الاستفهام تجربة نامية.[1]

وسلك الشاعر حافظ ثروما كبر هذا المنهج, في ثنايا قصائده الغزلية, كما يتضح ذلك في النقاط التالية:

يقول الشاعر حافظ ثروما كبر في البيت الرابع عشر في قصيدته الأولى:

أبـــــــعد محـــــــــبّة وتمـــــــام عـــــــهد * هل العادات خيـــــــر أم وفـــــــاء

ففي صدر هذا البيت, جاء الشاعر حافظ بأسلوب الاستفهام عند قوله: "أبعد محبة". واستعمل الشاعر حرف الهمزة "أ" لطلب التصديق, لتردّده في ثبوت النسبة أو نفيها, فذكر المسؤول عنه وهو الظرف "بعد" مباشرة بعد أداة الاستفهام, ليفيد الإنكار؛ بأن ما كان لا ينبغي أن يكون. إذا فالغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو: الإنكار.

أما في عجز البيت؛ وفيه استفهامان كما يبدو عند قوله: "هل العادات خير أم وفـــــاء"

استعمل الشاعر كلمة "هل" الاستفهامية للتصديق, فالسائل بها متردّد في معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها, ولذا لا يكون معها معادل, لأن ذلك يؤدي إلى التناقض. فمجيئ "أم" بعد "هل" في عجز البيت لم تكن للاستفهام تجـــنّـــبًا من التناقض, لأن "هل" تفيد أن السائل بها جاهل بالحكم. أما "أم" فهي تفيد أن السائل بها عالم

[1]- راجع: حسني عبد الجليل يوسف (الدكتور), أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي, الطبعة الأولى 2001م مؤسسة المختار, القاهرة. ص:7

بالحكم, وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين, إذا فـــــ "أم" هنا ليست للاستفهام, وإنما هي "منقطعة" بمعنى "بل" التي تفيد الاضطراب.

فالغرض البلاغي من الاستفهام بـــــــ "هل" في هذا المكان هو الإنكار.

أما في البيت السادس عشر من نفس القصيدة, حيث يقول الشاعر:

وكنت لما سمـــــــعت أشك شيئًا * أقـــــــــوم
مـــــانـــــعـــــوه أم النســـــــــاء

بدأ الشاعر في هذا الأسلوب الاستفهامي, بذكر المسند إليه؛ وهو المسؤول عنه: "أقوم" و "أم نساء" فذكره مباشرة بعد الهمزة الاستفهامية, طلبًا لتصوّر المفرد ومعرفته. لأن السائل في هذا البيت لا يشك في الفاعل من هو؟ ويعتقد أن أحد المذكورين في عجز البيت هو المانع, ويريد التعيين. وأما الغرض البلاغي لهذا الاستفهام هو: التعجب!

الاستفهام بالهمزة مع ليس:

"أما الاستفهام الذي تأتي فيه ليس بعد همزة الاستفهام؛ فإن دلالته تتميز عن دلالة ما سبق من أنماط استفهامية.[1]

ولعل ذلك مما جعل شاعرنا حافظ ثروما كبر يعطي هذا النوع من الاستفهام حظا أوفر من غيره في قصائده الغزلية.

ومن ذلك قوله في البيت الحادي والعشرين من القصيدة الأولى:

ألست فريدة أدبًا وخلقًا * أليس يقال أن لك الحياء

فالشاعر هنا ينكر تصرفات حبيبته, لظهور ملامح إعراضها عن حكم والديها, بعد صدور قرار منهما بعدم الإكتفاء على الصداق فقط في قضية زواجهما, ويذكّرها بأن هذا الموقف الذي اتخذته لا يليق بها, لما اتصفت به من الأخلاق الفاضلة, والسير الحميدة. ويدل على ذلك قوله في البيت الذي قبل هذا:

أطيعـــــي والديك فلا تثوري * فحكمهما عليك هو الضياء

ونلاحظ: أن الشاعر استعمل الهمزة الاستفهامية مع ليس مرتين في البيت, والخبر في الأولى- الذي في صدر البيت – اسم

---

[1]- راجع: حسني عبد الجليل يوسف (الدكتور), أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي, المرجع السابق. ص:101

مفرد نكرة, وفي الثانية – الذي في عجز البيت- جملة فعلية. والغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو الإنكار.

ونجد مثل ذلك في البيت الثاني والعشرين من نفس القصيدة في قوله:

أليس الشمس تسرق منك نورًا * وأنـــــت
ضيـــــاؤه أنت الظبـــــــاء

ولكن الشاعر هنا يريد أن يثبت ويقرر لمحبوبته هذه الصفة. ولذا يكون الغرض البلاغي في هذا الاستفهام هو: التقرير.

ومثل ذلك جاء في البيت السابع من القصيدة السابعة عند قول الشاعر:

أوليـــــس الإلـــــه ضـــــاعف أجرًا *
للمصليـــــــن والمبيتيـــــن ذكـــــرا

والشاعر في البيت يريد أن يـبـرّهن على قضية أشار إليها في البيت الذي سبق هذا:

أنـــــت حـــــور قد تفوقيـــــن حـــــورًا * ما
تـــــغاليـــــت قلت ذاك مـــــــرارا

من أن حبيبته أفضل من الحور العين لكونها تصوم وتصلى وتذكر الله تعالى, والله تعالى يضاعف الأجر لمن يفعل ذلك أضعافًا كثيرا.

فإذا نظرنا إلى المعنى الذي يقرره الشاعر بما تضمنته البيت من خلال الاستفهام, يتبين لنا غرض بلاغي وهو: التكثير.

في البيت الثالث من القصيدة الثالثة فالشاعر يقول:

لا حياة بـــــــدون شـــــــوق وحبّ * كيف طال الحياة من سنوات

يرى الشاعر في البيت السابق؛ أن الحب هو الحياة بعينها, يتنفس بأنفاسها, ويموت بموتها, فوا عجبًا كيف طالت لنا الحياة, وهي عارية من الحبّ! فالغرض البلاغي من الاستفهام هنا هو:التعجب.

وفي البيت الأول من القصيدة السادسة يقول الشاعر:

ألا مـــــن مبـــــلّغ الثقلـــــين طـــــرًّا * بأنـــــي
قد بـــــلغت إلـــــى مـــــــرادي

فالشاعر يظهر في هذا البيت في غاية السرور والفرح, وهو ممتلؤ بالشوق، راجيا أن يفوز بعاقل يدرك ما هو فيه من الغبطة والسرور, لكي يساعده في تبليغ العالم كلّه؛ ما كان فيه من حياة طيبة مملوءة بسعادة, لأجل الوصول إلى هدفه وتحقيق غايته. والغرض البلاغي من هذا الاستفهام هو: التشويق.

المبحث الثالث: تشكيل البديع المعنوي واللفظي:

استعمل الشاعر في قصائده فنون البديع من المحسنات اللفظية والمعنوية. لتزيين الألفاظ وإبراز المعاني وتوضيحها, وليستعين بها على تداعي الأفكار في الأذهان. ومن ذلك الطباق، وهو ذكر الشيء وضده:

وفي البيت الأخير, من قصيدته التي كتبها إلى مخطوبته (هاجر), يوجد طباق إيجابي بين كلمة (صعب) وكلمة (يسهل), عند قوله:

لذا فلنسأل الله انكشافًا * فكم صعبًا يسهله الدعاء

وكما يوجد طباق سلبي في قصيدته التي سماها: (روضة النصائح) بين كلمة (ما ضرّني) وكلمة (إنما ضرّني) في قوله:

ما ضرّني كرم الأخلاق أو نسب * وإنما ضرني إن كان ذا فقر

وفي نفس القصيدة التي كتبها إلى محبوبته طباق إيجابي بين كلمة (الظلم) وكلمة (الأنوار) في البيت العاشر من القصيدة عند قوله:

لا يستوي الظلم والأنوار كيف وذا * وأنت عالمة عربية بحر

كما هو الشأن في البيت السادس عشر في القصيدة حيث وجد الطباق الإيجابي؛ بين كلمة (الذكر) وكلمة (الأنثى), في قوله:

هذي النصائح قد تمت بقدرة من * بأمره وجد الأنثى مع الذكر

وفي قصيدة الشاعر: (الروض العاشق), أتى بطباق إيجابي, في البيت الثاني؛ بين (ضحاء) و (الدجي), عند قوله:

ذقت حلوًا أتى به الشو * ق ضحاءً وفي الدجي وغداة

وفي نفس القصيدة الطباق السلبي أيضًا, في البيت الثالث بين كلمة (لا حياة) وكلمة (طال الحياة) في قول الشاعر:

لا حياة بدون شوق وحب * كيف طال الحياة من سنوات

كما يوجد طباق إيجابي بين كلمة (ليل) وكلمة (نهار) في قصيدته التي كتبها إلى زوجته سارة بنت محمد عثمان حيث يقول:

بغيتي حين تقرئين كتابي * إلزمي في الدعاء ليل نهار

ويوجد الجناس فيى شعره الذي هو "أن يتفق اللفظان فيى النطق ويختلفا في المعنى"[1] ومن أنواعه جناس ناقص, في كلمة (بِنْتَ) و (بِنْتُ) في البيت الرابع, في قصيدة الشاعر التي سماها: (الروض العاشق), عند قوله:

كان حبّي لِبِنْتَ بِنْتُ كرام * فاق وصف لها جميع البنات

فـــــــــ (بِنْتَ) الأولى اسم لحبيبته, و (بِنْتُ) الثانية يعني بها: إبنة.

كذا في القصيدة التي قالها لمخطوبته, هاجر بنت سليمان, يوجد فيها جناس غير تام, بين كلمة (داء) وكلمة (دواء) في قوله:

وداء الحبّ ليس له دواء * ألا والله آخـــــــره اللقـــــــاء

وأتى الشاعر بالاقتباس في شعره الذي يراد به: "أن يتضمن المتكلم كلامه شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف دون أن يشعر بذلك"[2] ويتضح ذلك

في قصيدته: (روضة النصائح) حيث اقتبس الحديث النبوي في البيت السابع من قوله:

فجاء قول رسول الله سيدنا * خذ ذات دين وغادر من له الفخر

فجاء بكلمات تتضمن وتوافق لفظ الحديث القائل: "تنكح المرأة لأربع: لمالها, ولحسبها, ولدينها, فاظفر بذات الدين تربت يداك"[3].

وفي القصيدة الخامسة(مرادي زواجك), اقتبس الشاعر عجز بيت أبي العتاهية التي اقتبسها هو من القرآن الكريم. فقال:

---

[1]- راجع: فضل حسن عباس (الأستاذ الدكتور)، البلاغة فنونها وأفنانها، الطبعة الثانية عشر، 1429ه/2009م، دار النفاش- الأردن. ص: 347.

[2]- راجع: بسيوني عبدالفتاح فيود (الدكتور)، علم البديع، الطبعة الثانية، 1429ه/2008م مؤســـــسة المختار – القاهرة. ص: 225.

[3]- رواه مسلم, في باب إستحباب نكاح ذات الدين: (1466/53) راجع: بيت الأفكار الدولية, صحيح مسلم, 1419هـــــ - 1998م الرياض – المملكة العربية السعودية, ص:583

ولو نالها أحد غيره * لزلزلت الأرض زلزالها

فقال الشاعر في البيت الثالث من القصيدة:

أحبّك دومًا إلى يوم دكّت * وزلزلت الأرض أثقالها

والكل مقتبس من قوله تعالى: "إذا زلزلت الأرض زلزالها"[1]

كما اقتبس الشاعر في القصيدة آيتين من كتاب الله تعالى في البيت الرابع في نفس القصيدة في قوله:

ويوم يفر أخ من أخيه * وأخرجـــت الأرض أثقالها

فصدر البيت مقتبس من قوله: "يوم يفرّ المرأ من أخيه, وأمه وأبيه, وصاحبته وبنيه, لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه"[2]

أما عجز البيت فمقتبس من قوله جل جلاله: "وأخرجت الأرض أثقالها"[3]

ويعتني هذا الشاعر ببراعة الاستهلال، هو: "طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا يتجافى بجنوب اللفاظ عن مضاجع الرقة، وأن يكون التشبيب بنسيبها مرقصا عند السماع"[4] وقد أتى الشاعر به في أربعة قصائد من قصائده الغزلية:

نرى الشاعر بمجرد رفع صوته في البيت الأول – في طلائع هذه القصائد الشاعر الأربعة – بألفاظ رقيقة جذابة, تزاحمت المعاني الواضحة, وبعثت الوجدان من مرقدها, ورقّصت الآذان بالتشبيب عند السماع. فمطلع هذه القصائد الأربعة؛ تدل على مضمونها, ومشعرة بغرضها.

فتصريح الشاعر في أول بيت من القصيدة الأولى؛ بأنه مشغوف بحب عشيقته بكل صدق وإخلاص, حتى أوقعه الحب في داء عضال. فيه إشارة غزلية لطيفة, يتذوقها صاحب الذوق السليم, ويستدل بها على الغرض الذي يقصده الشاعر, وإن لم يصرح به في القصيدة. اسمعوه وهو يقول:

شغفت بحبّ هاجر حبّ صدق * ولـــــــــــــم أعـــــلم بـــــــــــأن الحبّ داء

---

[1]- سورة الزلزلة, الآية:1

[2]- سورة عبس, الآية:34 - 37

[3]- سورة الزلزلة, الآية:2

[4]- راجع: أبوبكر محمد بن علي (ابن حجة الحماوي)، خزانة الأدب في غاية الأرب، الطبعة العصرية، 1430هـ/2009م. المكتبة العصرية، صيد- بيروت.ص: 20/1

ونفس الشئ ما نجده في مطلع القصيدة الثالثة, حيث استهلها الشاعر بإظهار ما يتمناه؛ فهو يرجو أن لو كانت الحياة برمّتها في ودٍّ بين المتحابين وفي حديث ومسامرة مستمرة بين العشيق ومعشوقته استمع إليه قائلاً:

حبّذا العيش كله في وداد * وحديث الفتى مع الفتيات

ولا يجد القارئ كبير تعب عند قراءته مطلع القصيدة, حتى يدرك غرضها من خلال ألفاظها, وما تضمنته من المعاني؛ بأن الشاعر متغزل.

وعندما نعود إلى مطلع البيت الأول في القصيدة الرابعة, نجد الشاعر مستمرًّا في البكاء, وقد غمره الشوق والغرام بذكرى عشيقته وهواها, استمع إلى قوله:

بكت عيناي مرّات عديدة * بذكرك بنت شوقا أو غراما

فكل من سمع تصريخاته, ورفع صوته بهذه الكلمات باكيًا في مطلع القصيدة, يحسّ ويشعر بكل سهولة, بأن الشاعر متغزل, وقع في بحر الشوق والغرام, فهو في أشد الحاجة إلى منقذ!

أما في القصيدة الخامسة فقد استهلها الشاعر بقوله:

أعيش وأحيا على حبّ بِنْتَ * فلا حد في كنه حبي لها

فأنت ترى؛ من مطلع القصيدة, بيّن وأوضح الشاعر؛ أن معيشته وحياته, سعادتها وشقائها, لذتها ومرارتها, مركزة ومؤسسة على حبّ عشيقته وهبها من الحبّ ما لا حدود له ولا قيود!

فالذي يتذوق الأدب العربي, لا يحتاج ولا ينتظر الشاعر؛ أن يبوح ويصرح له بأنه متغزل.

وكما استحسن ذكر التخلص في قصائده الذي هو: "أن يستطرد الشاعر المتمكن، من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه، بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من معنى الأول إلا وقد وقع في الثاني".[1] ويتضح ذلك في قوله:

[1]- راجع: أبوبكر محمد بن علي (ابن حجة الحماوي)، خزانة الأدب في غاية الأرب، المرجع السابق ص: 326/2.

شغفت بحب هاجر حب صدق * ولـــــم أعـــــــلم بـــــــأن الحب داء

والمتوقع من الشاعر أن يستمرّ في الغزل إلى نهاية القصيدة, فإذا هو يتخلص من الغزل إلى عتاب لطيف في البيت الثامن وما بعده في القصيدة قائلاً:

فكنتِ تركت حافظ لا تبالي * بـــــــــــــعيشته وميتتـــــــه ســـــــواء

وهكذا تخلص الشاعر بدقة ورشاقة, حيث لا يشعر السامع ولا يتفطن بذلك القارئ, لشدة قدرة الشاعر في الممازجة والالتئام بين الغرضين, وتمكنه في إفراغهما في قالب واحد. ثم عاد إلى غرضه الأساسي في البيت الثاني عشر وما بعده قائلاً:

فإني قد وعدتك وعد صدق * وربـــــــــــــي حـــــــاكم فيما يشـــــــاء

كما أتى الشاعر بحسن الختام: "وسماه ابن أبي الإصبع حسن الخاتمة، وهذا النوع الذي يجب على الناظم والناثر أن يجعلاه خاتمة لكلامهما مع أنهما لا بد أن يحسنا فيه غاية الاحسان"[1]

فقد أحسن الشاعر خاتمة قصائده غاية الإحسان, حتى أن القارئ أو السامع, عندما يأتي إلى أكثر خاتمة قصائد الشاعر, تبقى وترسخ في ذهنه ما تضمنته القصيدة من المعاني برمّتها من خلال الخاتمة.

وأقرب مثال في ذلك؛ قصيدة الشاعر الأولى, التي استفتحها بقوله:

شغفت بحب هاجر حب صدق * ولـــــــــــــم أعـــــــلم بـــــــأن الحب داء

وداء الحـــــــــــب ليـــــــــس لـــــــــه دواء * ألا واللـــــــــــــه آخـــــــــــــــره اللقـــــــــــاء

فإذا بالشاعر يختم القصيدة ببيت, يمتّ بحبل الصلة إلى جميع ما جاء في القصيدة؛ من شغف الحب وآلامه, والعوائق التي عرقلت على مسيرته, والفقر الذي يعاب الرجال من أجله, فيقول:

---

[1]- أبوبكر محمد بن علي (ابن حجة الحماوي)، خزانة الأدب في غاية الأرب، المرجع السابق ص: 477/2.

لـــــــذا فلنسأل الله انـــــكشافًـــــــا * فكـــم صـــعبًا يـــــسهله الدعـــــاء

ويجيئ الالتفات في القصيدته الرابعة، الذي فسره قدامة بن جعفر بن قدامة بقوله: "هو أن يكون المتكلم آخذا في معنى، فيعترضه شك فيه، أو يظن أن رادا يرده عليه، أو سائلا يسأله أن سببه، فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإما أن يجلي الشك، أو يؤكده، أو يذكر سببه"[1] وذلك في قوله:

بـــــكت عيناي مرات عديدة * لذكـــــــرك بِنْـــتَ شـــــــوقًا أو غـــــراما

والملاحظ هنا؛ أن الشاعر لما أتى بالمعنى الذي تضمنه صدر البيت, عرضه شك أو ظنّ أن يرد عليه, أو سائلا يسأله عن سبب بكائه, فالتفت إليه الشاعر, يبين له سبب بكائه ودواعيه في عجز البيت.

كما نجد مثل ذلك في البيت الثامن من القصيدة الثانية, عند قول الشاعر في صدر البيت: "مركب الجهل يؤذي من يصاحبه". فأحس الشاعر؛ كأن عارضا يعرضه, أو يسأله عن السبب. فلتفت إليه قائلا في عجز البيت: "والله يا نور قلبي إنه خطر".

ومثل ذالك ما نجده فى البيت الثاني من القصيدة الخامسة:

وليست تعيش على غير حافظ * ولست اعيش على غيرها

نجد الشاعر قد اللتفت من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم لأن ذكر "حافظ" فى صدر البيت يفيد الإضمار المقدر من ذكر لإسم إذ يقدر بهو، وجاء بتاء المتكلم مع ليس في عجز البيت وضمير أنا المقدر مع أعيش تدل على الالتفات.

المبحث الرابع: تقويم الموسيقي الشعرية.

"إن الكلام الموزون ذا النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا"[2] وإن مما تتميز به لغتنا العربية, حرصها على الحس الجمالي, عن طريق امتاع الأذن بما تحققه من جمال لفظي,

---

[1]- المرجع السابق. ص 141/1

[2]- راجع: رجب عبد الجواد إبراهيم (الدكتور): موسيقي اللغة, دار الآفاق العربية طبعة: 1423هـ - 2003م, القاهرة ص:4

وتراكيب موسيقية"[1] تعتبر الموسيقي الشعرية من أهم مقوّمات الشعر عند العرب, وهو الذي يعطي للشعر بعض أسرار امتيازه ويميزه عن غيره.

لأنه سريع التأثير في الوجدان, وهو يحرك المشاعر بشدتها أو هدوئها, وبسرعتها أو بطئها وبلينها أو عنفها, فيحرك عواطف معينة قد تكون الأمل أو اليأس, السرور أو الحزن، الغضب أو الكراهية.

ومصدر الموسيقي الوزن والقافية, وعنهماتنشأ وحدة النغم أو الانسجام, الشيء الذي يسميه العروضيون في الشعر, (البحر) وهو يتألف من مجموعة وحدات إيقاعية تطلق عليها اسم (التفعيلات) يتكون منها الوزن الذي يتم بناء القصيدة عليه وتتكون البحور الشعرية من التفاعيل العشرة التى تتكون من ائتلاف الأسباب والأوتاد والفواصل.

وللعروض في هذا المجال أهميّة كبرى في دراسة الأشعار, لمعرفة ما صلح منها وما فسد, يحتاج إليه الشاعر حاجة الظمآن إلى الماء البارد, أو المريض للدواء الشافي, فهو العاصم والمانع من وقوع الشعراء في دائرة الزلل والخلل, والقائم بتصويب الموسيقي الشعرية, وضبط الأوزان وتحقيق القوافي, كما يهدف النحو والصرف إلى تخليص الألسنة وتحصينها من آفات النطق واللحن.

وفهم الدارسين والباحثين للقصائد العربية "متوقف على صحة قراءته, وهذه لا تتأتي إلا لمن لديه القدرة على معرفة صحيح الأوزان, والتمييز بين أنواعها المختلفة"[2] "فتعلّمه يحرّك كوامن النفس على إيقاعات الشعر وأنغامه, فيهذب الطباع, وينمي الذوق والاحساس بجمال القصيدة, ورقّة الأشعار, وسلامة الايقاعات, التى تهزّ السرائر بسحرها, وتشنف الآذان بلآلي أنغامها".[3]

قصائد حافظ والقوانين العروضية:

فالبحر الشعري والقافية هما الإطار الذى يحوى القصيدة, فقد أحسن الشاعر إختيارهما.

---

[1]- المرجع السابق, ص:3

[2]- راجع: عبد العزيز عتيق (الدكتور), علم العروض والقافية, دار الآفاق العربية, الطبعة الأولى, 1427هـ- 2006م القاهرة, ص:9

[3]- راجع: مأمون عبد الحليم وجيه (الدكتور), العروض والقافية بين التراث والتجديد, مؤسسة المختار, الطبعة الأولى؛ 1428هـ - 2007م, ص:1

فاختار بحر الوافر لثلاثة قصائد من بين سبعة في قصائده الغزلية؛ وهي قصيدته الأول, والرابعة, والسادسة. كما سيأتي البيان بالتفصيل.

ويرى الباحث أن اختيار الشاعر لبحر الوافر بالنصيب الأوفر من بين قصائده الغزلية لم يأت عفوًا, وإنما اختاره لبيان وفرة شغفه وكثرة لوعته, على محبوبته بكل تأكيد.

واختار لقصيدته الثانية بحر البسيط, فهو مأخوذ من البسط والنشر, أو أنه مأخوذ من البسطة بمعنى السعة لينشر للعالم كثرة إضطراب قلبه. وسعة شوقه إلى محبوبته.

أما القصيدة الثالثة والسابعة, فقد اختار لهما بحر الخفيف لخفّة حركة قلبه واضطرابه إلى محبوبته.

واختار في الخامسة بحكمة بالغة وفلسفة نادرة بحر المتقارب, رجاء أن يوصله ويقرّبه في نهاية المطاف إلى محبوبته.

وهذه الموسيقي الظاهرة تُعتبر عنصر حيويّ, من عناصر الصياغة في التجربة الشعرية, له أثره في التأثير النفسي, والانفعال الوجداني ولا يخلو الشعر من هذه الموسيقي.

كما يجد الباحث الموسيقي الخفيّة في هذه القصائد التى تكوّنت "في لون خفي يحدث في النفس ذبذبات وهزات خاصة, نتيجة لتفاعل الألفاظ والعبارات والصور والأخيلة, وانتساقها في وحدة نغمية لها أثرها في النفس"[1].

ومن خلال ما قام به الباحث من دراسته لهذه القصائد, من حيث التصوير الفني والصور البيانية, تتبيّن الموسيقي الداخليّة كالشمس في ضحاها, وأضف على ذلك الكلمات الآتية:سواء, ويشاء, ووفاء, وغباء, كما في القصيدة الأولى. والزماما, والعظاما, والظلاما, والدراما, كما في القصيدة الرابعة. ثم انظر إليها نظرة دقيقة, تجد مع رغم تباعد موقعها في العبارات, إلا أنها كانت من انفتاح ومدّ صوتي, يتولّد منها إيقاعات نغمية, يشعر القارئ كأن هناك صوت يتولّد من ضربات آلة من آلات الغناء لإنشاد شعر لسبب ألفات المدّ قبل الروي, وألفات مدّ أخرى قبله وبعده في

[1]- أحمد محمد صقر (وآخرون) الأضواء اللغة العربية, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, 2003م جـ/1 ص:32.

المجموعة الثانية. مما ساعد على تكوين هذا اللون من الموسيقي الداخلية.

ولكي يكون البيان واضحًا, يلتقط الباحث بعضًا من أبيات هذه القصائد, ويقوم, ببيان أصناف القوافي وعيوبها, وأنواع الزحاف والعلل حسب ضوابط وأحكام هذه البحور ليكون مثالاً على النحو التالي:

القصيدة الأولى التي قالها عن مخطوبته هاجر:

هذه القصيدة همزية, من بحر الوافر, وهو بحر كثير الحركات وفير الأجزاء"فليس في البحور أكثر حركات منه"[1].

ومن خلال الإيقاع في هذا البحر بحركته المترددة بين الارتفاع والهبوط؛ يؤكّد على حركة واضطراب قلب الشاعر وشغفه ولوعته على محبوبته.

وهذا البحر سداسي الأصل في تفعيلاته (مفاعلتن) ثلاث مرات في كل سطر ولكنه لم يرد صحيحًا أبدًا بل لابد من قطف عروضه فتصير (مفاعلتن) (مفاعل) وتحوّل إلى (فعولن).[2] وأبياتها كلها موصولة[3] ومردوفة[4]

وفيها يقول الشاعر:

شغفت بحبّ هاجر حبّ صدق * ولـم أعـــــلم بأن الحـــــبّ داء

وداء الـــــحـــــب لـــيـــــس لـــــه دواء

* ألا والله آخـــره اللـــــقـــــاء

التقويم:

فهذه القصيدة كلها موصولة بالواو كما ترى، إلا بيت السابع فقط فهو موصول بالألف في قوله:

---

[1]- راجع مأمون عبد الحكيم وجيه (الدكتور), العروض والقافية بين التراث والتجديد الطبعة الأولى 1428هـ 2007ام مؤسسة – القاهرة ص: 118

[2]- راجع: محمد مصطفي (الأستاذ) أهدى سبيل إلى علمي الخليل, المكتبة العصرية, 2011م 1432هـ صيدا- بيروت, ص:46

[3]- الوصل هو حرف المدّ واللين – الذى يلى الروي المطلق. وسمي وصلاً لأنه وصل حركة حرف الروي وهذه الحركة إذا اتصلت واستطالت نشأت عنها حروف اللين" المرجع السابق: ص:191

[4]- هو حرف مدّ ولين- حركة ما قبله من جنسه – يقع قبل الروي مباشرة ليس بينهما فاصل, كالواو في "يقول" والياء في "بيع" والألف في "نام". المرجع السابق:293

أجيبي فالجواب يكون عرسًا * فـــــــحينئذ تجيـــب لـــــي النـــــــداء

وهذا مما يؤخذ على الشاعر في القصيدة, فروي هذا البيت ينبغي أن يكون منصوبًا, لأنه مفعول به لفعل (تجيب).

فالشاعر مضطر إلى أحد المحظورين:

أ- إمـــا أن يراعـــي قواعـــد النحـــو, فيكـــون فـــي الإيقـــاع والموسيقي خللا.

ب- وإما أن يراعي الموسيقي والإيقاع؛ فيرفع روي البيت السابع, مخالفًا قواعد النحو, متمشّيًا مع الموسيقي والإيقاع.

ويعتبر العروضيون الاختلاف في حركة الروي قبيحًا وشنيعًا, ويسمونه (الإقواء). ويكون أكثر بشاعة وقبحًا؛ إذا كان الاختلاف مع الفتحة كما وجد في هذا البيت[1]

القصيدة الرابعة: (الداء عند الحبيب):

وهي أيضًا من بحر الوافر كسابقتها, فجميع عروضها مقطوعة, وضربها كذلك, وقافيتها مردوفة وموصولة. ومن أمثلة أبياتها:

بكت عيناي مرّات عديدة * لذكـــــرك بِنْتَ شـــــوقًا أو غرامًا

مليكة حافظ حسا ومعنـا* وربك لا أخـــــالفك الـــــزمامـــــا

التقويم:

إذا كانت القافية مردوفة؛ يجوز المعاقبة بين الواو والياء فيها, وأما الألف فلا يكون معه غيره, فقد وقع الشاعر في هذا المحظور! كما هو جليّ في البيت الثاني والثالث والرابع:

---

[1]- ومن قبيل ذلك قول النابغة:

سقط النصيف ولـــم ترد إسقاطه * فـــتلقفتـــه والتّـــقـــتـــنا بـــاليـــدِ

بمخـــــدب رخـــص البنان كأنـــه * عنم يكاد من اللطافـــة يفقـــدُ

فروي بيت الأول مكسور, لأن لفظه مجرور بالباء, وروي بيت الثاني مرفوع, لأنه فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة في آخره.

راجع: مأمون عبد الحكيم وجيه (الدكتور), العروض والقافية بين التراث والتجديد, المرجع السابق. ص:312 - 325

2. مليكة حـــــافظ حسّـــا ومعنا * وربـــك لا أخـــــالفك الـــــزماما

3. رمت قلبى بسهم الحب حتـى * جُرحت وبـت مغشيّا سقيـما

4. دواء الجرح ليس لـدى طبـيب * وإن الـطبّ يـــــــزداد الهمومـــا

فالشاعر هنا قد أردف الياء بعد الألف, ثم أردف الواو بعد الياء, كما في البيت الرابع وهو محظور عند العروضيين[1]

القصيدة السادسة:

فالقصيدة السادسة دالية وهي أيضًا من بحر الوافر, ينطبق عليها ما قد قيل فيما قبلها. فجميع عروضها مقطوعة وضربها كذلك. وقافيتها مردوفة وموصولة ومتواترة. يقول الشاعر في أول القصيدة:

ألا مـــــن مبلغ الثقلين طرّا * بـــــأني قد بلغت إلـــــى مـــــرادي

مرادي توأ مان من النساء * جمال العيش في الاثنين عندي

التقويم:

فهذه القصيدة مردوفة بالألف.

ومـن عيـوب التـي يؤخـذ عليهـا الشـاعر مـن عيـوب القافيـة؛ المعاقبـة بـين الألـف والياء فـي الـردف, فـذلك غيـر جـائز عنـد العروضيين, وإنما يسمح بالمعاقبة بين الواو والياء, وأما الألف فلا يكون معه غيره, فقد وقع الشاعر في هذا المحظور في أربعة أبيات من هذه القصيدة كما هو واضح في قافية بيت الرابع والسادس والسابع والأخير. فهذه القوافي هي: (شديد) و (الحميد) و (الوليد) و (السديد).

[1]- راجع: أحمد محمد صقر (وآخرون) الأضواء اللغة العربية, ص:294

كما يؤخذ كذلك؛ في استعماله سناد الردف. فأبيات القصيدة كلها مردوفة, إلا بيت واحد وهو بيت الثاني في القصيدة, فقد جاء به الشاعر غير مردوف[1] في قوله:

مرادي توأمان من النساء * جمال العيش في الإثنين عندي

كما أن في القصيدة عيب آخر من عيوب القافية, يؤخذ عليه الشاعر, وهو (الإيطاء). وقد كرّر الشاعر كلمة الروي (الوداد) بلفظها ومعناها بعد بيتين فقط في القصيدة, وذلك في البيت الثامن والحادي عشر[2] عند قوله:

فكانت لي وللأباء عونًا * جزاها الله من خلص الوداد

وقوله:

فزاد لي الإله نكاح بِنْتَ * هى الأخرى تميل إلى الوداد

---

[1]- ومنه قول صالح بن عبد القدوس, وينسب لطرفة بن العبد:

إذا كنت في حاجة مرسِلاً * فأرسل حكيمًا ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى * فشـــاور لبيبًا ولا تأصه

فجاء بيت الأول مردوفا, الثاني غير مردوف.

راجع: محمود عبد الحكيم وجيه (الدكتور) العروض والقافية بين التراث والتجديد. المرجع السابق. ص:320

[2]- كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إذا تـــــرعرعـــع فينا غـــــلام * فما إن يقال له من هوه

إذا لم يسد قبل شدّ الإزار * فذلك فينا الذي لا هـــو

فكرّر كلمة "هو" في قافية الأبيات بنفس المعنى وهو ايطاء قبيح.

راجع: محمود عبد الحكيم وجيه (الدكتور) العروض والقافية بين التراث والتجديد. المرجع السابق. ص:309

القصيدة الثانية (روضة النصائح):

هذه القصيدة رائية ومن بحر البسيط, وبحر البسيط يستعمل تام ومجزوء, فقد استعمله الشاعر تامًا بثماني تفعيلاته جريا على أصله, ليتمكن الشاعر في بسط أمله ووجاءه إلى عشيقته. وتفعيلاته:

مستفعلن/ فاعلن/ مستفعلن/ فاعلن. أربع تفعيلات من كل سطر.

فالقصيدة موصولة ومخبونة في عروضها وضربها كما يتضح ذلك في قول الشاعر:

تفكّري بنت في الأعمال آخرها * خذي بقوّة صدق ما بدا الخير

إني أحبك حـــــبا لا يـــــخالطـــــه * كذب ولا فيه تدليس ولا غدر

التقويم:

أن الروي في القصيدة مطلق, وقد سلمت قافيتها من العيوب إلا في البيت الأول فإنه مردوف بحرف اللين المفتوح ما قبله في كلمة: (الخير).

القصيدة الثالثة (الروض العاشق):

هذه القصيدة تائية, ومن بحر الخفيف, واختاره الشاعر لخفته في الذوق, ولخفة حركة قلبه إلى من يهواها.

والبحر سداسي الأصل في تفعيلاته, في كل سطر ثلاث تفعيلات: فاعلاتن, مستفع لن, فاعلاتن.

يدخل في هذا البحر: الخبن[1] والتشعيث[2] وقد يدخله الكفّ[3].

يقول الشاعر في هذه القصيدة:

حبذا العيش كله في وداد * و حديث الفتى مع الفتيات

ذقت حلوًا أتى به شدّة الشو * ق ضحاءً وفي الدجى وغداة

التقويم:

نلاحظ أن القصيدة مردوفة وموصولة وأن جميع أبيات القصيدة قد سلمت من عيوب القافية.

وأنه قد دخل (الخبن) في عروض القصيدة وضربها فضلا عن الحشو. "وهو مستحسن"[4] عند العروضيين.

---

[1]- هو حذف الثاني الساكن في: (فاعلاتن) فيصير: (فعلاتن). وفي (مستفع لن) فيصير: (متفع لن.

[2]- هو حذف العين من: (فاعلاتن) فتصبح: (فالاتن)

[3]- هو حذف السابع الساكن من: (فاعلاتن) فتصير: (فاعلات). فهو أمر قبيح وشاذ.

راجع: عبد العزيز عتيق (الدكتور), علم العروض والقوافي, الطبعة الولى, 1427هـ - 2006م, دار الآفاق العربية, مدينة نصر القاهرة. ص:79

[4]- راجع:أحمد الهاشمي (السيد) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب, الطبعة الثانية 1415هـ - 1995م مؤسسة الكتب الثقافية (بدون ذكر الدولة) ص:80

القصيدة السابعة (هذه ورقتي):

هذه القصيدة رائية, ومن بحر الخفيف كسابقتها أيضًا, وفيها يقول الشاعر:

سال في العرق حبها وتسارى * في عظامي فشد في ذلك أمرا

وجرى في دمي فداخل مخي * وأغار العقول والأفكارا

التقويم:

نلاحظ أن القصيدة مردوفة وموصولة دخل الخبن في عروض القصيدة وضربها. وإن كان لا يعاب القصيدة به فالسلامة عنه أولى عند العروضيين.

وقع الشاعر في بعض عيوب حروف القافية, ومنها:

أ- الردف: فقد وقع الشاعر في هذا العيب, فعاقب بين الواو والألف في البيت الثاني والثالث من القصيدة, وهذا مما لا يسامح به العروضيون. ثم أتى بمعاقبة أيضًا بين الواو والياء, كما في البيت الحادي عشر مع البيت الثاني عشر, وهذا الأخير وإن أجازه العروضيون, فالسلامة عنه أولى, لأنه يؤثر سلبًا على الموسيقي[1].

ب- سناد الردف: فقد وقع الشاعر في هذا الحظور حيث ذكر أحد عشر بيتا مردوفة, وأربعة أبيات غير مردوفة في القصيدة. كما هو الحال في البيت السابع, والتاسع, والعاشر, والثالث عشر.

ج- الإقواء: كان حركة الروي في البيت الأول مجزورًا, والمتوقع أن تأتي بقية الأبيات مجرورة كالتي سبقتها. ولكن الشاعر جاء بجميعها مفتوحة. وهذا الإختلاف في (المجرى), فيه بشاعة وقبح عند العروضيين ويسمونه إقواءً.

---

[1]- راجع: مأمون عبد الحليم وجيه (الدكتور), العروض والقافية بين التراث والتجديد المرجع السابق. ص:294

و: عبد العزيز عتيق (الدكتور), علم العروض والقافية, المرجع السابق ص:125 – 128.

القصيدة الخامسة (مرادي زواجك):

هـذه القصـيدة راويهـا مختلـف وهـي مـن بحـر المتقـارب. واختارها الشاعر علّها توصله وتقرّبه إلى عشيقته لينال رجاءه.

وقد أتى بحر القصيدة على ثمانية أجزاء كما هو الأصل فيها:

فعولن/ فعولن/ فعولن/ فعولن في كل سطر منها, ومن أمثلة أبياتها:

أعيش وأحيا على حبّ بِنْتَ * فلا حـــــدّ في كنـه حبّـــــــي لها

فليست تعيش على غير حافظ * ولســـت أعـــيش علـــى غيرهـــا

التقويم:

أ- عروض القصيدة صحيحة وضربها محذوف.

ب- والقصيدة موصولة بهاء الضمير, وفيها خروج ألفًا, الناشئ عن إشباع حركة هاء الوصل.

ج- لم تكن القصيدة على روي واحد, بل فيها من الروي ما لا يقل عن تسعة أنواع, واللام أكثر عددا في رويّها, حيث ذكر إحدى عشر مرة فيها. أما النون والشين هما أقل نصيبًا فيها, حيث ذكر منها مرة واحدة فقط في القصيدة.

د- والقصيدة مردوفة, وبعض قوافيها غير مردوفة كما في البيت الخامس, والسابع, والعاشر, وغير ذلك. وهذا العيب يسمى: سناد الردف[1].

هـ- ووقع الشاعر أيضًا في عيب من عيوب الردف في قافية القصيدة؛ وهو المعاقبة بين الياء والألف, كما في البيت الأول, والثاني, والثالث, وهو قبيح[2].

---

[1]- راجع: مأمون عبد الحليم وجيه (الدكتور), العروض والقافية بين التراث والتجديد المرجع السابق. ص:220

[2]- راجع: عبد العزيز عتيق (الدكتور), علم العروض والقافية, المرجع السابق ص:125

الخاتمة

بعون من الله وتوفيقه؛ وصل هذا البحث إلى نهايته, رجاءً من الكبير المتعال؛ أن يكون ما قدّمه الباحث بين يدي القارئ نمازج حيّة, لإظهار مساهمة بعض علمائنا في إحياء اللغة العربية الفصحى, ودورهم الفعّال في بعث فنّ الغزل من مرقده, وتطوير الأدب العربي الإفريقي النيجيري, لكي يسير مع ركب الأدب في العالم العربي, وليدرك القراء قيم إنتاجات هؤلاء العلماء الأدباء اللغوية والفنية, وعبقريتهم في تناول أساليب اللغة العربية كما يتناولها العرب القدامى.

فالقارئ لهذا البحث يلاحظ؛ أن الشاعر حافظ ثروما كبر, قام بنظم قصائد غزلية أكثر من أيّ غرض آخر من أغراض الشعر العربي, مع علمه باشمئزاز بعض العلماء النيجيريين وتحرّجهم عن الخوض في هذا الميدان, احتفاظا بمكانتهم الاجتماعية كرجال الدين ولكن الشاعر حافظ شروما كبر؛ يرى أن هذا الفن يستحق الاحتفال به, وأن يستهلك الإنسان وقته ويقول فيه الجيد من الشعر, وأن الرهبانية والفرار من النساء ليس من الدين في شيء!

مع كون أكثر قصائد الشاعر غزلية, إلا أنه استطاع بقدر الإمكان؛ أن يبتعد ويتجنب ذكر كلمات قبيحة, والألفاظ الخسيسة, التي تشين صاحبها وتحط من قدره, كما كان يحفظ لسانه من التراكيب والعبارات التي ينبو عنها السمع, ولا يأنس بها طبع المجتمع الذي يحيط به.

انتقى الشاعر بعض الألفاظ والعبارات المناسبة, لتحقيق الأغراض التي يرمي إليها, ونسقها تنسيقا, ونوّع في الأساليب, واستعمل التشبيهات والمجازات والمحسنات البديعية, للوصول إلى غايته.

ولا يخفى ما في هذه القصائد من ظاهرة التناص, وتأثر الشاعر ببعض شعراء العرب القدامى, لكن ذلك لم يطمس شخصيته, لكون القصائد مرتبطة بحياته, تعبر عن أحاسيس صادقة, وعواطف غير ذائفة, شغلت عقليّة الشاعر. والحق أن الشاعر استطاع أن ينقل إلينا أفكاره وعواطفه من خلال قصائده الغزلية.

خلاصة البحث:

بحمد الله تعالى تمّ هذا البحث, ووقف القلم عند هذا الحدّ, وآن الأوان أن يقدّم الباحث للقارئ خلاصته:

قام الباحث في الفصل الأول بالمقدمة المشوقة عن الحب, ثم تحدث عن أسباب ومبررات مقنعة عن دليل اختياره لهذا الموضوع, وصلاحيته للبحث في هذا المستوى (الدكتوراة), إبرازا للجهود التي قام بها الشاعر حافظ ثروماكبر في شعر الغزل, إحياء للغة العربية وآدابها.

ثم سجل الباحث في الفصل الثاني خلفية تاريخية عن حياة الشاعر حافظ ثروماكبر, والعوامل التي ساعدت على نبوغه في الشعر؛ من البيئة الثقافية والاجتماعية, والاقتصادية والسياسية, ومن حيث عكوف الشاعر على دواوين القدامى والمحدثين.

كما تحدث في نفس الفصل عن شخصية الشاعر باعتبار أفكاره كمساهم في المعرفة, من حيث فنون الشعر وأغراضه, ثم الحديث عن الوظيفة والمناصب التي تولاها الشاعر, ثم الكلام عن انتاجات الشاعر الأدبية.

ثم تعرض الباحث في الفصل الثالث وفي المبحث الأول لدراسة نظرية عن فن الغزل, من حيث المدخل وفلسفته في الأدب العربي, ونظرة سريعة إلى هذا الفن عبر العصور الأدبية، وما كان يلاقيه من ذم بعض العلماء له وأسباب إعراض بعض الأدباء النيجيريين عنه, والموقف الصحيح تجاه هذا الاعراض.

أما المبحث الثاني في هذا الفصل؛ عبارة عن دراسة قصائد الشاعر الغزلية, قام الباحث بتعريف كل قصيدة وعدد أبياتها وتاريخها, ثم دراستها دراسة أدبية, مظهرا ما فيها من الروعة والجمال, ومدى نجاح الشاعر في تحقيق الأغراض التي يرمي إليها, والحكم لها أو عليها.

أما في الفصل الرابع سجل الباحث التجربة الشعرية عند الشاعر, من حيث الأفكار والعاطفة والخيال, أما في المبحث الثاني تحدث الباحث عن سمات الشعر عند الشاعر حافظ ثروماكبر, من حيث الطبع وعدم التكلف وكون قصائده تعبّر عن واقع ما في نفسه وما تتميز به هذه القصائد من العفة في جميع مواقف الحب, وكونه من أصحاب الأقلام الحرة.

ثم تعرض الباحث عن قضية التناص, وعرض الشاعر في ميزان التقليد والتجديد.

أما في الفصل الخامس فهو عبارة عن التصوير الفني لهذه القصائد, ففي المبحث الأول من الفصل؛ سجل الباحث الصور الحقيقية الواقعية ثم الصور البيانية الخيالية لهذه القصائد. أما المبحث الثاني فهو عبارة عن التشكيل المعاني, بيد أن المبحث الثالث عبارة عن التشكيل البديعي.

وفي المبحث الرابع تعرض الباحث في الكلام عن الموسيقي الشعرية الداخلية والخارجية, وعن عروض هذه القصائد وقوافيها, وبيان مالها وما عليها.

نـــــــتـــــائج الـــبـــــحث:

ومن النتائج التي تبين للباحث من خلال دراسته لفن الغزل في هذه القصائد الغزلية السبعة، أن العالم كلّه - في تلك الأيام- يعاني من الحروب, ويعيش في شقاء, نتيجة البغض والكراهية والأحقاد, فلا سبيل إلى الهدوء والاستقرار والسرور, إلا عن طريق الحبّ الذي كان من لوازم الحياة السعيدة؛ كالدواء للداء أو النفس للحياة. وأن الحب أمر فطري, والمرأة كنزه ومنبعه, وقد أحب خير الخلق. وبين الباحث أن موضوع شعر الغزل يدور حول هذا الرحى, ويعالج قضيته.

كما أدرك الباحث أن قصائد الشاعر حافظ ثروما كبر تعبر عن ظاهرة أدبية راسخة، ومساهمة فنية رائعة، في مجال الأدب العربي النيجيري، وأنها قصائد غزلية صاغها الشاعر في شكل ممتع، ورتبها باللغة العربية الخالصة، بعيدة عن العامية والدخيل، مستعملا كلمات سهلة، وتراكيب جيدة، وعبارات ذات مغزى، كما تمتاز هذه القصائد بدقة الخيال، وروعة التصوير، ووضوح البيان، والتزيين بالمحسنات البديعية.

وأضف إلى ذلك بأن هذه القصائد الغزلية، تصور لنا الجهود التي قام بها الشاعر، مع رغم من اشمئزاز بعض علماء المجتمع الذي يعش فيه الشاعر، من الحوض في هذا الفن الرائع الجميل.

وتتمثل هذه القصائد الرقي البهي في ذات الأدب العربي النيجيري وفنونه، كما تعبر عن واقع نفسي صادق في معاناة الحب

لدى الشاعر حافظ شروما كبر، وتأذن بنهضة مرجوّة فى تطور فن الغزل، بين طلاب اللغة العربية في هذا العصر.

الـــــتوصـــــيات:

من خلال قيام الباحث بهذا البحث المتواضع، تبين له أن هناك إنتاجات أدبية قيمة، تتحدث عن فن الغزل في الأدب العربي النيجيري، مخبوءة في أيد بعض العلماء وطلاب اللغة العربية، قد لا يريدون إظهارها لمكانتهم في المجتمع. ويقترح الباحث إلى هؤلاء العلماء الأجلاء وطلاب اللغة العربية بأن لا يضنوا بما جادت به مواهبهم، لينتفع به الأجيال الحاضرة والمستقبلة، وليكون مساهمة فعالة في إحياء تراث الأدب العربي النيجيري.

تعلم الباحث من خلال هذه الدراسة: أن هناك عدد غير قليل من طلاب اللغة العربية، الذين يحاولون قرض القصائد ويقولونها بأغراضها المختلفة ولا سيما فن الرثاء، وقد لا يقول كثير منهم شعر الغزل ولو بيتا واحدا. أقول لهؤلاء وأمثالهم: فما بال هذا الفن الرائع تجعلونه وراء ظهوركم وتدسونه بأقدامكم؟ وهو فن ثابت في الشعر العربي، يعبر عن صدق شعور صاحبه، وعاطفته الجياشة. وحبذا لو أديتم له حقه وقمتم به خير قيام!

وتبين للباحث أثناء قيامه بهذه الدراسة: قلة البحوث في شعر الغزل في الأدب العربي النيجيري ولا سيما في المعاهد والجامعات في هذا الوطن العزيز. ولم يأثر الباحث على بحث أكاديمي مدروس، إلا بحثين اثنين بجامعة بايرو كنو، أولهما بحث مقدم للوصول على شهادة الليسانس قدمه الطالب ثاني عمر عبد الله بعنوان: "شعر الغزل لدى بعض علماء كنو" عام 1994م.

وبحث أخر قدمه الطالب: عبد القادر سعيد أُوجُو لُودُو، بقسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية. بعوان: "الغزل عند امرئ القيس وعمر بن ربيعة، دراسة أدبية موازنة". عام 1433ه/2012م.

وإلا ما كان من خطة بحث التي قدمته الطالبة سعدية بنت سليمان، بعنوان: "فن الغزل لدى الشاعر أمير تمبول محمد البخاري". قدمت هذه الأطروحة في كليات الدراسة العليا قسم اللغة العربية، بغية الحوار والنقاش حول صلاحية الموضوع، للدراسة

على مستوى الماجستير للعام 2011/2010م. لقد ألغت الباحثة هذا الموضوع باختيار منها، وكتبت في موضوع آخر.

وبناء على ما تقدم أقترح لإخواني طلبة اللغة العربية وآدابها تركيز اهتمامهم في البحث والدراسة عن فن الغزل في جميع مستويات الدراسات الأكاديمية، ليخرجوا المخبوء تحت رفوف العلماء من بيوتهم إلى حيز الوجود، وليقدموا للأدب العربي النيجيري مساهمة جبارة، وليكملوا ما عسى أن يكون ناقصا في هذا البحث المتواضع، ويفصلوا ما كان فيه مجملا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

يوم الخمس 2014/2/6م - 1435/4/6ه.

الـــمـصـــادر

- القرآن الكريم
- حافظ ثروما كبر، قصائده الغزلية السبعة:
  - القصيدة الأولى: قصيدة قالها الشاعر عن مخطوبته: (هاجر بنت سليمان يَاكَسَيْ) وهي تحتوي على ستة وعشرين بيتًا (26).
  - القصيدة الثانية: "روضة النصائح". وهي تحتوي على ستة عشر بيتًا (16).
  - القصيدة الثالثة: "الروض العاشق". وهي تحتوي على أربعة عشر بيتًا (14).

- القصيدة الرابعة: "الداء عند الحبيب". وهي تحتوي على عشرين بيتًا (20).
- القصيدة الخامسة: "مرادي زواجك". وهي تحتوي على خمسة وعشرين بيتًا (25).
- القصيدة السادسة: "على هل من مبلغ الثقلين". وهي تحتوي على خمسة عشر بيتًا (15).
- القصيدة السابعة: "هـــــذه ورقتـــــــي". وهي تحتوي على ستة عشر بيتًا (16).

- أنطوان صالحاني اليسوعي (الأب), ديوان الأخطل, الطبعة الثانية, دار المشرق- بيروت (بدون ذكر التاريخ).
- درويش الجويدى (الدكتور) ديوان بن الفارض, طبعة الأولى؛ 2008م- 1429هـ المكتبة المصرية, صيدا- بيروت.
- عبد الرحمان المصطاوي, ديوان أبو الفراس الحمداني, الطبعة الرابعة 1429هـــــ- 2008م دار المعرفة. بيروت- لبنان.
- عبد الرحمن المصطاوى. ديوان قيس بن ذريح (قيس لبنى) الطبعة الثالثة 1439هـ 2008م دار المعرفة, بيروت- لبنان.
- عبد الرحمان المصطاوي, ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوّح, الطبعة الرابعة 1429هـــ - 2008م دار المعارف, صيدا – بيروت.
- محمد بن إسمائيل البخاري, (أبو عبد الله), صحيح البخاري, كتاب الأدب, تحقيق مصطفى ديب البغاء, الطبعة الثالثة, 1407هـــ - 1987م مؤسسة عز الدين – بيروت.
- محمد بن هانئ الأندلسي (أشعر شعراء المغاربة) ديوان ابن هانئ الأندلسي باعتناء حمدو أحمد طمّاس, الطبعة الأولى 1426هـ 2005م, دار المعرفة, بيروت- لبنان.

- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (أبو الحسن), صحيح مسلم تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي, 1374هـ - 1953م دار إحياء التراث العربي, القاهرة.

المـــراجـــع

- أحمد الإسكندري ومصطفى عناني (الشيخ), الوسيط في الأدب العربي وتاريخه, الطبعة السادسة عشر, (بدون ذكر تاريخ المطبعة والدولة).
- أحمد الهاشمى (السيد), ميزان الذهب في صناعة الشعر العرب الطبعة الثانية 1415هـ 1995م مؤسسة الكتب الثقافية (بدون ذكر الدولة).
- أحمد الهاشمى (السيد), جواهر الأدب, باعتناء الدكتور يوسف العميلي, المكتبة
العصرية, 1428هـ - 2007م بيروت – لبنان
- أحمد مصطفى (المراغي), علوم البلاغة, طبع 1430هـ - 2009م المكتبة
العصرية صيدا – بيروت.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (أبو الفضل), بلوغ المرام من أدلة الأحكام,
دار الفكر 1422هـ - 2002م بيروت- لبنان.
- أشرف عبد الرحمان, الحب بين الوهم والحقيقة, مكتبة السنة, الطبعة الأولى
1429هـ - 2008م القاهرة.
- آدم عبد الله الإلوري, موجز تاريخ نيجيريا, مكتبة الحياة 1960 بيروت.
(بدون ذكر عدد الطبعة).
- أنس بديوى وحسان الطيبي, روائع الشعر المعاصر, الطبعة الأولى, 1426هـ
-2005م دار المعرفة, بيروت – لبنان.
- أيمن أمين عبد الغني, النحو الكافي, الطبعة الثانية, 2007م – 1438هـ دار

الكتب العلمية, بيروت – لبنان.
- بابكر قدرماري (الدكتور), شعر الرثاء في سكتو خلال القرن التاسع عشر
الميلادي, الطبعة الأولى, 1431هـ- 2010م دار الأمة لوكالة الطبوعات, كانو – نيجيريا.
- بسيوني عبد الفتاح فيود (الدكتور), دراسات بلاغية, الطبعة الثانية, 1426هـ
- 2006م مؤسسة المختار القاهرة.
- بسيوني عبدالفتاح فيود (الدكتور)، علم البديع، الطبعة الثانية، 1429ه/2008م مؤسسة المختار – القاهرة.
- حافظ إبراهيم (شاعر النيل), ديوان حافظ إبراهيم, بتحقيق ممدوح الشيخ,
مكتبة جزيرة الود- القاهرة.
- حسين عبد الجليل يوسف (الدكتور), أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي,
الطبعة الأولى 2001م مؤسسة المختار, القاهرة.
- حنّا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي, سنة الطبع: 1426هـ - 2005م, دار
الجيل – بيروت. (بدون ذكر عدد الطبع).
- رجب عبد الجواد إبراهيم (الدكتور), موسيقي اللغة, دار الآفاق العربية طبعة
1423هـ - 2003م, القاهرة.
- الراغب الأصفهانى, محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء, الطبعة الأولى:
1430هـ- 2009م مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة.
- زكي مبارك, العشاق الثلاثة المكتبة العصرية, صيدا – بيروت(بدون ذكر عدد
الطبعة ولا التاريخ).
- سيد القطب (شهيد القرآن) في ظلال القرآن طبعة الثانية 1427هـ-
2005م دار الوفاء – المنصور.

- سعيد الأفغانى: اللغة عند ابن حزم الأندلسي: طبعة ثانية 1973م. دار الفكر
– بيروت
- شوقي ضيف (الدكتور) البحث الأدبي الطبعة التاسعة, مكتبة الدراسات
الأدبية, دار المعارف – القاهرة, (بدون ذكر تاريخ).
- التطور والتجديد في الشعر الأموي الطبعة الحادية عشر,2005م دار المعارف – القاهرة.
- تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الطبعة الرابعة عشر2009م دار المعارف – القاهرة.
- شيخو أحمد سعيد غلادنثى (الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا,
الطبعة الثانية, 1414هـ - 1993م, المكتبة الافريقية, (بدون ذكر الدولة).
- صلاح الإمام, مائة شاعر ومائة قصيدة, الطبعة الأولى 2007م, مكتبة
الإيمان – القاهرة.
- الطيب الوزاني (الأستاذ) مخاضرة بعنوان: "مقومات التفاعل الثقافي والحضاري
بين دول غرب إفريقية والمغرب الأقصى" أعمال ندوة والتواصل الثقافي
والاجتماعي. 1999م الجماهرية العظنى طرابلس.
- عبد الله بن محمد المعروف بابن فودي الشيخ: تزبين الورقات طبع على نفقة
الحاج محمد طن أغي ظامير يرو صوكوتو نيجيريا. (بدون ذكر تاريخ ولا مطبعة).
- عبد القادر الجرجاني (الإمام), دلائل الإعجاز في علم المعاني بتحقيق الدكتور
ياسين الأيوبي, المكتبة العصرية, 2007م – 1431هـ صيدا – بيروت.
- علي بن محمد بن حبيب (الماوردي) أدب الدنيا والدين, المكتبة الشاملة

الحاسوب الآلى.
- عمر إبراهيم (القاضي), حديقة الأزهار.رقم الإيداع القانوني 256/1996,
(بدون ذكر التاريخ ولا المطبعة).
- عبد الحكيم وجيه (الدكتور), العروض والقافية بين التراث والتجديد الطبعة
الأولى 1428هـ 2007ام مؤسسة – القاهرة.
- عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي (الدكتور), الإعجاز الصرفي في القرآن
الكريم,1423هـــــ - 2002م المكتبة العصرية, صيدا – بيروت.
- عبد الرحمن البرقوقي (الدكتور), دولة النساء, معجم ثقافي إجتماعي لغوي
عن المرأة, دار الهيثم – القاهرة.
- عبد الرحمن محمد العمراني, شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين,
مطبعة الامانة بدون ذكر الدولة ولا التاريخ).
- عبد الرحمن عمر الماحي (الدكتور), الدعوة الإسلامية في إفريقية الواقع
والمستقبل, منشورات كلية الدعوة الإسلامية 1999م الجماهرية العظنى طرابلس.
- عبد السلام أبو سعد (الأستاذ) "مخاضرة بعنوان: العلاقات الثقافية بين
الشعوب الافريقية, وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسخها". أعمال التواصل الثقافي والإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانب الصحراء, الطبعة الأولى 1999 كلية الدعوة الإسلامية, الجماهرية العظمى – طرابلس.
- عبد الصمد عبد الله محمد (الدكتور), أضواء على الشعر العربي في غرب إفريقا
(السنغال ونيجيريا), الطبعة الأولى, 1422هـ - 2000م مكتبة وهبة – القاهرة.

- عبد العظيم إبراهيم المطعي (الدكتور), خصائص التعبير القرآني وسماته
البلاغية, الطبعة الأولى, 1413هـ - 1992م, مكتبة وهبة- القاهرة.
- عبد العزيز نبوَى (الدكتور), دراسات في الأدب الجاهلي, الطبعة الثانية,
1425هـ - 2004م مؤسسة المختار – القاهرة.
- عبد العزيز عتيق (الدكتور), علم العروض والقافية, الطبعة الأولى؛
1428هـ -2007م دار الآفاق العربية.
- عائض بن عبد الله (القرني), مصارع العشاق, 1431هـ - 2010م دار
ابن حزم بيروت - لبنان.
- عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة الكوفي), الشعر والشعراء, بتحقيق أحمد محمد
شاكر, طبعة دار الحديث, 1427هـ - 2006م القاهرة.
- عمر بن علي (ابن عادل الدمشقي), تفسير اللباب من شعر امرؤ القيس,
الحاسوب الآلي.
- علي الجارم, ديوان علي جارم, الطبعة الثانية, 1410هـ 1990م
دار الشروق- بيروت.
- علي الجارم ومصطفي الأمين, البلاغة الواضحة, (بدون ذكر التاريخ ولا
المطبعة).
- علي بن أحمد سعيد بن حزم الظاهري (أبو محمد), المحلل بالآثار, طبعة
دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع).
- غرب طن ظوهو زاريا, (البروفيسور) محمد البخاري ابن الشيخ عثمان بن
فودي وشخصيته الأدبية, الطبعة الأولى 2002م مطبعة غسكيا, زاريا - نيجيريا.

- فضل حسن عباس (الأستاذ الدكتور)، البلاغة فنونها وأفنانها، الطبعة الثانية
عشر،1429ه/2009م، دار النفاش- الأردن.
- مأمون عبد الحكيم وجيه (الدكتور), العروض والقافية بين التراث والتجديد,
الطبعة الأولى 1428هـــ - 2007م مؤسسة – القاهرة.
- محمد بلّو بن عثمان بن فودي, إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. طبع
على نفقة الحاج محمد طَنْ أغِي ظَامِيَرْ يَرُوْ, صكتو - نيجيريا.
- محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني (أبو الفضل) تاج العروس من جواهر
القاموس, من الحاسوب الآلي.
- محمد عزت محمد عارف (أبو الفداء), الألف حكمة, دار الفضيلة, شارع
الجمهورية- عابدين القاهرة. (بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع).

- محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري (أبو القاسم), أساس البلاغة,
دار الفطر, 1420هـــ - 2000م بيروت – لبنان.
- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير), النهاية في
غريب الحديث والأثر, دار الفكر 1421هـــ - 2000م, بيروت لبنان.
- محمد الأمين بن محمد المختار (الشنقيطي المرتاني المالكي الإفريقي), أضواء
البيان في إيضاح القرآن بالقرآن, الطبعة الأولى 1417هـــ - 1996م دار إحياء التراث العربي, بيروت – لبنان.

- محمد محي الدين عبدالحميد آداب البحث والمناظرة, الطبعة الأولى, دار
الطلائع, القاهرة.
- محمد محمود المندلاوي (دكتور), مختارات من شعر الحب في الأدب
الأندلسي. الطبعة الأولى, 1429هـ- 2008م دار المعرفة – بيروت – لبنان.
- محمد كشّاش (الدكتور), صناعة الكلام, المكتبة العصرية, 1426هـ -
2005م صيدا بيروت.
- علل اللسان وأمراض اللغة. الطبعة الأولى
1419هـ -1998م المكتبة العصرية, صيدا - بيروت.
- محمد واضح رشيد (الحسيني الندوي) وآخرون, تاريخ الأدب العربي,
العصر الجاهلي والعصر الإسلامي, الطبعة الثانية, 1430هـ- 2009م دار ابن كثير, دمشق – بيروت.
- محمد صديق المنشاوي, فن التعامل بين الزوجين, دار الفضيلة – القاهرة
(بدون ذكر التاريخ ولا عدد الطبع).
- محمد عبد الملك الزغبي, تحفة العروس وبدع الأفراح, مكتبة الاحيات, الطبعة
الأولى, 1418هـ -1997م المنصورة- مصر.
- محمد مصطفى (الأستاذ), أهدى سبيل إلى علمي الخليل, المكتبة العصرية,1432هـ - 2011م صيدا – بيروت.
- محمد متولي الشعراوي, تفسير الشعراوي, المكتبة الشاملة، من الحاسوب الآلي.
- محمود محمد عمارة (الدكتور), ملامح البيت المسلم, مكتبة الايمان,
2002م المنصور- جمهورية المصر العربية (بدون ذكر عدد الطبع).
- محمود عباس عبدالواحد (دكتور), فن الإعتذار الشعري تاريخا واتجهات,

دار الهداية للطبعة والنشر والتوزيع. (بدون ذكر الدولة ولا عدد الطبعة).
- مصطفى الغديري (الدكتور) مخاضرة بعنوان: "أسرة آل فودي ودورها في
ترسيخ العقيدة الإسلامية, ونشر اللغة العربية بشمال نيجيريا" أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي. 1999م الجماهرية العظنى طرابلس.
- مصطفى شقران (الدكتور), مخاضرة بعنوان:"دور التجار المسلمين في
نشر الإسلام بغرب إفريقية في العصر الوسيط". أعمال ندوة التواصل الثقافي والإجتماعي. 1999م الجماهرية العظنى طرابلس.
- ناصر بن عبد الرحمان الحنين, الإلتزام الإسلامي في الشعر, الطبعة الأولى
1408هـ- 1987م مؤسسة دار الأصالة, الرياض – السعودية.
- فريد الدين مسعود, روائع من شعر الصحابة, تحقيق وتعليق عريف الدين
معروف,1425هـ - 2005م دار الحديث- القاهرة.
- قيس كاظم الجنابي, أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي,
الطبعة الأولى 1428هـ - 2007م دار الآفاق العربية – القاهرة:
- قريب الله بن محمد ناصر الكبرى (الخليفة), الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا, من منشورات المكتبة القادرية, كنو – نيجيريا. تنفيذ/دار الآن لطباعة والنشر- قبرص.
- ياسن الأيوبي, في محراب الكلمة, بحوث ودراسات نقدية في الأدب
العربي الحديث والمعاصر, المكتبة العصرية الطبعة الأولى, 1419هـ 1999م. صيد- بيروت.
- يوسف بن سليمان بن عيسى (الأندلسى), أشعار الستة الجاهليين, الطبعة

الأولى,1402هـ 1982م دار الفكر. (بدون ذكر الدولة)
- يوسف بن عبد الله ابن عبد البرّ (القرطبي) جامع بيان العلم وفضله, بتحقيق:
سعد عبد الحميد السعداني, الطبعة الثاني , 1428هـ - 2007م, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان.

البحوث الجامعية

- ثاني عمر عبد الله، شعر الغزل لبعض علماء مدينة كنو من سنة 1973 إلى
سنة 1993م، البحث المقدم إلى كلية الأداب والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو، نيجيريا، عام 1994م للحصول على شهادة الليسانس.
- عبد القادر سعيد أوجو لودو، "الغزل عند امرئ القيس وعمر بن ربيعة، دراسة
أدبية موازنة" بحث مقدّم لقسم اللغة العربية, بجامعة بايرو- كنو –
نيجيريا. عام 1433ه/2012م لنيل درجة الماجستير.
- محمد آدم أبو بكر, مظاهر تأثير قصيدة البردة في الحياة الأدبية والروحية لدى
بعض علماء مدينة كنو- نيجيريا. بحث مقدّم لقسم اللغة العربية,
بجامعة بايرو- كنو – نيجيريا. عام 1416هـ - 1995م لنيل درجة
الماجستير.

المرجع بلغة هوسا

Husaini Sufi (Alkali), Malam Aminu Kano mafarin Makarantun Islamiya a Kano,
ولم يذكر المؤلف: (تاريخ الطباعة و المطبعة).

مقابلة مع بعض الشخصيات:

- مقابلة شخصية مع: الحاج إسمائيل (المعلم)، التاجر لأنواع الأقمشه بسوق كوَرِي (Kasuwar/Kanti Kwari) وجرت هذه المقابلة في دكانه في السوق من الساعة الثامنة إلى التاسعة صباحا بتاريخ:2013/4/20

- مقابلة شخصية مع: محمد حافظ شروما كبر (الشاعر), في أرَيوَا هَوُسْ (Arewa House) كدونا بتاريخ: 2010/4/12م. وفي مركز بَافَرَوَا لتحفيظ القرآن الكريم, سكتو من الساعة الواحدة إلى الثانية, ثم من الساعة الرابعة إلى السادسة مساء, بتاريخ: 2011/3/4م ثم في جامعة أحمد بللو زاريا، من الساعة العاشرة إلى الساعة الحادية عشر صباحا، بتاريخ 2012/7/15م.

- مقابلة شخصية مع: حمز أبوبكر ريجير ليمو (Rijiyar Lemu) (المعلم)، أحد تجار الكتب في سوق كُرْمِي (Kasuwar/Kiniti Kwari) بمدينة كنو, جرت القابلة في دكانه الساعة حادية عشر إلى الثانية عشر صباحا بتاريخ:2013/4/20

- مقابلة شخصية مع: إبراهيم إدريس نتيبو (Nataibo) (المعلم)، المعروف بطن نيجر (Dan Niger) أحد تجار الكتب المشهورين في سوق كُرْمِي حاليا، جرت المقابلة في كلية الشريعة لأمين كنو، من الساعة الثالثة إلى الرابعة مساء بتاريخ: 2013/4/20

- مقابلة شخصية مع: بشير محمد (المعلم)، صاحب دار السلفية في سوق كُرْمِي، جرت المناقشة في دكانه من الساعة الواحدة إلى الثانية مساء، بتاريخ: 2013/4/20

- مقابلة شخصية مع: عمر علي (المعلم)، غَنْدُنْ أَلْبَسَ (Gandun-Albasa)كنو, التي جرت من الساعة الخامسة إلى السادسة مساء في بيته بتاريخ 2011/4/13.

الملاحق:

القصيدة الأولى:

هذه القصيدة كتبها الشاعر إلى مخطوبته هاجر بنت سليمان يَاكَسَي, وهي قصيدة غزلية, تحتوي على ست وعشرين بيتًا كتبها الشاعر حافظ شروما كبر:1987/8/26م الموفق 2/محرم/1408هـ.

1. شُغفتُ بحبّ هاجر حبّ صدقٍ * ولم أعلم بأن الحبّ داء
2. وداء الحبّ ليس له دواءٌ* ألا والله آخره اللقاء
3. لهاحُورُ العيون وحسن خدٍّ * وبيض السنّ والجيد الرعاء
4. وصورتها ببهجته تُقاس * ولم يوجد لمشيتها النجاء
5. فقلبي لا يزال على هواك* متى يا هاجر يأتي الشفاء
6. أجيبي وانقذيني من هلاك* لعمركِ إن أجبتِ شفي البلاء
7. أجيبي فالجواب يكون عرسا * فحينئذ تُجيب لى النداء
8. فكنت تركتِ حافظ لا تبالي * بعيشته ومِيتته سواء
9. لأنكِ كنتِ في أمن وفرح * عيونكِ لا يعارضها البكاء
10. ولو راعيتِ حقي في هواك * لشاهدنا كما تبكي السماء
11. بهمهمة ودمدمة كرعد * وفي عينيك ما انقطع الدماء
12. فإني قد وعدتك وعد صدق * وربي حاكم فيما يشاء
13. رضيتِ بما رضيتُ به ولكن * نهانا حلّ بغيتنا العناء

14. أبـــــعد محـــــبة وتـــمـــام عـهـــد *
هـــــــل العادات خـــــير أم وفـــاء
15. توافقنا النكاح على صـــــداق * فمِن أولى
الأمـــــــور بـــــــدا الإباء
16. وكنتُ لما سمعت أشـــك شيئًا * أقـــوم مـــا
نـــــعـــــــوه أم النســـــاء
17. إذا حكم الإله بـــفعل شـــيء * معـــــــارضه
لقـــــــدرتـــــــه غبـــــاء
18. فـــإن شاء الإله لنا نـــكاحًـــا * بـــرغم
أنوفنا يـــــجـــدي القضاء
19. لذا يـــا هاجـــر صبرا جـميـــلا * فـــأرجو أن
يـــــــغمدنـــــا الهنـــــاء
20. أطيعي والديـك فـــلا تثـــوري* فحكمهما عليك
هـــــو الضيـاء
21. أَلسْتِ فـــريدة أدبًـــا وخلقًـــا *
أليـــس يُقـــال إنّ لـك الحيـــاء
22. أليس الشمس تسرق منك نورًا * وأنت
ضيـــــاؤه أنـــــت الطبـــاء
23. فإنـــي قد صبرتُ علـــى قضـاء * إلـــى
وقـــت يُعَمِّمَنـي الرخـــاء
24. لأنـــــي كنت مسكينًـا فقيـــرًا * ولكن
مـــن فمـــي خرج الغنـــاء
25. تفكـــر إن في الـــدنيـــا فنـــاء * فـــلا
أحـــد يقـــرّ لـــه البقـــاء
26. لـذا فـــالنسأل الله انكشافـــا * فـــكم
صعبـــا يـــسهّلـه الدعـــاء

القصيدة الثانية:

هذه القصيدة المسمّى بـــــ(روضة النصائح) كتبها الشاعر حافظ شروما كبر وأرسلها إلى مخطوبته بِنْتَ محمد يَاكَسَيْ وزجته فيما بعد 27/جمادى الأولى/1410هـــــ الموافق 1989/12/25م وهي تحتوي على ستة عشر بيتًا.

دراسة القصيدة:

1. تفكرّي بِنْتَ في الأعمال آخـــرها * خذي بقوّة صدقٍ ما بدا الـخير
2. إنـــــــــي أحبّكِ حبًّا لا يـخالطـــــــه * كذب ولا فيه تدليس ولا غـــدر
3. ما ضرّني كرم الأخلاق أو نـــــسب * وإنما ضرّنـــــــي إن كـــان ذا فقـــــر
4. فكم رأينا خبيث الـخلق ذات غنى * وربما كـــان فـــــي أنسابـــــه بتـــــــر
5. لا تصحبي غير ذي عـــــلم وطالبـه * ذو العلـــم صحبته حتمالـها نصـــــر
6. قد يُنكـــــح المرء للأشـــــياء أربـــعة * الدين والمـــال والأنساب والقـــــدر
7. فجاء قول رســـــول الله ســـــيدنـــــا * خذ ذاتَ دينٍ وغادر من له الفخر
8. مُركّب الجهل يـــؤذى من يـــصاحبه * والله يـــــا نور قلبـــــــي إنـه خطـــــــر
9. إن كان وعـــــد فلان سابقًا وعـــدي * فإن في وعـــــــــده فيما أرى نظـــــــر
10. لا يستوي الظَّلَمُ والأنوار كيف وذا * فـــــأنتِ عـــــالمـة عربيـــــــة بـحـــــــر
11. لازمت سنة خـيـــــر النـــــاس كـــلهم * كما يـــــلازم شمسًا ضـــوؤها القمر
12. إنـــى وعـــدتك وعـــــدا لا أخالفه * وما يـــــساعد تـــــبليغ الـمنى صبر
13. إستخدمي عقلك المرجوح في شاني * وجنّبي ما عليه الريـــــب والـــحيـــــــر

14. دعي فلانًا خـــــذي كفؤًا يساعد في * جميع ما كان فيـه الـــــــخير والشكر
15. الحق حق فلا داعـــــي إلـــــى كذب * إذا عـــــتذرت هـــــنا لا يـــنفع العذر
16. هذي النصائح قد تمّت بقدرة من * بـــــأمره وجد الأنثـــــــــــى مـــــع الذكـــر

القصيدة الثالثة

هذه القصيدة سمّاها الشاعر (الروض العاشق) كتبها وأرسل بها إلى مخطوبته بِنْتَ محمد يَاكَاسَيْ 21/رجب/1410هـ الموافق 1990/2/16م وهي تحتوي على أربعة عشر بيتًا.

1. حبّذا العيش كله في وداد * وحديث الفتى مع الفتيات
2. ذقت حلوا أتى به شدة الشو * ق ضحاءً وفي الدجى وغداة
3. لا حياة بدون شوق وحب * كيف طال الحياة من سنوات
4. كان حبي لِبِنْتَ بِنْتُ كرام * فاق وصف لها جميع البنات
5. سمرة اللون عنقها لطويل * سنّها فالج نقيّ الذات
6. رأسها واسع وطرف كحيل * شعرها السود قد يزيد سراتي
7. ملكتني وخاطري وجناني * سكناتي تحرّكي وحياتي
8. أنت زوجي وأنت لبّ حياتي * أنت مااشتهر هنا وهمات
9. زاد شوقي لها لأني عرفت * وصفها في سماتها بصفات
10. حبها لغة الكتاب الكريم * كونها في الصيام والصلوات
11. نطقها في النساء قال الرسول * لم تعش سرمدا بدون عظات
12. قولها دائما سلاما سلاما * صمتها في تفكر الحسنات
13. ربنا قد دعوت سرا وجهرا * يا إلهي إله كل الجهات
14. رب قدر لحافظ مع بِنْتَ * جنّي ما تُشْتَهَى من الثمرات

القصيدة الرابعة:

هذه القصيدة سمّاها الشاعر "الداء عند الحبيب" وهي قصيدة غزلية تحتوي على عشرين بيتًا كتبها الشاعر يوم الجمعة 28/رجب/1410هـ الموفق 1990/2/23م. وأرسل بها إلى حبيبته ومخطوبته ثم زوجته فيما بعد وهي بِنْتَ محمد يَاكَسَيْ.

1. بكت عيناي مرات عديدة * لذكركِ بِنْتَ شوقًا أو غرامًا
2. مليكة حافظ حسًّا ومعنًا * وربك لا أخالفكِ الزماما
3. رمت قلبي بسهم الحب حتى * جرحت وبتّ مغشيًّا سقيما
4. دواء الجرح ليس لدى طبيب * وإن الطب يزداد الهموما
5. فليس دواءه للمحدثين * بحثت ولم يكن عند القدامى
6. دواء المرض حقًا عند بِنْتَ * تعالي واخرجي هذا السهاما
7. أحبك غاية أقصى الوداد * فلا ماء أحب ولا طعاما
8. عذاب الحب في جسمي وقلبي * دبيب النمل بل حتى العظاما
9. فكسّره وصيّره وهينا * وأوشك أن يحوله رميما
10. فلا قلبي يطاوعني لصبر * هناك فلست أحيانًا حليمًا
11. لأني كنت مشغوفًا لحب * فشغف الحب ليس له لجاما
12. فلما زرتها يوم الخميس * رأيت الحب كلمني كلاما
13. كلانا ساكت وقتا طويلا * تسيل دموعنا مثل الدراما

14. فقالـــــت حـــــافظ والله إنـــــــي * بلغت لشغف حبك ذا مقامــا
15. فكنت أراك فـــي وقت وحين * وتنقـــذ شكوتـــــــي قـــــوما نيامـــا
16. فقلت لها اصبري يا نور عيني * قـــــريبًا سوف نضحك إبتساما
17. بعون الله سوف أكـــون بعلا * لذلك أي سنكتشف الظلامـا
18. دعـــــــوت الله رب العالـــــــمين * يساعدنا ويكشف ذا الـــــهموما
19. ويـــــــــجمعنا على خـــــــير وفـــــير * ويرشـــــــــــدنا الصـــراط الـمستقيما
20. ويأخـــــــذنا إلى خيـــــــــر النـــــظام * نـــظام العرس يـا نـــــــعم النـظـاما

القصيدة الخامسة

هذه هي القصيدة المسمى بـــــ(مرادي زواجك) كتبها الشاعر حافظ شروما كبر وأرسلها, إلى مخطوبته بِنْتَ محمد يَاكَاسَيْ, وزوجته فيما بعد, في يوم السبت 20/الشعبان/1410هـــــ الموافق 17/مارس/1990م وهي تحتوي على خمس وعشرين بيتًا.

1. أعيش وأحـــيا علـــى حبّ بِنْتَ * فلا حدّ فـــي كنه حبّـــي لهـــــا
2. فليست تعيش على غير حافظ* ولست أعيش علـــــى غيرهـــا
3. أحبّكِ دوما إلـــــى يـــــوم دكّت * وزلـــــزلـــــت الأرض زلـــــزالهـــــا
4. ويـــــــوم يـــــفرّ أخٌ مـــــن أخيـــــه * وأخرجـــــت الأرض أثقالـهـــــا
5. فـــــــيوم القيامة لـــــو جاء حـــــور * وعـــــايـنّ بِنْتَ لا خـــــترنـهـــــا
6. فـــــحور إمـــــاء بـــــدون عبـــــادة * فقد عبدت بِـــنْتَ في عيشها
7. وصلّت وصامت كما قد أمرت * وأدت نـوافل مـــــن فـــضلهـــــا
8. فكنتُ شغفت عليها بـــحـــــبّ * لأنـــــــي حـــــــريص لأخـلاقهـــا
9. مـــــرادي زواجـــــك قبل الصيـــام * أمامـــــــي شـــــراء ملابـــــسهـــــا
10. ولـــــو كنـــــت ذا ثـــروة طائـــــلـــة * لأنفقت أحدا على حـــــــقها
11. ولـــكـــــن رويـــــدك سوف نـــعد * شهـــــور الـــرواتب رابـــــعهـــــا
12. فـــــإن تـــم قبل فـــهذا مـــــرادي * أفـوّض أمـــــري إلـــــى ربـــــهـــا
13. إذا شاءت البـــــنت من فضلها * يـــــكون الزفاف على رأيـــــها

14. قـــــبل الصيـــــام وبـــــعد الصيـــــام *
تركت الأمـــــــور على أمـــــــرها
15. إذا نـــــــطقت في دياجـــــــير ليل * ترى
النور يـــــخرج من قولـــها
16. تـــــــــبسمها يا له من صـــــــــــفاء *
فرائحة الـــــمسك مـــــن فمـــها
17. وإن نظرتنـــــــي بـــــــطرف كحيل *
يـــــرقّص قلبـــــــي طـــــربًا لـــــهـــــا
18. إذا ما مـــــشت ستـــــــــراها غزلاً * وإن
وقفت لا مثيـــــــلا لـــــهـــــا
19. هى السبب في جرح قلبي لكن * دواء الـــجراح
علـــــــــى قـــــــلبهـا
20. أقول ونفسي يرجـــــي رضاهـــــــــا *
ودمـــــــــــــعي يسيل على حبّهـا
21. إذا نلتُ منها الرضى كل شىء * يسير,
فـــــــــكل علـــــــى قولـها
22. فهذي القصيدة في حبّ بِنْتَ * حـــــــبيبك حافظ قد
قالـــــــــها
23. "مـــــرادي زواجـــــــــك" ذا اسمها *
فعولن فعـــــولن وذا وزنـــــــــــهـــــا
24. ثـــــــــناءً وحـــمدًا على خالـــقـــــي * فخالـق
بـــــــــنْتَ وربّ لـــهـــــــا
25. صـــــــــلاة وتـــــــسليـــــــماتان على *
رســـــــــولي كذاك رسول لـــــــها

القصيدة السادسة:

وهذه القصيدة غزلية تحتوي على خمسة عشر بيتًا (15). قالها الشاعر حافظ ثروما كبر هذه القصيدة لما تزوج بالزوجة الثانية, وذلك بتاريخ 1990/4/11م.

1. ألا هل من مبلّغ الثقلين طـــــرًّا * بأنـــــي قد بلغتُ إلى مـــــــرادي
2. مـــــــرادي تـــــــوأمين من النـــــساء * جمال العيش في الإثنين عندي
3. تـــــــــزوّجت الرهـــينة في البدايـــــة * فضاق بنا الصدور مع الفـــــؤاد
4. فهذا الأمر أرغـــــــمنى الطـــلاق * بلا حبّ علـــــى كرهٍ شـــــديـــــد
5. ففوّضت الأمـــــــــــور على إلهـــي * ولذت به علـــــى شـــر الأعـاد
6. فـــــــزوجنى رقـــــية بـــــنت خـــــير * أبوها صـــــــالح نعم الـــحميـــــد
7. فربّت إبنتـــــي بـــــــلا ســـــــآمـــــة* ولا ملل علـــــى ســـفه الوليـــــد
8. وكانـــــــــت لي وللأبـــــــناء عـــونا * جزاها الله من خـــــلص الوداد
9. أيا أم لـــــــمصـــلح يـــــا رقـــــيـــــة * وقاك الله من عمل الفـــــــساد
10. ويـــــــدخلك الإله جنان نعم * ويجمعنا معًا فـــــوق الـوســـــــاد
11. فـــــــزادني الإله نـــــــكاح بِنْتَ * هى الأخرى تميل إلى الـــوداد
12. مـــــــــعلّمة تـــــــفيء بـــــكل خير * ترجّـــــــي رحمـــــــة يـــوم التنـــــاد
13. مـــــرادي ثم لا أرجـــــو مـــــزيدا * وهذا مـــا يبـــــوح به فـــــؤادي
14. لـــــــعل مشيئـــة تسطـــــو علـــــيّ * تحوّلني إلـــــــى عـــكس المـــــراد

15. إلـــــى ربّـــــي أفوّض كـــلّ أمـــــر * فَجُدْ يا ربّ بالأمر الســـــديد

القصيدة السابعة:

قال الشاعر حافظ ثروما كبر هذه القصيدة لزوجته الثالثة بِنْتَ محمد عثمان بتاريخ 2000/4/2م. وهي قصيدة غزلية تحتوي على ستة عشر بيتًا (16).

1. هـــــذه ورقتـــــــى كـــــــإسم ســـــــارة *
إنـهـــــا دائـمـا تـــــزيـــد ســـــــرورى
2. تظهر الحق عن مقامـــــي لديـــك * كلّ ما قلتُ ليس خـدعا وزورا
3. بغيتـــــي حيـــــن تـــقرئين كتابـــــي *
إلـــــزمي في الدعـــــاء ليل نـهـــــارا
4. إنـمـــــا أمـــــرنا بـــــعونـــــك ربـــــي*
عـــــن قريـــــب يتـــــم يـــا مفخـــــورا
5. لا أرى فـــــي ذه الدنية بـــــكـــــرًا *
قـــــد تـــــدانيـــــك صفة ووقـــــــارا
6. أنت حـــــورٌ قد تـــــــفوقين حـــــورًا * ما تـــــــغاليت قـــلت ذاك مـــــرارا
7. أو ليس الإلـــــه ضاعـــــف أجـــرًا *
للمصليـــــن والـــــبـــــيتيـــــن ذكـــــرًا
8. صائمات وصائميـــــن ولـــــيس * الأجر فـــــي ذاك يـــــدرك حـــــورًا
9. ليس حـــــور سوى خليقة ربـــــي * في جنان وليس من طال أجـــرًا
10. سيكون الـــــزفاف إن شاء ربـــــي * أقصى الـــــحد كان خمسة شهرا
11. أعنـــــي ذاك بـــــعد عيد صيـــــام * قد دعـــوت الإله ربًّـــا غـــفـــــورا
12. فإن لـــــم يكن مـــــن الله عـــــون * ساء حالـــــي وويـــلتاي كـــــثيـــــرا
13. سال في العرق حبّها وتـــــسرى * في عظامي فشدّ في ذاك أمـــــــرا
14. وجرى في دمي فداخل مـخي * وأغـــــــار العـــــــقول والأفكـــــــارا

15. فبقى الـجسد جــثّة دون روح * إنما
الـــــــروح نـــــــحو حبك طـــارا
16. إن وعدي فيما حـوته كتابـــي * كـــلـه
قـــــاصد ولـــــــــــيس غـــــرورا